

الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي

الدكتور محمد حسين الأعرابي

للنشر
والتوزيع
3934284 القاهرة

المقدمة

ليس من أجد بيتنا ينكر ، نظرياً ، على الحياة تطورها ، ولكن هذه التطور يشير ، ليدى وقوعه ، صراعاً في مختلف مجالات الحياة ، بل اننا لنجد من يدعو الى التطور الاجتماعي - على سبيل المثال - ويكافح في سبيل تحقيقه ثم لا يسنعه ايمانه بهذا التطور ، وكفاحه في سبيله ان يقف ضد تجديد اخر يستلزمه تطور الحياة الاجتماعية نفسه ، أعني التجديد في الادب ، غير ناظر الى وحدة الحياة في مسيرتها .

وهناك من يدعو الى التجديد في الادب دعوة عابئة ، حتى اذا اتخذت دعوتها - ليدى سواء - شكلاً من الاشكال ، وقف ضده ، وسفّه رأيه ، ولا يصبه - عندئذ - ان يقع في تناقض سبيل في التخلص منه ان يبقى عند دعوتها ، وان ينكر كون هذه الاشكال الجديدة بما دعا اليه .

ومما يزيد من عجب الدارس اليوم ان يرى حركات التجديد في الشعر العربي مرتبطة بتطور المجتمع نفسه ، ويرى ولع أبي تمام - على سبيل المثال - بـ « البديع » جزءاً من حضارة المجتمع العباسي وتألقه ، ثم يرى في الوقت نفسه ما أثير بوجهه من صراع يحسب البعيد عن الشعر العربي ، وهو يتسقط اخباره ، ان أبا تمام قلب موازين الشعر بحيث لا تسلم في نظر ميشائيمه ، والمجيبين به ، قصيدة جاهلية من الطمن ، أو أموية من العيب ، ولا تبرأ له - في نظر معارضيه - قصيدة من العجبة ، ولا يدخل شيء من قصائده في تراث

العرب الشعري ، ولم تكن الحال كذلك ولن تكون . وفل غير حذر عن
المتنبي ما تقوله عن أبي تمام ، وعن السياب ، غير وجل ، ما تقوله عنهما .
تلك ظاهرة مشتركة بين عصور الأدب العربي ، وهي ، لكونها مشتركة ،
تستحق كثيرا من التأمل والدراسة ، وتتناهل أكثر من سؤال عن دواعيها ،
ومظاهرها ، وحججها ، وأخلاقها ، وفضاياها الفنية .

هذه الاسئلة والظماح في الاجابة عنها حفزاني الى قبول اقتراح استادي
الدكتور علي جواد الطاهر في دراسة « الصراع بين القديم والجديد في
الشعر العربي » .

ولم يكن من وكذنا نت ونحن نتدارس الموضوع - أن يكون العنوان
تاريخيا لهذا الصراع . ولو كان الامر كذلك لكاننا ملزمين بتحديد الحقبة
التي نهتم بها هذه الدراسة ، وتحديد موطنها لتلا تضييع في صحراء خمسة
عشر قرنا او تزيد ، ولكان الموضوع - والحال هذه - تكرارا مملا ، وجمع
شواهد معروفة ، ولما اكتسب أية سمة من التفكير ، ولما اعطى للصراع عند
العرب قيمة اكبر مما هي عليه في حدوده الضيقة تاريخيا . ان في ترك
العنوان دون تحديد حقبة زمنية معينة ، ومكان بعينه ما يشيخ الى شيء من
طماحنا في دراسة جوهر الصراع من حيث هو فكرة ، ومن حيث هو ظاهرة
انسانية تراها في تراثنا مثلما تراها في عصرنا الحاضر .

وإذ استوي عنوان هذا البحث على ما هو عليه ، وعلى الغاية التي قصد
اليها ، فقد كان معنا ان يحدد كل كلمة فيه ، فأثر مصطلح « الصراع » على
« المعارك الأدبية » وما هو شبيه بها ، وفي ظنه ان « الصراع » أشمل في
الدلالة من سواه ، فقد تكون المعركة الأدبية ناجمة عن قضية غير ذات أهمية
كثيرة يشبه لها أدبيات فينظارخان الرأي فيها ، ويكون لرأي كل منهما
مشايعة وخصومة ، أو لا يكون ، كالمعركة التي دارت على كتاب العقاد
عن ابن الرومي . على حين ان الصراع يمكن ان يعنى - فيما يعنيه - انه

يدور على ظاهرة تلفت نظر ادباء العصر فيرون فيها - محطتين او مصيين -
ما يسكنها من تبديل مفهومات تبديلا جذريا ، فهو أوسع من ان يدور بين
اثنين مختلفين في وجهة النظر الى قضية من القضايا الادبية . على أن- المعركة
الادبية يمكن ان تكون نواة صراع ، اذا اتسعت ، وكانت القضية المخنصم
فيها من الأهمية والسعة بحيث يجد الآخرون ما يستحق الوقفة الطويلة
عندها ، كما حدث للمعركة التي دارت على شعر المنبي .

وإذا كانت المعركة الادبية نقرر بانتهاء مدتها الوحيزة تبيجتها : فان
فريمي الصراع ربما لا يشهدان مثل هذه النتيجة بأنفسهما ، بسبب من
مشاركة أكثر من جيل واحد فيه . وإذا كانت المعركة الادبية - لدى انبعاثها
تسببا ما - تحسب بالتنسيق ، فان الصراع - في الغالب - لا يحتمل ذلك ،
لان المصلحة الضيقة التي تدفع الى التنسيق في المعارك ، قليلة الأهمية في
الصراع ، وإذا أوحى نشأته بإساليب الصراع - في أكثر من عصر ، ومصر -
بالتنسيق ، فان ذلك راجع الى روح ثقافة العصر الذي يدور فيه ، وتوجهه
والى ارتباط الظاهرة بالنفس الانسانية ، ووحدة القضية المصطرع من أجلها ،
قبل ان تكون راجعا الى شيء من التنسيق وحساب النتائج . ولكننا رغم
ذلك لا ننفي هذا التنسيق تقنيا- قاطعا في تكتل هذا الفريق أو ذلك .

وإذا كانت المعركة الادبية مما يفتعل كذبا - في أحيان - فان الصراع
لا يمكن ان يكون الا صادقا .

هذه الوجوه ، وسواها من أوجه الاختلاف بين المصطلحين جعلت البحث
يؤثر « الصراع » في عنوانه على سواه .

وآثر مصطلحي « القديم » و « الجديد » على غيرهما ، وهو يريد
للدلالات التي تشمل العصور الادبية كلها ، فاذا كان المصطلح « القديم »
ان يبدو ، ويكأنه صالح في كل العصور ، فان مقابله لهم يكن كذلك ، فقد
كان مصطلح « المحدث » قبلة « القديم » في العصر العباسي ، و « العصري »

فبالتالي في مطلع القرن العشرين ، والشعر الحر ، والحديث ، لدى نهاية النصف
الإولي منه ، ومن هنا كان له ان يفضّل مصطلح « الجديد » مقابلا
لـ « القديم » ليدل على كل ألوانه التي بدا بها في عصور الادب العربي .

ولم يكن هذا البحث يريد بـ « الجديد » ما يكون من حق الدارسين
المحدثين ان يختصوا فيه ، وانما نظر اليه مقرونا بالصراع ، وهذا النظر
يقتضيه ان ينظر للجديد بعيون معاصريه ، لا عصره الحاضر ، فقد ترى
الدراسات الادبية اليوم - وهي على حق - في المعري مجددا كبيرا . ولكن
هذا البحث لا يهتم به ، ولا يرى ان مصطلح « الجديد » في عنوانه مسا
ينطبق عليه ، لان شعر المعري لم يثر صراعا ، ولم ينظر اليه معاصروه على
انه جديد . واذن فنحن نريد بالجديد ما أثار صراعا . أما اذا كان هذا
الجديد ظاهرة في نظر معاصريه ولم يثر صراعا ، فنحن - عندئذ - محاولون
تعليل ذلك ما وجدنا اليه سبيلا ، ومن هذا الجديد الذي لم يثر صراعا رغم
أهميته الموشحات الاندلسية ، وشعر المهجر .

وواجهت البحث مشكلة تحديد انصار القديم وانصار الجديد من
يكونون ؟ وفي سبيل التخليص من هذه المشكّلة والتغلب عليها ، اتخذت من
آراء هذا الاديب او ذلك مقياسا في تصنيفه ضمن انصار القديم او الجديد .
ولعل ما يرجوه لهذا المقياس من صحة يتضح في دراسة النموذج كالعقاد على
سبيل المثال ، فاذ يكون بآرائه في أوائل هذا القرن من انصار الجديد
المتحمسين له ، يكون من انصار القديم المنافحين عنه في الخمسينات أو قبلها
بتقليل . وعلى هذا فوصف هذا الاديب او ذلك بانه من انصار القديم او من
انصار الجديد ليس ضربة لازب في مراحل حياته جميعا . على ان هذا لا
يمنع ان يكون هناك من هو من انصار القديم او الجديد طوال حياته ، فلقد
كان ذلك واضحا في الصراع الذي أثاره أبو تمام في العصر العباسي ، فقد
ظل ابن الاعرابي من انصار القديم لم يغير موقفه .

وبموضوع الصراع لم يدرس - فيما أعلم - دراسة جادة . فلم أر أحدا ألف فيه سوى علي العمّاري في كتابه « الصراع الادبي بين القديم والجديد » وهو يتناول الموضوع من وجهة نظر انصار القديم ، ويتعصب على الجديد في كل عصور الادب العربي تعصبا لا يحتاج الى جهد في اكتشافه من الصفحات الاولى . ويفتقر الى أوليات المنهج ، اذ ليس من خطة فيه ، ولا نظرة موحدة تنتظمه ، وانما هناك اشنات مما يكتب في صحيفة يومية غير ذات مستوى ، قدر لها ان تتجاوز في كتاب على غير نسق .

وألف في الموضوع أدونيس : « الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب » وهو كتاب لم يعن بالصراع من حيث هو ، وانما بدأ من بديهية لديه ترى ان العرب ميالون الى القديم أبدا فحاول ان يتحرى دوافع هذا الميل ، دون ان يتحرى صحة منطيقه . وكان يدفعه الى ذلك ما يخالجه ، وهو يرى جدة الصراع ، من اتصّار القديم في كل الاحوال . أي ان أدونيس يبدأ بحثه من حيث تنتهي هذه الرسالة ، فلم يكن مستغربا - والحال هذه - ان يقع في أوهام من لم يتدبّر الامر تدبرا طويلا .

ولما كان الامر كذلك ، فلم يكن لي ان أفيد من ذينك الكتابين أية فائدة ، اللهم الا ما استجال به العمّاري مادة اتفقت بها في « أخلاق فريقي الصراع » وما أتاحه لي أدونيس من مجال في مناقشة منطلقه ، ومن هنا كان علي ان أجمع مادة هذه الرسالة من بطون المصادر التي تشمل عصور الادب العربي كلها طلبا لامثلة تساق في موضعها ولها نظائر ، وبحثا عن شواهد تستحضر ، وأمثلة تضرب ، ولهما قرائن . ولقد أفدت من الكتابات الغاضبة والدراسات التحيزية ، في بعض الفصول ، اكثر مما أفدت من الدراسات الرصينة . وذلك أمر طبيعي لمن يحاول ان يدرس ظاهرة الصراع كما هي وليس كما يراد لها ان تكون هدوءا ، وبموضوعية ، ورجانة . ولعل من

المسئد أيضا ان أدبر اني أفدت من الرجوع الى بعض المصادر الاجنبية التي تتعرض للمدارس الادبية وما يدور بينها من صراع ، في استحضار جو الصراع من حيث هو ظاهرة انسانية ، وفي تقري ظواهره ، وليس على سبيل الاستشهاد بهذه المصادر ومقابلتها بما لدينا .

واذ استوت المادة لكاتب هذا البحث وزعه على تمهيد وستة فصول وخاتمة ، فقد عقد التمهيد لمسيرة الجديد في الشعر العربي من العصر الجاهلي الى العصر الحاضر محاولا ان يتلمس في هذه المسيرة حركات التجديد ومدى ارتباطها بتطور العصر ، وخضوعها لمتطلبات المجتمع . ولم يكن يريد في هذا التمهيد ان يدلني بنظرية جديدة ، أو بفكرة غريبة على الدراسات - وذلك طبيعة أي تمهيد - وإنما كان همه ان يذكر القارئ بحقائق لا بد منها لمن يتابع دراسة في جانب من جوانب الادب العربي .

وكان هذا التمهيد يوحى - كما أريد له - بقوة الاواصر بين حركات التجديد وبين تطور المجتمع العربي نفسه ، مما اقتضى البحث ان يعقد الفصل الاول لـ « تاريخ الصراع في الشعر العربي » واقبلا عند تجديد مصطلح « الصراع » منتقلا الى ما يوحى بأنه صراع في الشعر الاموي ، ولكنه ليس كذلك ، متابعا الصراع الذي أناره المحدثون العباسيون ، ثم ما أثاره أبو نمام وحده ، وما أثاره المتنبئ بعده ، منتقلا بعد ذلك الى الصراع الذي أناره «الدبوان » ثم ما أثارته جماعة أبوللو ، ثم ما أثارته حركة الشعر الحر . وقد كان منهج هذا الفصل ان يجدد أنصار الجديد ثم أنصار القديم ، ثم المنصفين ، ليخلص الى القضايا التي يروج لها انصار القديم في محاربة الجديد ، والتي يدور عليها الصراع ، كما تظهر إبان حديثه ، مهتديا في معرفتها بأراء معاصري هذا الصراع أو ذلك .

ومن يقرأ التمهيد ، ويقرأ الفصل الاول يجد ان هناك حركات تجديدية لهم نشرة صراعها ، وكان هذا الامر مما لفت نظر الباحث . فعقد الفصل الثاني لدراسة « دواعي الصراع وأسباب حديثه » من خلال مقابلة الحركات

الجديدية التي أتارت صراعاً ، والحزكات التي لم تشره سواءً أكان ذلك في العصر العباسي أم في العصر الحاضر .

ووقف الفصل الثالث عند « حجج فريق الصراع » فدرس ما يدور على السنة انصار القديم وانصار الجديد . من حجج يحاولون بها تسوية مواقفهم في هذا الإصاف أو ذاك . واذ رأى هذا الفصل ان حجج الفريقين مرتبطة بطبيعة العصر ، مما يجعلها تختلف من عصر الى اخر شيئاً ما ، ورأى ان مصادرنا لم تتوفر توفراً كافياً على دقائق الصراع في العصر العباسي فنتقل حججه ، سمح لنفسه ان يخرج قليلاً عن منهج الفصول الأخرى فيأخذ من حجج المجددين والقدامى في العصر الحاضر هادياً على حججهما في العصر العباسي ، وان ينص لدي ذكر هذه الحجة أو تلك ، في الهوامش ، على ما يناظرها في العصر العباسي ان وجد هذا النظر . وهو يحسب ان ذلك من طبيعة الأبياء لانه لا يستطيع ان يدوس ظاهرة لم تتوفر مادتها بما فيه الكفاية .

واذ كانت هذه الحجج في الغالب من آراء سخرية يقصد منا تثبيت هذا الموقف أو ذاك ، فقد عني البحث ان يتخرى الؤوقات الطويلة لسندى الفريقين ، وهي وقفات يراجع بها كل فريق نفسه ، وهو بعيد عن جو الصراع ، فيما يبدو له مرة ، وقريب منه مرة أخرى ، ولكنه على الحالين هادئ . فدرس تلك الؤوقات في الفصل الرابع الذي أسماه « بمظاهر الصراع » لان الهدوء مما يعيثر الفريقين على تمويه مقاصدهم ، ويبعدهم عن الحدة التي تفضح نواياهم .

أما الفصل الخامس ، فقد درس الؤسائل التي يتشبت بها كلا الفريقين في آيات الحق الى جانبه وفي ثفيه عن خصمه ، ولما كانت هذه الؤسائل وما تشخصبه من سلوك بعيدة عن الفن والحوار الأدبي ، ولما كانت تظهر في حدة الصراع مما طبيعها بطابع جاد بعيد عن الموضوعية ، فقله كانت تسميته

المناسية « أخلاق فريقي الصراع » ، وقد تضمن ما لا يمت الى القضايا الفنية بسبب قوي .

ولقد لاحظ البحث وهو يؤرخ للصراع في الفصل الاول ان هناك قضية واجدة تكاد تتكرر بوجوه مختلفة في كل صراع ، تلك هي مسألة اللفظة والعلاقات اللفوية المجازية ، فرأى ان يعقد فصلا خاصا بها يفصل ما أجمله في « تاريخ الصراع » ولما كانت هذه القضية الواحدة - في رأيه - قد اثرت على انها قضايا متعددة ، فقد عقد الفصل السادس تحت عنوان « قضايا الصراع الفنية » مناقشا تعديدها خالصا الى وجدتها ، دارسا تطور هذه القضية عبر العصور .

وأعقب البحث تلك الفصول بخاتمة لخص فيها عمله ، وناقش من يرى أن الصراع بظواهره المشتركة بين عصور الادب العربي ، يدل على ميل المجتمع العربي الى الثبات ، وعلى تخوفه من الجديد . ثم تحدث عما جاء فيه من جديد فيما يؤكد من ضرورة النظر الى شعرنا واخبار شعرائنا من زاوية الصراع بين قديمه وجديده فضلا عن زوايا النظر الأخرى ، وتحدث عما أفاده النقد الادبي في مجالته من الصراع .

ولابد لقارئ تلك الفصول ان يلاحظ نمطا من الاستشهاد لم يألف ترتيبه في كتب اخرى ، فكاتبها يضرب مثلا على ظاهرة من العصر العباسي ، ويعقبه بأخر من عصرنا الحاضر ، وكأن ليس بين العشرين عشرة القرون . واذا كان مثل هذا النمط وما يخل بدراسة ظاهرة محددة بحقبة تاريخية ، فانه هنا من صميم منهجه ، وفي الصلب منه ، لانه يدرس ظاهرة يرجو ان تصبح نسبتها الى الحضارة فيقول : لانه يدرس ظاهرة حضارية بوجهها المشرق والإريد وما يحويه التديم والجديد معا . ثم ان هذه الظاهرة لتلتبس بعضها التباسا لا يكاد يقبل التجزئة كما هو شأن أية ظاهرة حضارية أخرى . وبعد : فان من نافلة القول ان أشير الى ما اتمنته من جهد في كتابة هذا

البحث ، والى ما عانيته - في سبيله - من أمور اقتصصت بمعاناتها من بين
مأبة الدراسات العليا ، ولكنني - رغم هذا وذاك - غير ممتن عليه بما انفقت ،
وبما عانيت ، فقد كان طماحي فيه ان اصل الى الحقيقة او ما توهمته اياها ،
فان وفقت فنعم عقبي الطامحين والا فحسبي اني لم ادخر وسعا ، ولم آل
جهدا ، على ان من باب نسبة الفضل الى أصحابه نسبة غير ممنونة ان أنوء
بما تحمّله استاذي الدكتور علي جواد الطاهر في متابعة هذا البحث ، وهو
يقترحه عنوانا ، و بما عاناه وهو يلاحقني ويلاحقه فكرة تتطارحها ، وصفحات
نقرأها ، فاذا أشكر له ذلك شكرا تضيق به الكلمات ، أشكر - عبر شخصه
الكريم - كل من اهتم بهذا الموضوع من اصدقائي الكرام ، وزملائي
الافاضل فزوده بما يفنيه ، راجيا ان اكون قد حققت شيئا مما كان يدور
في ذهن استاذي وهو يقترح العنوان ، وشيئا اخر بما دار في أذهان
اصدقائي وزملائي وهم يحسنون الظن بالموضوع وصاحبه .

ويسرني كثيرا ان أتوجه بالشكر الوافر الى القائمين على شؤون مكتبة
الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف ، على ما يسّروه لي من اطلاع على
كنوزها الثمينة .

التمهيد

مسيرة الجديد في الشعر

مسيرة الجديد في الشعر

ليس من شك في ان نفرا من شعراء الجاهلية المتأخرين أحسوا بوطأة الزمن ، فنظروا الى سابقهم على أنهم قدامى ذهبوا بمحاسن الشعر ، ولم يبقوا لهم منها شيئا ، يدلنا على ذلك زهير بن أبي سلمى في قوله :

ما أراننا نقول الا معارا أو معادا من قولنا مكرورا
وعنترة العبسي في قوله :

هل غادر الشعراء من متردم أو معادا من قولنا مكرورا

ولكننا لا نعلم كيف تغلب هؤلاء على هذا الاحساس ، ولا ندري كيف تسكنوا من أن يوازنوا بينه وبين عواملهم الداخلية والفنية ، بحيث استطاعوا أن يستمروا في قول الشعر متغلبين على شعورهم بالعقم . ولو بلغنا شيء من ذلك لاستطعنا ان نقرر مكانتهم الفنية قياسا الى من سبقوهم من الشعراء ، وان نمتحن صحة ما يردده نقادنا القدامى عن بعضهم من أمثال سبق امرئ القيس « الى اشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، وابتدعته عليها الشعراء من استيقاف صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ »⁽¹⁾ .

على أن الذي نعلمه هو أن الشاعر الجاهلي « المتأخر » حين أحس بوطأة الزمن كان « يعد نفسه محدثا ، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس

(1) الشعر والشعراء : 110 .

منه «⁽²⁾ . وفي مثل هذا الاحساس ما يبيح لنا ان نقول : ان عنتره وزهيرا واضرابهما كانوا ينظرون بعين الاحترام الى سابقهم لما بلغوه من نضج فني ، وان كانت نظرتهم - كما هي طبيعة الحال - قائمة على الفطرة .

. ولا بد ان تكون نظرة الاحترام هذه قد انتقلت ، بعد قيام الاسلام ، الى المجتمع الاسلامي ، الا ان الذي منعها من الظهور انشغال المسلمين بتمؤنون الدعوة الجديدة ومفهوماتها ، وما يقتضيه انتشارها من انصراف لها ، وعزوف عن سواها⁽³⁾ . فضلا عن أن الاسلام قد صرف الاذهان عن الاهتمام ، بأمور الجاهلية ، وشغلهم بالقرآن المعجز عن النظر الى ما سواه ، وليس قول لبيد :
ما كنت لاقول شعرا بعد اذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران «⁽⁴⁾»
ببعيد عن الاذهان .

ولم يقدر لهذه الحال ان تدوم طويلا ، فقد عاود الشعر الجاهلي في أواخر القرن الاول - فيما يبدو - يشغل الاذهان من جديد ، ويفرض احترامه مرة أخرى بحيث صار النموذج الذي يجب ان يحتذى ، والمثال الذي ينبغي ان يقتدى . وكان مما هيا له هذه المكافحة اسباب منها : انه اكتسب - والعرب في مرحلة تدوين - قيمة تاريخية ، اذ « كان ... في الجاهلية ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، يأخذون ، واليه يصيرون »⁽⁵⁾ ، وانه حفظ للعرب « ... ذكر أيامها ومآثرها ... ، وما ذهب من ذكر وقائعهم »⁽⁶⁾ . وان هذا الشعر - والعرب على أبواب حركة علمية - كان بمستطاعه ان يرضي أذواق جمهرة المثقفين على اختلاف منازعهم ، فيجد فيه النجاة شواهد

(2) العمدة 1 : 74 .

(3) ينظر طبقات فحول الشعراء : 24-25 .

(4) الشعر والشعراء : 196 .

(5) طبقات فحول الشعراء : 24 .

(6) نفسه : 46 .

الاعراب ، ورواة الاشعار غريب اللغة ، وعويص المعاني التي تحتاج الى استخراج ، ورواة الاخبار الشاهد التاريخي والمثل⁽⁷⁾ . فضلا عن هذا وذلك فان هذا الشعر - من حيث هو فن - كان قد مر بمراحل انضجته نضجا رأى فيه زهير وعنترة - كما مر بنا - تحديا ، وان الذي كان يمكن ان يصل اليها منه - وهو يمتد الى قرن قبل الاسلام - هو لباب هذا النضج . فاذا عرفنا انه اعتمد الرواية التي من طبيعتها ان تنهي ما هو رديء منه بحكم اعتمادها الذاكرة ، ادركنا مبلغ جودة هذا الشعر الذي تناقله الرواة في أواخر القرن الاول للهجرة .

هيات هذه الاسباب للشعر الجاهلي ان يحترم ، وان يكون المثل ، غير ان المسألة لم تقف عند حدود الاحترام ، ولو وقفت عندها لما كان عليها غبار ، ولكنها تعدت ذلك الى الانبهار بهذا الشعر ، دون ان يحاول احد النفاذ الى أسراره فيعلل انبهاره به . فكل ما حدث - في هذا الشأن - هو الربط بين نضج هذا الشعر وقدم زمنه ، فصار الزمن معيارا نقديا يأخذ به الرواة في تقويم الشعر ونقده ، فكان ابو عمرو بن العلاء « لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين »⁽⁸⁾ حتى ان الاصمعي لم يسمعه - طيلة ثمانين سنة - صحبه فيها - قد احتج بيت اسلامي⁽⁹⁾ .

ومما يلفت النظر ان منطلق ابي عمرو وأضرابه - ولا أقول تعصبهم - لم يناقش في حدود علمنا في العصر الاموي ، حتى لكأنه مسلّم به ، بل ان هذا المنطلق كان يجد صدى في نفوس بعض الشعراء الذين رأوا في شعرهم لامتداداً للشعر القديم ، فقد روي ان رجلا من بني تميم « أتى الفرزدق . فقال : قد قلت شعرا فانظر فيه ، وأنشده ، فقال الفرزدق : يا ابن أخي ، ان الشعر كان جملا بازلا عظيما فأخذ امرؤ القيس رأسه ،

(7) ينظر البيان والتبيين | 4 : 24 .

(8) (9) العمدة | 1 : 73 .

وعمر بن كلثوم سنامه ، وعبيد بن الأبرص فخذة ، والاعشى عجزه ،
 وزهير كاهله ، وطرفة كركرته ، والنابتان جنبيه ، وأدركناه ولم يبق إلا
 المذارع والبطون فتوزعناه بيننا ... » (10) ، وليس في احساس الفرزدق
 غلو ، ولا في منحى تفكيره بعد عن الواقع « فمهما اختلفت مذاهب الجاهليين
 والاسلاميين ، ومهما تنوعوا في الصياغة والطريقة وفنون القول فانهم جميعا
 ينهلون من ينبوع واحد ، ويصدرون عن ذهنية واحدة ، ويتقاربون تقاربا
 ملحاحا في التفكير وفي التعبير . يختلف زهير عن طرفة وذو الرمة عن جرير ،
 وعمر بن أبي ربيعة عن العرجي ، ولكنه اختلاف الجداول انحدرت عن
 جبل واحد ... » (11) ، وإذن فتعظيم الفرزدق للجاهليين تابع من هذا
 التشابه .

ولهذا التشابه بين الجاهليين والاسلاميين أسباب يمكن ان تجمل في
 ان حياة العرب في العصر الاموي لم تختلف عنها كثيرا في جاهليتهم ، فقد
 بقيت الصحراء التي احتضنت الشعر في جاهليته كما هي من حيث تأثيرها
 فيه ، ولم تفعل الحواضر حين تلقته أكثر من فعلها بشعر عدي بن زيد
 - الشاعر الجاهلي - الذي كان « يسكن الحيرة ، ويراکز الريف ، فلان لسانه
 وسهل منطقته » (12) ، بل ان أثر الحواضر من هذه الناحية كان يختلف فيه
 الشعراء ، « وكانوا يتخذون اللفظ مقياسا لجودة الشعر ، فكلما قرب هذا
 اللفظ من البداوة ، وكلما كان رصينا يملأ الفم ، ويهز السمع كان الشعر
 جيدا ... » (13) .

ولست أريد بهذا ان أعمم الحكم فأنتفي أثر بيئة كالمدينة في شعر عمر
 ابن أبي ربيعة ، ولا بيئة كدمشق في خمريات الوليد بن يزيد ، ولكنني في

(10) الموشح : 552-553 .

(11) تاريخ النقد الادبي عند العرب : 89 .

(12) طبقات فحول الشعراء : 140 ، وينظر الفصول والفايات : 212 ،
 وتعليق المعري وجدانه المديد في اشعار المكين والمدنيين كعمر بن أبي ربيعة
 ووضاح اليمن ، والعرجي ، ومشاكلتهم عدى بن زيد لانه كان من سكان الحيرة .

(13) حديث الاربعاء 2 : 7 .

الوقت نفسه لا أريد ان اغلو في تأثير هذه البيئات بحيث لا يبقى وجهه
للسقابلة بين الكوفة - على سبيل المثال - والحيرة .

وقرب حياة الامويين من الجاهلية سيادة القبيلة ، واحتدام نار العصبيات
القبيلة « اذ ان بني أمية وجدوا في اتارة هذه العصبيات - في بعض
الاحوال - كسبا سياسيا لدولتهم ، ودعما لسلطانهم ، لان اشتغال القبائل
بعضها ببعض ، واندفاعها في تيار الخصومات القبيلة كان قمينا بصرفها عن
معارضة نظام الحكم الاموي » (14) . ومعنى هذا ان دواعي طائفة من
اغراض الشعر الجاهلي كالهجاء والفخر والحماسة ظلت قائمة في نفوس
الشعراء الامويين .

واذا آمننا بان « القصيدة القديمة صناعة ومعان ... ولا ضير في
تكرار المعاني بالنسبة لمفهوم القصيدة اذا كانت صياغتها جيدة » (15) ادركنا
سرا اخر من أسرار قرب القصيدة الاموية من سابقنها الجاهلية بعد اذ أدركنا
تشابه ظروفهما .

وجملة الامر ان الشعر الاموي كان امتدادا - الى حد ما تسمح به
طبيعة التطور - للشعر الجاهلي ، فامتزجت قيمه الفنية بقيم ذلك الشعر ،
وكونت معه كلا يجب ان يحتذى . وأكد اللغويون والنحاة - بمرور الزمن -
هذه الحقيقة حين ساووه - في الاستشهاد - بالشعر الجاهلي ، حتى ان أسد
المتعصبين عليه ، أبا عمرو بن العلاء ، هم ان يأمر صبيانه بروايتيه لما كثر
وحسن . (16)

واذا كانت الحياة الاموية اقرب الى حياة البداوة ، وألصق بحياة
الجاهلين ، فان الحياة العباسية لم تكن كذلك . اذ شهدت هذه الحياة أموراً

(14) العصبية القبيلة واثرها في الشعر الاموي : 255 .

(15) الادب العربي المعاصر ، الشعر العربي ومتكلمة التجديد ، أدونيس : 178 .

(16) ينظر العمدة 1 : 73 .

شتى قد تصل جذورها بالعصر الاموي ، ولكن ثمراتها مما شهده العصر العباسي ، وتميز بها منه .

فقد كان المجتمع الاموي منقسما الى طبقتين من الناس احدهما طبقة فاجسة الثراء ، أفادت من استخدام الامويين « العطاء سلاحا للارهاب ، واداة للتقريب » (17) واخرهما « محرومة من العطاء ... تعرضت لضغط اقتصادي مستمر طوال حكم بني أمية ، ذلك ان اتفاق الامويين المستمر بقصد تثبيت سياستهم عرض دولتهم لهزات اقتصادية مستمرة فكانوا يلجأون الى زيادة الضرائب بأنواعها المختلفة ، ولا يجدون غير هذه الفئة الفقيرة المستضعفة ليرهقوها بزيادة هذه الضرائب » (18) ، ولم يكن بين هاتين الطبقتين وسط غير الاتباع (19) ، على حين نعم سواد الناس في العصر العباسي « بقدر من الحرية ... ودب النشاط في ميداني التجارة والصناعة ، وصاحب هذا النشاط نمو طبقة وسطى جديدة من التجار والصناع والمهنيين ، والموظفين شاركت في الاخذ بأسباب الرفاهية » (20) .

وضمت هذه الطبقة الجديدة كثيرا من العناصر غير العربية المضطهدة في عهد الامويين ، بل ان العناصر العربية كادت تغلب على أمرها . ومعنى هذا ان التقاليد الفنية المتوقعة لابد ان تكون بعيدة عن التقاليد العربية المألوفة .

وناحية أخرى تميز بها العصر العباسي من الاموي ، هي ان هذا العصر شهد امتزاجا اجتماعيا بين العرب والعناصر الاعجمية « فتتمت عملية المزج بالمجاورة ، والمصاهرة ، والتسري ، والعنق ، والولاء . وغير ذلك » (21) .

(17) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: 26 .

(18) نفسه : 109 .

(19) الادب ومذاهبه : 55 .

(20) نفسه : 57 .

(21) مظاهر الشعوبية في الادب العربي : 225 .

وعلى صعيد الامتزاج الثقافي ، ان حركة الترجمة التي كانت قد بدأت على استحياء في العصر الاموي ، اذ لم تنعد بعض كتب في الطب والنجوم ، والكيمياء⁽²²⁾ ، وبعض ما نقله ابن المقفع من الفارسية الى العربية⁽²³⁾ ، هذه الحركة اسعت في العصر العباسي فترجست كتب في « الحساب ، والطب ، والمطق ، والهندسة ، ومعرفة اللحون ، والملاحة ، والتجارة ، وأبواب الاصباغ ، والعطر ، والاطعمة ، والالات »⁽²⁴⁾ .

وكان من الطبيعي جدا ان يترتب على هذا المزج الاجتماعي والثقافي ظهور دوق جديد بعيد عن حياة البداوة ، وختسونة الاعراب ، فاذا اضفنا الى ذلك ان طائفة كبيرة من الشعراء المحدثين في العصر العباسي كانت من عناصر أعجمية ، أدركنا سرا من أسرار التصاق الشعراء بعصرهم ، ومحاولتهم مواكبته ، وفهمنا معنى ان يتزعم ابو نواس الدعوة الى ان يعيش الشعراء في عصرهم من خلال وصف مظاهر الحضارة فيه ، وما يستتبعها من لهو ، ومجون ، وخمر ، اذ لم تكن دعوة أبي نواس فردية ، وانما كانت من صميم الحياة الجديدة ، وطبيعتها ، فقد روي ان أبا العتاهية قال - ذات مرة - لابن مناذر : « شعرك مهجن لا يلحق بالفحول ، وأنت خارج عن طبقة المحدثين . فان كنت تشبهت بالعجاج ورؤبة فما لحقتكما ، ولا أنت في طريقهما ، وان كنت تذهب مذهب المحدثين فما صنعت شيئا . أخبرني عن قولك :

ومن عاداك لاقى المرميسا

أخبرني عن المرميس ما هو ؟؟؟ فنجعل ابن مناذر وما راجعه حرفا «⁽²⁵⁾ . ولم يكن هذا الذوق المتحضر وقفا على الشعراء ، فقد تعداهم - فيما يبدو -

(22) ينظر الفهرست : 511 .

(23) تنظر هذه الكتب في المصدر نفسه : 178 .

(24) الحيوان 1 : 81 .

(25) الاغاني 4 : 90-91 ، وينظر الموشح : 453 .

الى من لم يشتهر بالشعر ، فقد روى مطيع بن اياس قال : « جلست أنا ويحيى بن زياد الى فنى من أهل الكوفة كان ينسب الى الصبوة ويكتم ذلك ، فماوضناه وأخذنا في أشعار العرب ، ووصفها البيد وما أشبه ذلك ، فقال :

لأحسن من بيد يحار بها الفطا ومن جبلي طي ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين ، كلاهما له مقلة في وجه صاحبه نرعى (26)

وعلى ان مثل هذا القول يمكن ان ينسب الى الصبوة ، الا ان هذه النسبة لا تخرجه عن دلالاته كثيرا . وإذن فنحن أمام أمرين مهينين واجهما الشاعر العباسي فحاول التوفيق بينهما ، هما : ان هذا الشاعر لا يستطيع ان يتخلى بصورة نهائية - شاء ذلك ام لم يشأه - عن الأنموذج الذي رسمه الشعر الجاهلي ، واحتذاه الشعراء الامويون فأكدوه ، لانه جزء من ثقافته وتراثه (27) ، وانه لا يستطيع في الوقت نفسه التخلي عن مجتمعه الذي بدأ يتعد عن حياة البادية وتصطبغ حياته رويدا رويدا بالحضارة الجديدة .

ولعل من أهم آثار القصيدة الجاهلية في نفوس الشعراء والنقاد انها أكدت النظرة العربية البدوية في وجود « مثل أعلى للرجل ، ومثل أعلى للمرأة » (28) ، فصار « الشاعر يحرص ان يكون ممدوحه او حبيبه صورة حية عن هذا المثل او ذلك » (29) . ومعنى هذا ان المعاني التي سبق اليها الشاعر العباسي ظلت قائمة في نفسه ونفوس الآخرين ، فليس بمستطاعه

(26) الاغاني 13 : 322 .

(27) بنظر على سبيل المثال ما يحفظه ابو نواس من الشعر العربي في طبقات الشعراء : 194 . ومما يصور سلطان الشعر القديم على نفس من الشعراء العباسيين ما روى عن اسحاق بن ابراهيم من انه قال : (وأبت في منامى كأن حريرا جالس ينشد شعره ، وانا اسمع منه ، فلما فرغ اخذ بيده كسة شعر فاماها في فمي فابتلعها ، فأول ذلك بعض من ذكرته له انه ورنني الشعر) الاغاني 5 : 574 .

(28) (29) الادب العربي المعاصر ، الشعر العربي ومشكلة التجديد :

. 174

الخروج عليها الا بمقدار ما تبدل الحضارة من مفهومات ، فقد كان فداه بن جعفر لا يرضى على سبيل المثال للشاعر - خلافا لما عليه الاوائل - ان يهجو خصه بما فيه من عيوب في الخلقة ، أو ضعة في النسب ، لان مثل هذه الامور مما ليس للانسان يد فيها⁽³⁰⁾ .

ورغم هذه المفهومات الجديدة ، فقد ظل للمثل الجاهلي هيمنته على نفوس الادباء ، ومما يصور لنا هذه الهيمنة ان دعوة ابي نواس « الى وصف الحياة الجديدة دقيقتها وجليلها »⁽³¹⁾ قد أخففت قياسا الى نجاح مذهب ابي تمام في الشعر .

وعلى هذا فالازمة التي واجهت الشعراء العباسيين هي انهم لا يستطيعون التناول على معان تعارف عليها الناس ، ورأوا فيها مثلا ، فكان الواحد منهم يقف على المعاني وفد « أخذ عفوها ، وسبق الى جيدها »⁽³²⁾ حتى ان محمد ابن العلاء السجستاني لم يعترف لابي تمام بمعنى « انفرده به ، واخرعه ، الا ثلاثة معان ... »⁽³³⁾ . اقول : انهم لا يستطيعون التناول على هذه المعاني ، ورفضها ، ولا يرضى لهم حسهم الفني ، وذوقهم الحضاري - في الوقت نفسه - ان يكرروها ، فلجأوا - في سبيل التغلب على هذه الازمة - الى التوليد⁽³⁴⁾ ، والتوليد : « ان يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ، فلذلك سمي التوليد ، وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره »⁽³⁵⁾ .

ولما كان التوليد يقوم - في جانب منه - على تغيير العلاقات القائمة بين

(30) ينظر نقد الشعر : 187-188 .

(31) حديث الاربعاء 2 : 8 .

(32) الوساطة : 52 .

(33) الموازنة 1 : 133 .

(34) ينظر الصورة الفنية في التراث الفدي والبلاغي عند العرب :

109-110 .

(35) العمدة 1 : 233-234 .

الالفاظ -، انصرفت عناية الشاعر العباسي الى الصياغة معتقدا انها « أهم شيء في الشعر .. وليس المهم إذن شيئاً يقال ، وانما ان يقال هذا الشيء في بيان جليل ... » (36) .

وهكذا وجدت « مدرسة بيانية شيخها بنار ، ومن رجالها ابن هرمة ، والعنابي ، ومنصور النمري ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأصبح للسعر لغة جديدة غير لغة القدماء » (37) .

واذ نجم - بعد هؤلاء - أبو تمام بالشعر شغف بالبديع « حتى غلب عليه ، وتفرغ فيه ، وأكثر منه » (38) . ولكن هذا الشغف لم يكن - كما نصوره النقاد القدامى - هوى فردياً محضاً ، وانما كان وراء هذا الهوى روح العصر ، لاننا لا نستطيع ان تفصل بين الزخرفة التي وجدت طريقها الى المساجد - منذ العصر الاموي - وسرت في العصر العباسي الى الاواني : النسيج (39) ، اقول : لا نستطيع ان تفصل بين الزخرفة التي فرضتها الحياة الجديدة ، والشعر ، فالتزويق - وطائفة من فنون البديع تقوم عليه - من روح العصر .

وعليه ، ان أبا تمام لم يفعل أكثر من أن يلتقط بموهبته الفنية الاصلية هذه الروح ، وان يكون البؤرة التي تتجمع فيها تجارب السابقين في البديع . على انه ينبغي لنا ان نأخذ بعين الاعتبار ان بلاطات الخلفاء تفرض لونا من الصنعة على الشاعر ، تنبه اليها بعض رواة الشعر ، فقد كان « أبو عبيدة يقول . ويحكي ذلك عن يونس : ومن تكسب بشعره ، والتمس به صلات الاشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة ، لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة » (40) . ومعروف ان زهير والحطيئة كانا من عبيد الشعر الذين يطيلون ثقافه .

(36) تاريخ النقد الادبي عند العرب : 95 .

(37) نفسه : 96 .

(38) البديع : 1 .

(39) المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها . 2 : 163 .

(40) البيان والتبيين 2 : 13 .

ولكن هل الذي صنعه أبو تمام تجديد استوعب روح العصر ؟ ذلك سؤال وضعه الباحثون ، وحاولوا الاجابة عنه ، وذهبوا الى ان المحدثين - بصورة عامة - لم يستطيعوا الا ان يغيروا في الديباجة ، وعللوا ذلك بانهم لم يطلعوا على أدب اجنبي - كالادب الاغريقي - اطلاعا كافيا فيتخذوه أنموذجا يخذونه⁽⁴¹⁾ ، وبأن الحياة العربية نفسها قد خضعت الى عاملي جذب ودفع « فبينما احدهما يدفعها دفعا قويا الى الامام فتندفع ، كان الاخر يجذبها جذبا قويا الى الوراء فتتجذب . كانت تندفع الى الامام اندفاعا قويا في الحضارة المادية ، يمثل قوته هذا الفرق الظاهر بين القصور . . . وبين خيام الصحراء . . . وكانت تنجذب الى الوراء بحكم الدين وبحكم اللغة التي لم تكن كغيرها من اللغات ، وانما كانت لغة دينية ، فالاحتفاظ بأصولها وقواعدها . . . واجب ديني لا سبيل الى جحوده او التقصير فيه »⁽⁴²⁾ .

والسؤال الذي وضعه هؤلاء الباحثون كان تحميلا - في رأيي - للامور اكثر مما تحتل ، اذ لم يكن بوسع المحدثين بصورة عامة ، وأبي تمام بصورة أخص ، ان يصنعوا اكثر مما صنعوا ، ولم تكن بهم حاجة الى ان يصنعوا غير ما صنعوه ، والسبب في ذلك ان وظيفة الشاعر التي اختطها شعراء الجاهلية والعصر الاموي ، لم تتبدل في المجتمع العباسي تبديلا كلياً ، بل ان حياة المجتمع العباسي لم تدع الشاعر الى ان يعيد النظر في وظيفته . وازاء هذا فلم يستجد مضمون في القصيدة العباسية يبلغ من الغرابة بحيث يسندعي شكله الجديد ، اذ كان الشعراء يحاولون « بوجه عام ان يقولوا الافكار القديمة في صياغة جديدة ، وبخاصة عند أبي تمام »⁽⁴³⁾ . وكانت محاولتهم تلك طبيعية تنسجم مع ظرفهم الحضاري .

(41) ينظر تاريخ النقد الادبي : 105 ، وحديث الاربعاء 2 : 9 .

(42) حديث الاربعاء 2 : 10 .

(43) النقد المنهجي عند العرب : 51 .

ومن هنا كان لابي تمام ان يقع في تكلف من يعتسف مذهبها شكليا لم يقتضه المضمون اقتضاء تاما فتكون بينهما وحدة . ومن هنا ايضا قدر للمتنبى قبل ان ينضج حسه الفني الوقوع - في الصدر الاول من شعره - فيما وقع فيه أبو تمام . وقدر له ايضا في الصدر الثاني من شعره ان يشدب - وهو الملم براث العرب الشعري المام تمثل - من اسراف أبي تمام (44) ، فيجد من خلال ذلك صوتا خاصا به « حطم المذاهب واستقل دونها جميعا » (45) . ذلك ان الثقافة التي ألم بها أبو تمام ، وظهرت في شعره اشارات لا يجد الدارس عنتا في اكتسافها ، وارجاعها الى أصولها ، استحالته عند المتنبى نمطا في التفكير يبحث عن الاداء الذي يناسبه ، فكان - كما يقول القاضي الجرجاني - وسطا بين أبي تمام ومسلم (46) .

وفي هذه الحقبة ظهرت الموشحات في الاندلس استجابة لحاجة المجتمع الاندلسي ، وكانت « الحاجة الغنائية في طليعة العوامل التي ساعدت على ظهور الموشح » (47) . وأهمية الموشح تأتي من انه أثر « الايقاع الخفيف الذي يقرب الشقة بين الشعر والنثر ، فأضعف من أجل ذلك العلاقات الاعرابية كثيرا » (48) ، ومن انه يخرج على ما تواضعت عليه القصيدة العربية في عروضها ، وفي نظام الشطرين فيها ، اذ كانوا « ينظمونه أسماطا ، وأغصانا اغصانا يكثرون من اعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عند (كذا) قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القطعة .. ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض

(44) ينظر الوساطة بين المتنبى وخصومه : 50 .

(45) النقد المنهجي : 161 .

(46) ينظر الوساطة : 50 .

(47) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والرابطين : 228 ، وقد ظهر الموشح اواخر القرن الثالث ، ونحن انما اخرجنا الحديث عنه ، وقدمنا المتنبى للصلة الوثيقة بين المتنبى وابي تمام .
(48) المصدر السابق : 244 .

والمذاهب ... » (49) وإذا كان نظام الموشح مما يستحق دراسة خاصة ، فإن الذي يهمننا منه ان الغالب من نماذجه لم يلتزم عروض الخليل (50) .

ولكن الموشح لم يؤثر في المشرق الا بعد قرون ثلاثة من ظهوره ، مما يجعلنا نتابع حديثنا الاول فنقول : ان الرضي لم يخرج عن خط المتنبي - مع فرق في الموهبة - بما يميزه ، وان حجازياته كانت تمثل - بوجه خاص - ارتدادا الى الماضي ورثه عنه تلميذه مهيار الديلمي ، وشعراء العصر السلجوقي - فيما بعد - الى جانب ما ورثوا عن أبي تمام ، فكانت أشعارهم - واعني شعراء السلاجقة - مزيجا من هذا وذاك ، فأنت تجد فيها اللغة البدوية الخشنة والمفردات « المعجمية ، والغريب النادر منها » (51) ، وتجد الى جانب ذلك اغراقا في الصناعة ، وولعا باستعمال المحسنات اللفظية (52) ، حتى ليخرج لديهم الشعر - في الغالب - عن ان يكون شعرا الى ما هو لعب بالالفاظ .

ويستمر الشعر العربي في الانحدار فيكون شعرا ما يسمى احيانا بـ « الفترة المظلمة » من الكثرة بحيث يحجب اصالة الشعر العربي - في قرونه الاولى - عن طلبها ، ويتم له ان يحتذيه الشعراء الى عصر النهضة . على انه ينبغي ان نلاحظ ان نضاعة اللغة العربية كانت تضعف من جيل الى اخر . فقد شاعت العجمة - أيام السيطرة العثمانية - أو كادت ، فصار الشعر العربي نظما ركيكا ليس فيه شيء من عناصر الشعر .

حتى إذا كان عصر النهضة رأينا بلاد الشام ومصر تسبقان بقية الاقطار

(49) مقدمة ابن خلدون : 583 ، ولعل « عند » مصحفة عن « عدد » .

(50) ينظر الطراز في عمل الموشحات : 33 .

(51) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي

2 : 168 .

(52) ينظر الفصل العاشر من المصدر نفسه : 173-193 .

العربية اليها (53) ، وهما هنا ان نقف عند مصر ، خاصة ، لما بدا من تأثيرها في أدباء العربية بحيث اجتذبت اليها ، قبل انتهاء القرن التاسع عشر ، بعض ادباء بلاد الشام (54) ، وكان فساد احوال سوريا ولبنان ، وهجرة اللبنانيين أوطانهم (55) ، مما هيا لمصر ان تنفرد بقيادة تلك النهضة .

وكان مما هيا لمصر ان تسبق في تلك النهضة سبقا بدا تأثيره في البلاد العربية لدى مطلع القرن الحاضر موقعها الجغرافي الذي أغرى نابليون بغزوها ، فقد كانت حملة نابليون قد هيات لبعض المصريين ان يحتكوا بعلماء هذه الحملة ، وان يقرأوا تأليفهم ، وكان انفصال مصر المبكر عن سيادة الدولة العثمانية مما مهد لمحمد علي باشا ان يحتذي الغرب في النهوض بمصر (56) .

ولمحمد علي فضل كبير على النهضة في مصر ، فقد دأب على ارسال البعث العلمية الى أوروبا منذ سنة 1826م (57) « حتى يكونوا نواة لتعليم المصريين على النمط الاوربي ، ولينقلوا الى العربية أهم ما ألف في الغرب ، فأرسل كثيرا من الشباب الى فرنسا ، وبعضهم الى انجلترا ... » (58) .

وكان هناك تيار اخر هدفه احياء التراث العربي القديم ، كان قد بدأ

-
- (53) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية 4 : 6-93 .
(54) مثل جبرائيل مخلع الدمسقي المتوفى 1851 ، و خليل اليازجي المتوفى 1889 ، وساكر شفير المتوفى 1896 ، وسليمان الصولة الدمشقي المتوفى 1899 ، والشيوخ نجيب الحداد المتوفى 1899 ، وسواهم ، ينظر في مراجعهم وهجرتهم ، تاريخ آداب اللغة العربية 4 : 212 ، 218 ، 220 ، 223 .
(55) ينظر في ذلك المصدر نفسه 4 : 13-14 .
(56) تنظر مجلة الهلال ، ع 6 ، س 45 (أبريل 1937) ، نهضتنا الفكرية مازالت صراعا بين القديم والجديد ، احمد امين : 653 .
(57) نفسه ، العدد نفسه ، محمد علي باعث نهضة التعليم والثقافة ، محمد رفعت : 619 .
(58) نفسه ، العدد نفسه ، نهضتنا الفكرية ... احمد امين : 653-654 .

به المسنرفون ، ونابعهم فيه المصريون فبدأت مطبعة بولاق في عهد محمد علي نسر الكتب القديمة (59) .

ولعل مما يصور لنا هذه الحركة بتيارها أن جمعية مصرية للتأليف ، كانت قد أسست سنة 1868م « هي جمعية المعارف التي ألفها . . محمد باشا تار . . من كبار رجال السياسة ، وموظفي الحكومة ، ومن علماء الأزهر واطلام الادب والعلم والصحافة حتى بلغ عددهم (660) ونيفا . . مهنتها تأليف الكتب العلمية وترجمتها واحياء آثار الادب العربي القديم » (60) .

وانا كان من الصعب أن تتشكل الثقافة العربية بسرعة ، فان من السهل ان يستوعب العربي تراثه بزمان يسير ، وهكذا كان الامر ، فقد أثرت حركة احياء التراث في مسيرة الشعر ، فكان من آيات هذا التأثير ان رجع البارودي بدباجة الشعر العربي الى أيام زهوها ونصاعتها في العصر العباسي ، فوثب « بالعبارة الشعرية وثبة واحدة ، من طريق الضعف والركاكة الى طريق الصحة والمتانة ، وأوشك ان يرتفع هذا الارتفاع بلا تدرج ولا تمهيد » (61) .

على أن من المهم ان نلاحظ ان حركة الاحياء هذه لم تتأثر بها الاقطار العربية تأثرا مباشرا ، وكان ضعف وسائل الاتصال بينها ، وعنفا الاستعمار في طمس معالم العربية فيها ، ونشاط الدراسات الدينية مقابل ذلك العنف ، قد جعل كل قطر - فيما يبدو - يتجه اتجاها مستقلا في احياء دباجة الشعر العربي ، ففي الوقت الذي كان البارودي يتزعم تلك الحركة في مصر ، كان اليازجي يتزعمها في بلاد الشام ، ومحمود قبادو في تونس ، وكان « الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . . . في مقدمة الركب من حيث

(59) نفسه ، العدد نفسه ، نهضتنا الفكرية . . احمد أمين : 654 .

(60) نفسه ، العدد نفسه ، اول جمعية مصرية للتأليف ، لم يذكر

اسم الكاتب : 672 .

(61) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي : 90 .

قوة الاداء ، وسلامة التعبير ، فلا الشيخ رفاة الطهطاوى ، ولا اليازجيان ولا الياس صالح وغيرهم .. يمكن ان يقفوا الى جانب المشاهير من شعراء العراق في القرن التاسع عشر « (62) ، بل ان هناك من يذهب الى « ان النهضة الادبية في العراق سبقت النهضة الادبية العربية العامة » (63) .

ويهنا من حركة الاحياء هذه انها وصلت العرب بما انقطع من تراثهم في الشعر الاصيل ، فكانت مرحلة طبيعية تمهد لحركات التجديد في الشعر العربي .

اما المسألة الاخرى التي أثرت في مسيرة الشعر فهي الاطلاع على الثقافة الاجنبية والتأثر بها من خلال المجالات التي يشرف عليها المطلعون على الحضارة الغربية كالمقنطف ، ومن خلال المدارس الاجنبية ، فقد كانت في بلاد الشام مدارس « فرنسية وانكليزية ، وامريكية ، وروسية ، وايرلندية ، والمانية ، ودانماركية ، وايطالية ... امتد تأثيرها الى المدارس الطائفية ، والوطنية حتى صارت هذه المدارس تقلدها في مناهجها وخططها ، ووسائلها وغاياتها » (64) وهي تدرس لغاتها ، مثلما تدرس العربية ، وفي مصر « كان المدرسون الاجانب يلقون دروسهم على تلاميذهم باللغة الاجنبية ثم يقوم المترجمون بنقلها الى اللغة العربية » (65) .

ولعل أهم هذه الروافد في الاطلاع على الثقافة الاجنبية حركة الترجمة

(62) مجلة كلية الاداب ، ع 8 (نيسان 1965) ، الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ومنزلته من الشعر في مصر والشام ، ابراهيم الوائلي (مسنل) : 25 ، والشعراء الذين عرض لهم هم : الكاظمي ، والزهاوي ، وجواد الشبيبي ، وحسن العطار ، والأخرس ، والحبوبي ، وأحمد الشاوي وسواهم .

(63) الحالي والعاقل ، تنمة للمحق أمل الامل : 119 .

(64) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وانرها في الادب الحديث | : 62 .

(65) مجلة الهلال ، ع 6 ، س 45 (ابريل 1937) ، محمد علي باعث

نهضة التعليم والثقافة ، محمد رفعت : 619 .

التي اهتم بها محمد علي في مصر اهتماما كبيرا ، حتى روي « انه حين عاد اعضاء البعثة الاولى الى مصر استقبلهم في مجلسه بالقلعة ، واعطى كلا منهم كتاباً بالفرنسية في المادة التي تخصص فيها وأمرهم بنقل هذه الكتب الى العربية ، وأمر باقامتهم في القلعة ، والا يسمح لهم بمغادرتها حتى تتم الترجمة ، فصدع الطلبة بالامر ، وترجموا هذه المصنفات . . وطبعت بعد مراجعتها وتنقيحها ، ثم وزعت على المدارس الاميرية للاقتفاع بها » (66) ، وأسس محمد علي مدرسة الألسن سنة 1836 م فكانت « تعلم الفرنسية والانكليزية ، والايطالية ، والتركية ، وبعد ذلك بعامين او ثلاثة أنشئ قلم للترجمة من خريجي المدرسة » (67) .

وقد أتاح هذا الاحتكاك بالثقافة الغربية للادباء (68) ، ان يقابلوا بين المجتمع العربي المتخلف ، والمجتمع الغربي المتحضر ، وأن ينظروا في أدبيهما ، فيحاول بعضهم احتذاء الادب الغربي (69) ، بعد إذ صاروا « . . . يسمعون عن اقسام الشعر الاوربي ، ويفهمون ان منها ما يسمى بالغنائي ، ومنها ما يسمى بالملاحم ، ومنها ما يسمى بالتمثيلي ، ومنها ما يسمى بالقصصي ، ومنها ما يسمى بالتعليمي » (70) .

وهكذا وجد الشعراء انفسهم بازاء مسؤولية النهوض بالادب العربي الى مستوى الادب الغربي ، غير متنبهين الى انه مرتبط ببنية المجتمع ومدى

(66) المصدر نفسه ، العدد نفسه ، حركة الترجمة والتأليف في قرن من تاريخ مصر الحديث ، محمد عبدالله عنان : 669 .
(67) نفسه ، العدد نفسه ، الصفحة نفسها .
(68) ينظر في تآثر الادباء العرب بالثقافة الغربية استفتاء مجلة الهلال : « الكتب التي افادتني » واجابة الادباء عنه طيلة عام 1927 .
(69) ينظر هدف مطران من الترجمة في مجلة الرسالة : ع 616 ، س 13 (23 أبريل 1945) التجديد كما يراه شاعر القطرين ، س . العناني : ٤٢٧ .
(70) مجلة الهلال ، ع 6 ، س 45 (أبريل 1937) ، معالم الادب المصري الحديث ، العقاد : 560 .

حضارته ، فلم يجدوا الا ان يقلدوا ذلك الادب ، فدعا خليل مطران الى « شعر ليس ناظمه بعبد ، ولا نحمله ضرورات الوزن او القافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح ، باللفظ الفصيح ، ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ، ولو أنكر جاره وشانم أخاه ، ودابر المطلع وقاطع المقطع ، وخالف الختام ، بل ينظر الى جمال البيت في ذاته ، وفي موضعه ، والى جملة القصيدة في تركيبها ، وفي ترنيها ، وفي تناسق معانيها ، وتوافقها » (71) فكان ، بذلك ، أول الداعين الى وحدة الموضوع في القصيدة العربية .

وكتب امين الريحاني بين 1904-1910 الشعر المنشور (72) مقتديا فيه الشاعر الامريكي والت ويتمان (73) ، وقال الزهاوي بقطع سلاسل القافية واغلالها « وتحرير الشعر العربي من قرهما في مقالة نشرت . قبل الدستور بسنوات » (74) .

وكل هذه المحاولات يمكن ان تعد تجديدا في الشعر ، ولكنه تجديد مرهون بوعي فردي يشعر بالضالة ازاء الشعر الغربي ، اذ يرى ما فيه من جديد ، هو تجديد من لا يعرف سر تفوق الشعر الغربي ، فظن ان شكله الذي تحرر - بعد نضج - هو سر عظمته وتفوقه .

حتى اذا قامت الحرب العالمية الاولى ، وتخلصت الاقطار العربية من العثمانيين ، دخلت هذه الاقطار طورا جديدا من حياتها يتسم بالوعي الوطني والقومي ، ففي 1919 قامت في مصر ثورة شعبية احتجاجا على منع سعد زغلول من السفر الى مؤتمر الصلح في باريس ، ورفع مطالب المصريين فيه برفع الحماية عن مصر ، وكان ان أدت الاحداث ان ابلغت بريطانيا عام 1922 « سلطان مصر بانها ألغت الحماية . . . وقررت اعتبار مصر دولة

(71) ديوان الخليل 1: 9 ، وحديثه هذا يعود الى سنة 1908 .

(72) ينظر بلاغة العرب في القرن العشرين : 90 .

(73) ينظر الريحانيات 2: 181 .

(74) سحر الشعر : 56-57 .

مستقلة ذات سياده»⁽⁷⁵⁾ ، وقامت سنة 1920 في العراق ثورة شعبية مسلحة ضد الاحتلال الانكليزي⁽⁷⁶⁾ ، و « في 1925 قامت ثورة كبرى في سورية اصطبغت بصبغة وطنية استقلالية شاملة دامت نحو سنتين »⁽⁷⁷⁾ ، وفي ليبيا « أخذ عمر المختار يجمع الجموع ويواجه قوات الاحتلال ، واستمات مع رجاله في الدفاع عن وطنهم ، وواقع بالايطاليين خسائر فادحة .. وظل يقاوم ... حتى وقع أسيرا ... في 1931 »⁽⁷⁸⁾ وما حدث في المشرق العربي حدث مثله في المغرب العربي ، فقد تألف في تونس ، بعد الحرب الاولى ، حزب الدستور « الذي طالب بمنح تونس نظاما دستوريا »⁽⁷⁹⁾ ، و « أخذ الشباب في المغرب العربي يعد للثورة على الحكم الفرنسي الذي يمثله المقيم العام ... »⁽⁸⁰⁾ .

واقترن هذا الوعي بظهور طبقة متوسطة في المجتمع العربي ، وصفت في بعض الاقطار بانها « واضحة الملامح ، بينة القسمات ، وتكاد تكون لها الصدارة في المجتمع »⁽⁸¹⁾ .

ولعل من أهم تقاليد هذه الطبقة ، بل ومرتكزها الذي يهيئ لها السيادة ، هو ايمانها بالحرية ، ودعوتها الى الديمقراطية ، مما يجعل الاديب يقترب من الشعب ، ويعيد النظر في وظيفته في الحياة ، فصار يفكر في كيف ينظم ليحسب - على حد تعبير العقاد - من الشعراء النافعين العاملين⁽⁸²⁾ .

(75) الامة العربية على الطريق الى وحدة الهدف : 293 .

(76) نفسه : 183 .

(77) نفسه : 155 .

(78) نفسه : 332 .

(79) نفسه : 345 .

(80) نفسه : 381 .

(81) النقد الادبي الحديث في لبنان ، 2 : 5 .

(82) ينظر مجلة الهلال ، ع 2 ، س 46 (ديسمبر 1937) ، أدبنا

الحديث أدب ديموقراطي ، احمد امين : 127 ، وينظر نفسه ع 6 ، س 45

(أبريل 1937) ، معالم الادب المصري الحديث ، عباس محمود العقاد : 650 .

وصار - من هذا المنطلق - مفهوم الشعر العصري لدى الزهاوي
 - على سبيل المثال - ما يقوله الشاعر « بدواع عصرية أكثرها اجتماعي ، كأن
 يشاهد ظلامه فيصورها في شعره داعياً بذلك الأمة الى ازلتها » (83) ،
 وصار نعيمة يجهر بان « الشاعر لا يجب ان يطبق عينيه ويصم أذنيه عن
 حاجات الحياة ، وينظر ما توحيه اليه نفسه فقط » (84) . وهكذا صار
 الشعر - في جانب من جوانبه - ذا وظيفة اجتماعية . ومن يتصفح ديوان
 حافظ او الرصافي ، او الزهاوي ، او الشيببي ، او الشرقي يجد مصداق
 ذلك .

ولكن الوظيفة الاجتماعية لم تحل مشكلة الشعر ، وانما ظل الشعر
 الغربي حلما يحاول الشعراء ان يبلغوه . بمعنى ان تيار التقليد الجديد ،
 ونعني به تقليد الغرب ، ظل سائدا ، فكتب شوقي - بوحى منه وبالجو
 المحيط به - مسرحياته الشعرية ، وكتب مطران شعرا قصصيا ، بل وحاول
 ان يكتب ملحمة في « فيرون » (85) ، وتأثر شعراء العربية بهذه المحاولات
 فعملوا على ان يجاروها . فكتب الاخطل الصغير - على سبيل المثال -
 شعرا قصصيا (86) ، وكتب حسين الظريفي مسرحيته الشعرية « رسول
 السلام » (87) .

والحق ان مطران كان على هدي من أمر التجديد - خلاف شوقي -

(83) سحر الشعر : 71 .

(84) نفسه : 177 .

(85) تنظر مجلة الرسالة ، ع 616 ، س 13 (23 ابريل 1945) ،
 التجديد كما يراه شاعر الفطرين ، س . العناني : 427 .

(86) ينظر شعر الاخطل الصغير : 234 - 241 - 269 - 277 .

(87) ينظر حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي : 101 ، وفيه
 حسن الظريفي ، وهو تصنيف ، وطبعت المسرحية طبعة ثانية ولم يذكر لا
 تاريخ هذه الطبعة ، ولا تاريخ الطبعة الاولى فيها .

وعلى بصيرة مما يفعل ، ولكن خلقه وسلوكه اللذين اتسما بحب العزلة ،
وايثار الهدوء ، وتجنب المعارك ، وشعوره بأنه مسيحي كاثوليكي يمكن
ان يتهم بتطاوله على لغة اكتسبت قداستها من خلال القرآن الكريم (88) ،
كل ذلك جعله يسلك طريقا طويلة في التجديد يتجنب فيها - ما امكنه -
الصراع وما يجره عليه ، وذلك باثبات عقم القديم ، من خلال شعره نفسه ،
في ان ينهض بحاجات العصر . ودليلنا على ذلك ما صدر به قصيدته
« نيرون » نفسها لدى القائها في جمعية تنشيط اللغة العربية بالجامعة
الامريكية ببيروت اذ قال : « تعلمون ان الشعر العربي - الى هذا اليوم -
لم تنظم فيه القصائد المطولات الكبرى في الموضوع الواحد ، وذلك لان
التزام القافية الواحدة كان ، ولم يزل ، حائلا دون كل محاولة من هذا
القبيل . وقد أردت بمجهود نهائي ختامي أبذله أن أتبين الى أي حد تتماهى
قدرة الناظم في قصيدة مطولة ذات غرض واحد يلتزم لها رويًا واحدا ،
حتى اذا بلغت ذلك الحد بتجربتي بينت لآخواني من الناطقين بالضاد
ضرورة نهج مناهج اخر لمجاراة الامم الغربية ... » (89) .

ومن هذا الوجمل الذي ينطلق منه مطران ، تهيأ لشوقي ان يبادر فيما
يفترض ان يكون مطران رائده من كتابة المسرحية الشعرية ، ولكن هذا
لا يعني ان شوقي هو الذي أرسى دعائم التيار الموضوعي في الشعر العربي
قدر ما يكون قد أسهم فيه .

ومهما يكن من أمر فان القيم الجديدة التي نادى بها مطران - على
استحياء - لم يقدر لها ان ترسى الا على نطاق ضيق مما يجعل بها حاجة
الى مصدر جرىء يتبناها ، ويدافع عنها ، ويضيف اليها ما يستطيع .
وتبنى هذه القيم مصدران بعيدان عن وجمل مطران ، لصيقان -

(88) ينظر في خلق مطران وسلوكه ، جماعة ابولو واثرها في الشعر العربي
الحديث | : 91-88 .
(89) ديوان الخليل | 3 : 47 .

– بصورة أو باخرى – بالجو الذي خلقه ، هما : جماعة الديوان ، وجماعة المهجر ، رغم ادعاء العقاد باستقلال جماعته (جماعة الديوان) عن مطران ، وانكار كل ما له من أثر فيهم⁽⁹⁰⁾ ، وكأن لم يكن في تنبيه مطران الاذهان الى التجديد ما يؤلف وحده انعطافا في مسيرة الشعر فضلا عما نادى به من الوحدة الموضوعية في القصيدة ، ومحاولته جلاء حقيقة الشعر وجوهره .
يل ان العقاد غالى في ذلك غلوا دفعه الى القول بان مطران هو الذي تأثر بهم⁽⁹¹⁾ .

اتنا لا نريد ان ننكر ما لجماعة الديوان من فضل ، ولكننا لا نريد ان نأخذها على انها الحركة الوحيدة التي وجهت مسيرة الشعر العربي كما يفعل بعض الباحثين المصريين⁽⁹²⁾ .

ولعل أهم ما جاءت به جماعة الديوان هو معاودة النظر في فهم حقيقة الشعر من خلال قول العقاد مخاطبا شوقي : « فاعلم ، ايها الشاعر العظيم ، ان الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها ، وان ليست مزية الشاعر ان يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ، وانما مزيته ان يقول : ما هو ، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به . . . »⁽⁹³⁾
وعلى أن العقاد – كما يقول مندور – لم يعرفنا بما يريده من لباب الاشياء⁽⁹⁴⁾ ، ولم يستطع ان يكشف – فيما نرى – عن هذا اللباب من خلال دواوينه ، الا ان نظرتة هذه يمكن ان تعد بداية محاولة في تثبيت القيم الشعرية الجديدة .

ونادت جماعة الديوان ، بالوحدة العضوية ، بحيث ينبغي ان تكون

(90) ينظر شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي : 156-157 .

(91) ينظر نفسه : 157 .

(92) ينظر جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث : 82 .

(93) الديوان | 1 : 20 .

(94) محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الاولى) : 7 .

القصيدة « عملا فنيا تاما ، بكل ما فيه من تصوير خاطر او خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث اذا اختلف الوضع او تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى عنه غيره في موضعه ، الا كما تغنى الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف او القلب عن المعدة ... » (95) . ويمكننا ان نلاحظ على هذا المبدأ ان تسميته لم تكن واضحة في الاذهان ، فمطران كان قد سماه من قبل الوحدة الموضوعية و « أخذ به في طول قصائده القصصية والدراماتيكية بل في سائر قصائده » (96) والعقاد نفسه - رغم فهمه ما يريد - يسميه تارة الوحدة المعنوية (97) ، وأخرى وحدة الصنعة (98) ، وثالثة الوحدة الفنية (99) .

وكان عبدالرحمن شكري قد نادى - من قبل - بمبدأ اخر هو « أن أجل المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس ، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم ... فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء وآراؤه ونجاربه وأحوال نفسه ، وعبارات عواطفه ، وليست المعاني الشعرية كما ينوهم بعض الناس التشبيهات ، والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة » (100) .

وعلى اتنا لا نعلم إن كان ميخائيل نعيمة قد اطلع على ما نادى به شكري أم لا ، الا ان المقاييس الادبية التي نادى بها في « الغربال » يمكن ان تكون

(95) الديوان | 2 : 130 .

(96) محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الاولى) : 15 .

(97) ينظر الديوان | 2 : 130 .

(98) ينظر الديوان | 2 : 130 .

(99) ينظر نفسه | 2 : 141 .

(100) ديوان شكري | 364 (ويرجع القول الى عام 1916) .

توضيحا دقيقا لما جاء به شكري ، فمقاييس الخلود الادبي لديه هي معالجة
الادب لحاجات مشتركة بيننا أولها لديه « حاجتنا الى الافضاح عن كل ما
ينتابنا من العوامل النفسية من رجاء ويأس وفوز وفشل ، وايمان وشك ،
وحب وكره ، ولذة وألم ، وحزن وفرح ، وخوف وطمأنينة . وكل ما يتراوح
بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الاثعالات والتأثرات » (101) ، ولا بد
أن يكون سر هذا الالتقاء انهما ينهلان من مصدر واحد هو الادب العربي .

ومعنى هذا ان ما كان لدى شكري موضع تفاضل في المعاني ، صار لدى
نعيمة حاجة انسانية يتوقف عليها - فيما يتوقف - خلود الادب . ويبدو ان
مدرسة المهجر او الرابطة القلمية - في الاقل - كانت تسلم بفهم نعيمة هذا من
خلال اعمالها .

على ان هذا المبدأ يمكن ان يعدنكوصا عن التيار الموضوعي الجديد الذي
نادى به مطران وحاول يطبقه في شعره .

ومن هذا المنطلق يمكن ان نقول : انه ساد بعد الحرب العالمية الاولى الى
جانب التيار الموضوعي في الشعر تيار اخر ذاتي يعنى بالانسان من حيث هو ذات
وثالث اجتماعي ولكن هذين التيارين الأخيرين لم يكونا بسعزل عن تفاليد
الطبقة الوسطى السائدة التي استطاعت ان تحول الادب - بصورة عامة - من
قصور الامراء الى حياة الناس . وكل ما في الامر ان الشعراء اختلفوا في كيفية
تناول هذه الحياة ، فمنهم من أخذها مجتمعة ، فحاول تصوير هموم المجتمع ،
وذلك هو التيار الاجتماعي ، ومنهم من أخذها منفردة من خلال الذات ،
وذلك هو التيار الذاتي ، على حين انصرف التيار الموضوعي - في الغالب -
الى التاريخ .

ومما ساعد على شيوع التيار الذاتي في الشعر - فضلا عن قيمته في التراث
الشعري العربي - اطلاع هؤلاء الشعراء - واعني جماعة الديوان ومن تأثر بهم -

(101) الغربال | : 72 .

على المدرسة الرومانتيكية التي تؤلف الفردية فيها اكثر المواقف تمثيلا لها وايضا (102)، فقد اطلع هؤلاء على المدرسة الرومانتيكية الانجليزية الامريكية ممثلة بأعلامها من أمثال : كارليل ، وجون ستورتن ميل ، وشلي ، ويرون ، وورد زورث ، وتأثروا بهم . ومما يؤكد وجهة نظرنا في ان شيوع التيار الذاتي كان من تقاليد الطبقة الوسطى هو ان العقاد يحاول ان يدفع تأثير شعراء مصر بهذه المدرسة تأثير المعجب المقلد فيقول : « ان روح هذه المدرسة كانت تسرى فيهم سريان التشابه في المزاج ، واتجاه العصر كله ، ولم يكن تشابه التقليد والفناء » (103) . ومعنى ذلك ان اعجابهم يأتي من انهم وجدوا تقاليد الطبقة الوسطى وما تدعو اليه متحققة من خلال الرومانتيكيين الذين هم تتاج هذه الطبقة في أوروبا .

ان المدرسة الرومانتيكية لم تنفرد بتأثيرها في شعر ما بعد الحرب ، وانما كانت الرمزية تسير الى جانبها مع فارق في التأثير (104) ، ومرد ذلك الى ان جماعة الديوان ومن شايهم لم يكونوا يصرون عن فلسفة ، وانما كانوا يصرون عن نفوسهم الثائرة ، وثقافتهم المتنوعة (105) ويبدو ان ضعف تأثير الرمزية تابع من كونها مرتبطة بانفتاح لبنان على ادب الغرب ، اكثر من كونها مرتبطة بتطور المجتمع .

ومهما يكن من أمر فان مجد الرومانتيكية قد تحقق تطبيقا على يد جماعة أبولو ، وليس جماعة الديوان ، ومرد ذلك - فيما نظن - الى انه لم يكن بين جماعة الديوان من رزق موهبة تستطيع ان تؤثر في جيل من الشعراء ، اذ لم

(102) . الرومانتيكية في الادب الانجليزي : 14 .

(103) شعراء مصر وبيئاتهم : 152 .

(104) ينظر لبنان الشاعر : 172 ، وقول صلاح لبكي : « انطلقت شرارة الرمزية في لبنان مشعشة مع (نشيد السكون) وهي قصيدة لأديب مظهر ، فنشيد السكون تؤلف بحق مطلع عهد ادبي جديد ، وان يكن تفتح الرمزية باكمل مظاهرها قد تأخر الى ما بعد سنة 1936 » . و (نشيد السكون) نشرت في العشرينات .

(105) جماعة ابولو : 102 .

يبقى منها غير العقاد الذي لم يحتل منزلته شاعرا ، اما المازني فقد انصرف - كما هو معروف - الى النثر ، واما شكري فقد انقطع عن قول الشعر بعد ان خاصمه صاحبا ، وحاول المازني تهديمه (106) .

على حين رزقت جماعة المهجر ، وجماعة ابولو طائفة من الموهوبين هيأت لهما ان يؤثران في مسيرة الشعر العربي ، ويطورا .
ولعل من اهم ما اضافته هاتان الجماعتان هو تجديد اللغة الشعرية على يد جماعة المهجر ، وابتعادهم بها عن الخطابة الى الهمس (107) ، وابتكارات جماعة ابولو في طرائق التعبير والتوزيع في استخدام الاوزان والقوافي (108) مما هيا لهما توطيد تقاليد الروماتيكية في الشعر من خلال شهرة طائفة من شعرائهما كأبي ماضي ، ونعيمة ، وجبران ، والمهندس ، والشابي ، وأبي شبكة ، وابراهيم ناجي (109) .

ومن المفيد هنا ان ننبه - ونحن نبحت تأثير هذه الجماعة او تلك في مسيرة الشعر - الى ان ما يجد لدى هذا الجيل أو ذلك من رأي في الشعر لم يكن يتسلمه الجيل التالي عن دراسة واستيعاب وانما يتسلمونه وكأنه مما يشيع في الجو الادبي . وبعبارة اخرى فان كل جيل يبدأ وكأنه منفرد عن تجارب السابقين . وفي هذه الحقيقة ما يمكننا من تحليل انتهاب خيال الشبيبة - في الاربعينيات - بشعراء ابولو (110) دون سواهم ممن سبقهم .
ومهما يكن من أمر فان مصر كادت تسلم الراية - بعد جماعة ابولو - الى

(106) ينظر الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الاولى) : 88 .

(107) ينظر في الميزان الجديد : 69-85 .

(108) ينظر محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الثالثة) :

. 78 .

(109) مما ينبغي ملاحظته ان المدرسة الرمزية رغم تبني سعيد عقل وبشر فارس اياها كانت ما تزال ضيقة التأثير للسبب السابق نفسه ، ينظر مجلة عالم الفكر ، ع 2 ، مج 4 (يوليو ، اغسطس ، سبتمبر 1973) ، الشعر العربي المعاصر وتطوره ومستقبله ، د. سلمى الخضراء الجيوسي :

. 18-17 .

(110) نفسه : 16 .

العراق ان لم تكن اسلمتها فعلا في الحقبة التي لمع فيها اسم الجواهري ممثلا لكل انجازات الشعر العربي ، فاذ اخفق الرصافي في ان يوفق بين الشكل وتجديد المضمون اخفاقا طبيعيا ، لان المضمون الجديد غالبا ما يسبق الشكل (111) استطاع الجواهري ان يجمع الى وعيه التاريخي وعيا فنيا عاليا جعله « من أعظم الشعراء السياسيين في العالم العربي ان لم يكن أعظمهم ، ففصائده نفل بالمتلقين فعل السحر الخالص ... ولقد شكل قاموسه الشعري التميز خلفيّة قوية لشعراء الرفض والتورة في الخمسينات ، وعلى رأسهم السياب » (112) .

ونحن انما نؤكد دور الجواهري ، هنا دون سواه لاسباب من اهمها انه ارتبط - وهو في قمة نضجه الفني - بالمدرسة الواقعية ، مما جعل الشعراء الشباب في العراق ظلالة ، فهم يكتبون شعرهم السياسي والاجتماعي - كما يقول السياب - على طريقة الجواهري (113) ، وكأنهم يحسون - بدرجات متفاوتة - ان هذا اللون من الشعر يكاد يكون مكتملا ان لم يكتمل فعلا على يد الجواهري . ولما كان الشاعر الحديث « يجب ان يثبت فرديته باختطاط سبيل شعري معاصر يصب فيه شخصيته الحديثة » (114) ، ولما كان هذا الجيل من الشعراء ايضا قد فاجأته الحرب العالمية الثانية ، وهو غارق في عوالم الروماتيكية الحاملة (115)

(111) عن تجديد الرصافي ينظر جريدة الثقافة الوطنية ع 5-6 ، س 8 (ايار ، حزيران 1959) ، التجديد في شعر الرصافي ، الدكتور صلاح خالص : 17-19 .

(112) مجلة عالم الفكر ، ع 2 ، مج 4 ، الشعر العربي المعاصر وتطوره ومستقبله ، الجيوسي : 25 .

(113) تنظر جريدة الحرية ، ع 908 (16 حزيران 1957) ، التجديد في الادب العربي ، بدر شاكر السياب : 3 ، وينظر الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958 : 319 .

(114) قضايا الشعر المعاصر : 44 ، ويلاحظ ان نازك لم تذكر الجواهري في كتابها كله ، وانما افترضت ان الشاعر الحديث يريد ان يتخلص من ظل امرئ القيس والمتنبي والمعري ، ولعل لاختلاف اتجاهها السياسي عن اتجاه الجواهري اثرا في استبعادها اسمه .

(115) بدر شاكر السياب ، دراسة في حياته وشعره : 30 .

فاطلعت على الهوة التي تفصله عن مجتمعه ، ونبهته الى وجوب نبذ الروماتينية والانجاء الى الواقع (116) فقد كان عليه ان يبحث عما يضمن هذا الاتجاه من طريق غير الطريق التي سدها الجواهري ، فرأى في الاوزان الحرة ما يتيح له « ان يهرب من الاجواء الروماتينية الى جو الحقيقة الواقعية التي تتخذ العمل والجد غايتها العليا » (117) .

وسواء استطاع رواد الشعر الحر التخلص من الروماتينية أم لم يستطيعوا ، فإن دعوة نازك نفسها الى هجر التعبيرات الجاهزة في اللغة ، وادخال الفاظ جديدة لم تستعمل في الشعر من قبل (118) ، هي اثر من آثار المدرسة الروماتينية .

ومهما يكن من أمر فإن حركة الشعر الحر استطاعت ان تحقق امانى المجددين قبلها في مطلع هذا القرن ، فقد تخلص الشعر أو كاد من أسر القافية الذي اشتكى الزهاوي منه وهياً للشعراء ان يتجهوا اتجاها جادا الى المسرحية الشعرية فكتب بعضهم كصلاح عبد الصبور ومعين بسيسو وعبد الرحمن الشراوى مسرحيات قوبلت بالنجاح ، وانتهت الحركة ايضا ما احاطت اللغة الشعرية من هالة تواجهها في كل قصيدة فاقترب نفر غالب من شعرائها الى لغة تكاد تكون قريبة من لغة الحديث اليومي .

وأتاح باعتمادها التفعيلة أساسا ، وليس البحر ، مجالا أوسع للتعبير ، فهجرت الاشارة التاريخية العابرة الى الرمز وطورت هذا الرمز فصار قناعا يتلبسه الشاعر ، ويفضي من خلاله ، بسوقه .

ولكن هذه الانجازات لم تسلم من العبث ، ومن ضعاف المواهب ، فقد تبنت مجلة « شعر » اللبنانية اتجاها آخر هدفه البعد عن الواقع باسم الواقعية يرى أن حركة الشعر الحر « كانت ... تظن ان تحطيم الاوزان

(116) ينظر قضايا الشعر المعاصر | : 43 .

(117) ينظر نفسه | : 43 .

(118) ينظر شظايا ورماد | : 8-9 .

التقليدية الرتيبة بالتلاعب بتفصيلاتها يحقق... النقل العفوي الحي الصادق ، بل ان الاستغناء عن هذه الاوازن جملة ، باعتماد الايقاع الشخصي الداخلي ، يحرر الشاعر أكثر فأكثر نحو فضح أسراره ودخائله غير ان هذه الخطوة الكبرى لم تحقق من الغاية الا بعضها . وهكذا اصطدمت الحركة بجدار اللغة : فاما ان تخترقه أو ان تقع صريعة أمامه ، شأنها شأن المحاولات الشعرية التجديدية ، بما في ذلك التوشيح الاندلسي . وجدار اللغة هذا هو كونها تكتب ولا تحكى ، مما جعل الادب - وخصوصا الشعر ، لانه الصق فنونه باللغة - أدبا اكاديميا ضعيف الصلة بالحياة « (119) » .

ومن هذا المنطلق اتجهت المجلة الى قصيدة النثر وتبني نماذجها ، والى كسر طوق اللغة من خلال اللغة التي لاتقول شيئا وكأنها تجدد مجد الدادائيين ، ولعل أبرز من يمثل تيار مجلة « شعر » هم يوسف الخال ، وانسي الحاج ، وتوفيق صائغ ، وفؤاد رفقة ومن اليهم .

ولعل أبرز سمة تجمع بين أغلب شعراء مجلة « شعر » هو انطباع شعرهم بالغموض ، سواء كان نابعا من ضميم التجربة الشعرية او طارئا عليها ، حتى لكأن الغموض - في شعر هذه المجلة - قيمة شعرية مستقلة لاتعني شيئا سوى تأكيد العبث واللاجدوى .

أما المسمة الاخرى فهي النزوع الى التجريب المستمر في الأشكال الشعرية، وكان الضياع الفكري يجد في التجريب تعويضا عنه ، ويتخذ من التجديد قيمة منفصلة عما حولها ، هدفها الابتعاد عن التراث ، وقطع كل صلة به .

ويهمنا من أمر هذه المجلة أنها لم تكن ظاهرة منفردة ، وانما هي جزء من خط عام تموله « المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، وهذه المنظمة تعيش على تبرعات

(119) مجلة شعر ، ع 31-32 ، س 8 (صيف - خريف 1964) ، بيان ، يوسف الخال : 7-8 .

سنوية كبيرة ثابتة تدفعها بعض الشركات الرأسمالية المعروفة في أمريكا...» (120) وان هذا الخط استطاع ان يؤثر ، بوعي المتأثرين (121) ، وبدون وعيهم (122) - منذ اواخر الخمسينات - في مسيرة الشعر العربي .

وبتأثير من الجو الذي اشاعته المجلة كان صدور البيان الشعري في العراق سنة 1969 (123) ، واستبشار طائفة من الادباء الشباب في الوطن العربي به ، واستتكار طائفة اخرى له (124) . ولكن صدور هذا البيان لا يعني أن موقعه ممن يلتقون مع خط مجلة « شعر » التخريبي ، قدر ما يعني ان هذا الخط استطاع - في ظل اليأس الذي اشاعته هزيمة حزيران - ان يجد له منفذا الى اذهان الشباب .

من خلال هذا الاستعراض لمسيرة الشعر العربي يمكننا ان نلاحظ ان أغلب حركات التجديد فيه كانت مرتبطة بتطور المجتمع ، ولكن أغلبها - رغم ذلك - كان يثير صراعا ، مما يجعلنا مطالبين بالتعرف على تأريخ هذا الصراع من خلال الفصل التالي .

(120) اصوات غاضبة في الادب والنقد : 189 .

(121) مما يلفت النظر ان غالي شكري - كما ورد في اصوات غاضبة : 205 - كان يرأسل مجلة « حوار » باسم مستعار هو احمد رشدي حسين « وكل ما يكتبه ... مسموم وملء بالافكار الفريية » ، ويقال انه اعترف باخطائه واعتذر عنها ، ويهمننا انه كان يكتب - في الوقت نفسه - باسمه الصريح في مجلة « شعر » مما يدل على وعي بما يفعل .

(122) ممن اسهم في مجلة « شعر » دون وعي بخطها - كما يقول السياب - نازك ، و خليل حاوي ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، وهو ، تنظر مجلة الف باء ، ع 431 ، س 9 (22 كانون الاول 1976) حوار مع السياب ، أعد عن مقابلة اذاعية قديمة : 34 .

(123) ينظر نص البيان في مجلة الشعر 69 ، ع 1 ، س 1 (مايس 1969) ، البيان الشعري ، فاضل العزاوي ، فوزي كريم ، سامي مهدي ، خالد علي مصطفى : 3-16 .

(124) تنظر اصداء البيان في المصدر نفسه ، ع 2 ، س 1 (حزيران 1969) : 129-132 . ع 3 ، س 1 (تموز 69) : 98-103 ، ع 4 ، س 1

(آب 1969) : 120-199 .

الفصل الأول

تاريخ الصراع في الشعر العربي

تاريخ الصراع في الشعر العربي

ونفهم من الصراع تلك الحركة التنفيذية التي نخرج عن اطار الموضوعية ، خاصة في بداية أمرها ، والتي يثيرها الخروج بهذا المقدار او ذلك عن مفهوم الشعر السائد في عصر ما ، سواء أكان هذا الخروج نظريا أم علميا . ولعل مما يفرق هذه الحركة النقدية عن سواها بحيث نسميها صراعا انها مرتبطة بالحركة الاجتماعية ، واذا كان الصراع الاجتماعي مرتبطا ارتباطا أساسيا بالدفاع عن مصلحة الطبقة النامية فيه على حساب مصالح الطبقات الأخرى ، فان الصراع الأدبي - وهو مظهر من مظاهر ذلك الصراع - مرتبط على الأمد البعيد ، بشكل ما ، بهذه المصلحة ، الا اننا لا نزعّم ان الوعي بهذه المصلحة هو الذي يثيره دائما . بل لعلنا لا نبعد عن الصواب اذا قلنا : ان طائفة من الأدباء يدخلون طرفا في الصراع وهم - فيما يخيل اليهم - لا ينظرون الى ما هو أبعد من القضية الأدبية .

واذا كانت وظيفة النقد الأدبي تقويم النص وتفسيره ، وبيان قيمته ، فان هذه الحركة النقدية أبعد ما تكون عن تلك الوظيفة ، فهي تكتفي - في بداية أمرها - باطلاق الأحكام التي لاتخرج عن كون هذا اللون مسن الشعر أو ذلك ليس بشعر . ومن هذه الحقيقة يكون من سماتها انها - وكل طرف من أطرافها يطمح الى فرض رأيه على الجو الأدبي ، وكأنه لا بديل له - لا تتوصل الى أي من رأيي طرفيها كما هما ، وانما ينجم عنهما بالحوار رأي ثالث أقرب الى التوسط منه الى الغلو ، وأميل الى رأي أنصار الجديد منه الى أنصار القديم .

ومن سمات تلك الحركة النقدية أيضا انها تتعدى أدباء العصر الى متذوقي الشعر ، وإلى من هم دون مستواهم اهتماما به ، وانها تستر حقة طويلة نسيها .

واذ نحاول أن نؤرخ صراع الشعر العربي بهذا المفهوم ، فانه ينبغي لنا ان نقف عند الشعر الاموي وقفة عابرة ، لان في أخبار شعرائه ما يوحى - لاول وهلة - بانه أثار صراعا ، فقد قيل انه كان « جرير والفرزدق والاخلط وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته » (1) . ولكننا رأينا أبا عمرو نفسه ، وهو من يفترض فيه أن يكون ممثل أنصار القديم في هذه الرواية ، كان يهتم بما يحدث الفرزدق من شعر فيسأله عنه (2) ، ورأينا ان الاصمعي كان قد قرأ عليه شعر جرير (3) ، مما يدلنا على ان موقعه من الشعر الاموي - في اسوأ تقدير - لم يطل ، وانه سرعان ما تراجع عنه ، ويقودنا ذلك الى انه لم يكن هناك من صراع حقيقي ، والى ان كل ما في الامر هو خروج بعض اولئك الشعراء على سنن العرب في لغتها واعرابها ، وملاحظة علماء العربية ، ورواة اللغة ، آياهم على هذا الخروج ، بيد أن هذه الملاحظة لم تكن من العنف والوضوح بحيث تستحيل صراعا ، وآية ذلك أن ابن أبي اسحاق - على سبيل المثال - كان « يكثر الرد على الفرزدق » (4) حتى اضطر الفرزدق الى هجائه في قوله :

ولو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

(1) الشعر والشعراء 1 : 63 .

(2) ينظر الموشح : 176 .

(3) ينظر نفسه : 198-199 .

(4) طبقات فحول الشعراء : 18 ، وينظر الموشح : 157 .

الا آنا وجدنا الفرزدق - مع كل ذلك - وقد بلغه ان الناس يتحدثون عن إقواء له في احدى فصائده ، ولم يكن يدري ان ابن أبي اسحاق هو المنحدث به - أقول : وجدناه يقول : « فما بال هذا الذي يجرح خصييه في المسجد - يعني ابن أبي اسحاق - لا يجعل له بحيلته وجها ؟ » (5) . ومعنى ذلك ان الفرزدق نفسه لم يأخذ الامر على ان علماء العربية - وابن أبي اسحاق من أشدهم عليه - طرف في صراع مثار بوجهه وأوجه أضرابه من الشعراء الامويين ، والا لكان ساذجا في أن يطلب من خصمه نجدته ، ولكنه لم يكن كذلك ، ففي أخبار ابن أبي اسحاق ما يكشف عن أنه وقف بوجه عنسة القيل دفاعا عن الفرزدق (6) .

من كل ما سبق يتضح انه لم يكن هناك صراع حقيقي دار على شعر الامويين ، ومرد ذلك - فيما يخيل الينا - الى انهم لم يحدثوا شيئا يخرجون به على طريقة العرب فنيا ، وأنهم في خروجهم ، أو خروج بعضهم - على الاصح - لان اخبار هذا الخروج تدور على شعر الفرزدق وحده ، لم يعدوا من يحتج لهم من علماء العربية أنفسهم (7) ، وان معاصرتهم علماء العربية - وهي سبب من اسباب تقليل شأنهم لدى العلماء في رأي ابن قتيبة (8) - مسألة كفلت السنون بمرآها اهمالها .

أما الصراع الحقيقي فهو ما دار في العصر العباسي على شعر المحدثين من العباسيين ، فقد روي عن الاصمعي ان طائفة من رواة الكوفيين « قد ختموا الشعر بمروان بن أبي حفصة » ، ولم يعترفوا لبشار (9) . ويدلنا

(5) الموشح : 159 ، والخبر مروى في طبقات فحول الشعراء : 16 ، ولكن روايته في الموشح اوضح فأخذناها منه .

(6) ينظر الموشح : 159 .

(7) ينظر طبقات فحول الشعراء : 21 ، والموشح : 159 ، 160 ،

165 - 166 .

(8) ينظر الشعر والشعراء : 62-63 .

(9) الموشح : 392 .

هذا الخبر - رغم اعتراف الرواة فيما بعد لبشار - ان تلك الطائفة من رواة الكوفيين حن أخرجوا بشارا من دائرة الشعر لم يكونوا يتخذون من الزمن معيارا في ذلك ، لان بشارا ومروان متقاربان في الميلاد ، ان لم يكن بشار أسبق منه مولدا (10) ، وانهما عاشا في عصر واحد ، وانما كان أولئك الرواة ينطلقون من زاوية نظر فنية تأخذ اتباع طريقة الاوائل معيارا وحيدا في النظر الى الشعر ، اذ أن مروان « آخذ بمسلك الاوائل » (11) على حين ان بشارا عُدَّ في عصره « أول من جاء » (12) بالبديع ، وإذن فان ختم الشعر بمروان معناه ان المحدثين - وعلى رأسهم بشار - خارجون عن طريقة العرب في الشعر .

وسلك الصراع مرحلتين ، كان في الاولى يدور على الشعراء المحدثين بصورة عامة من أمثال بشار بن برد ، وأبي نواس ، وابن منذر ، والعباس ابن الأحنف ، وأبي العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، ومن اليهم . وكان في الثانية يدور على أبي تمام وحده ، وكان معايب المحدثين قد تجمعت فيه .

أما خصوم المحدثين ، فنعد منهم - مهتدين بأخبار أولئك المحدثين معهم - ابن الاعرابي (13) ، وأبا عبيدة (14) ، وخلفا الأحمر (15) ، والمفضل

(10) يرجح الدكتور البصر في كتابه : في الادب العباسي : 125 ان بشارا ولد قبل نهاية القرن الاول بما لا يتجاوز خمس سنوات ، على حين ولد مروان - كما هو معروف - سنة 105 هـ ، اي ان بشارا اسن منه بعشر سنوات .

(11) الموشح : 392 .

(12) طبقات الشعراء : 235 .

(13) ينظر الموشح : 314 .

(14) ينظر نفسه : 453 .

(15) ينظر نفسه : 453 .

الضبي (16) ، والاصمعي (17) ، واسحاق بن ابراهيم الموصلي (18) ، وأبا علي البصير (19) .

أما انصارهم فنعد منهم : محمد بن صالح بن بييس الدمشقي (20) ، والجبّاز البصري (21) ، وراوية أبي نواس أبا علي الاصفر الضرير (22) ، وأحمد بن أبي طاهر (23) ، وعمر بن شبة الذي اهتم برواية اخبار المحدثين وأشعارهم (24) ، ويحيى بن علي المنجم الذي عمل رسالة يفضل فيها العباس ابن الاحنف علي العتّابي (25) ، وأبا الهباري (26) ، وأبا عبدالله هارون ابن علي الذي ألف كتاب « البارع » وهو اختيار شعر المحدثين (27) ، وابن المعتز الذي ألف فيهم كتابه « طبقات الشعراء » ودعبل بن علي الذي ألف في الموضوع نفسه (28) ، وأبا هفّان الذي ألف كتابه « أخبار أبي نواس »

-
- (16) ينظر الشعر والشعراء ، 1: 73-74 ، فعيه ما يوحى بان الرشيد لا يطمئن الى انصاف المفضل في أبي نواس .
- (17) ينظر الموشح : 445 ، والاغاني 8 : 356 .
- (18) ينظر نفسه : 453 .
- (19) ينظر نفسه : 434 .
- (20) ينظر رايه في أبي نواس ، في الموشح : 424 .
- (21) ينظر ادراكه أساليب انصار القديم في الطعن على أبي نواس في الموشح ايضا : 428-429 .
- (22) ينظر نفسه : 430 .
- (23) تنظر مناظرته ابا علي البصير في أبي نواس خاصة ، في المصدر نفسه : 434 وما بعدها .
- (24) ينظر اهتمامه - على سبيل المثال - بشعر العباس بن الاحنف وبشار في المصدر نفسه : 447-448 ، وفي الاغاني روايات كثيرة عن المحدثين بسنده ، وهي من الكثرة بحيث لا نرى حاجة الى الاستشهاد عليها .
- (25) ينظر الموشح : 449-450 .
- (26) ينظر نفسه : 457 .
- (27) ينظر الفهرست : 212 .
- (28) ينظر الموازنة 1 : 19 .

وكان أحد رواته (29) ، ومحمد بن زياد راوية أبي العتاهية (30) ، وسوى هؤلاء كثير .

ونعد من العلماء المنصفين ، الذين وقفوا من المحدثين موقفا معتدلا الجاحظ ، فقد انتقد موقف أنصار القديم من المحدثين (31) ، وابن قتيبة الذي رفض ان ينظر الى المتقدم من الشعراء « بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره » (32) ، وأبا العباس محمد بن يزيد المبرد الذي أَلَّف كتاب « الروضة » مختاراً فيه شعر المحدثين (33) .

ولنا ان تصور ان انصار القديم روجوا في الجو الادبي لجملة فضايا يؤخذون بها شعر المحدثين هي : اللحن ، فقد أخذ الاخفش على بتار قوله : « الوجلي » و « الغزلي » (34) ، وكان المبرد يقول : « .. أبو نواس لحانة » (35) ، والافراط في طلب البديع ، وقد انهم به أبو نواس (36) ، ومسلم بن الوليد حتى قيل فيه انه « أول من أفسد الشعر » (37) ، وسخف الالفاظ ، وقد أخذ ذلك على العباس بن الاحنف (38) ، وابي العتاهية (39) ، والغلو والاسراف ، فقد كان المبرد يقول : « في المحدثين اسراف ، وتجاوز ، وغلو ، وخروج عن المقدار » (40) ، والاحالة ، وقد أخذت على يزيد ابن

(29) ينظر طبقات الشعراء : 410 .

(30) ينظر نفسه : 229 .

(31) ينظر الحيوان 3 : 13 .

(32) الشعر والشعراء 1 : 62 .

(33) ينظر المل السائر 2 : 12 .

(34) ينظر الموشح : 384-385 .

(35) نفسه : 414 .

(36) ينظر نفسه : 418 .

(37) الموازنة 1 : 17 .

(38) ينظر الموشح : 401 ، 445 ، 446 ، 447 .

(39) ينظر الاغاني 4 : 14 ، 47 .

(40) الموشح : 456 .

محمد المهلبى (41) ، وابي نواس (42) ، ومسلم بن الوليد (43) .

وللباحث ان يلاحظ على انصار القديم في هذه المرحلة من الصراع ، ان أحدا منهم لم يكن ذا موقف واحد من جميع المحدثين ، كأن يتعصب عليهم جميعا ، فلا يرضى أحدا منهم ، وانما هو لا يجد حرجا في ان يعجب بهذا الشاعر المحدث او ذلك دون سواه من المحدثين ، ففي الوقت الذي يبلغ فيه خلف الأحمر من التعصب على المحدثين ان يرمي ابن مناذر بصفحة مملوءة مَرَفًا لانه طلب اليه أن يقيس شعره الى أشعار الجاهليين (44) ، أفول : كان مع هذا التعصب يأتي هو وخلف بن أبي عمرو بن العلاء « بشارا ، ويسلّمان عليه بغاية التعظيم ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ماذا أحدثت ؟ فيجرهما وينشدهما ، ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له ... » (45) . واذ يسخط ابن الاعرابي شعر ابي نواس (46) ، فان ذلك لم يمنعه أن يصف شعر العباس بن الاحنف بانه « ... قريب مليح » (47) وان يعجب بشعر أبي العتاهية (48) ، كما لم يمنع الاصمعي - رغم اعراضه عن شعر العباس - وقد سئل عن أحسن ما يحفظ للمحدثين ان يقول : « قول العباس ابن الاحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكّنتِ روعتي أملي رضاك ، وزرت غير مراقب
لكن مللت ، فلم تكن لي حيلةً صدّ الملوذِ خلف صدّ العاتب (49)

ولم يكن اسحاق الموصلي يجد حرجا في ان يكون : « في كل أحواله

(41) ينظر الموشح : 525 .

(42) (43) ينظر نفسه : 416 419-420 .

(44) تنظر القصة في الموشح : 453 .

(45) الاغاني ' 3 : 190 .

(46) ينظر الموشح : 425 .

(47) الاغاني 8 : 362 .

(48) ينظر نفسه 4 : 13-14 .

(49) نفسه ، 8 : 355 .

ينصر الاوائل (50) ثم يستطرف بعض شعر العباس بن الاحنف (51) ،
ويقدمه في المديح على ابي العتاهية (52) .

ولا تريد ان نطيل في ذكر ما يريد ملاحظتنا ، ففي تصفح أخبار الشعراء
المحدثين ، وفيما يبدو متناقضا من آراء العلماء بشعرهم ، دليل كاف عليها ،
وتعزيد لرأي من قال ان الصراع في هذه المرحلة لم يكن حادا (53) ، ولكن
هنا ان نحاول تعليل ذلك ، فنقول : ان في اهتمام مجالس الخلفاء بأشعار
المحدثين ومدائحهم ، وارتباط جل اولئك العلماء ، ان لم يكونوا كلهم ،
بتلك المجالس ما يحملهم - فيما نظن - على التنازل عن آرائهم ، وعلى الاهتمام
بشعر معاصريهم بضاعة يزجونها بين أيدي الخلفاء ، والوزراء والقواد ،
والكتاب ، لاسيما ان دوران الصراع على مجموعة من الشعراء يهيء لهم
انتقاء شاعر من بينهم دون سواه ، وخصته بالرضى أو بالاعجاب . ولا بأس
ان يدخل في دوافع الانتقاء اقتصاد الشاعر في اتباع طريق المحدثين ، ورضى
« البلاط » عنه واعجابه بشعره ، وتقريبه اياه ، ومؤهلته الفنية والخلقية ،
بعد ذلك ، ولعل أوضح مثل نسوقه على أهمية تلك المؤهلات ، شخصية بشار
ابن برد ، فهو يجمع الى فصاحته وعلمه خلقا وعرا خشنا يخشاه النقاد ، ورواة
الشعر ، وعلماء العربية ، فقد بلغ جزع الاخفس من احتمال هجاء بشار إياه
ان بكى (54) ، وكان سيبويه « اذا سئل عن شيء فأجاب عنه ، ووجد له
شاهدا من شعر بشار احنج به استكفافا لشره » (55) . فضلا عن كل تلك
العوامل فان إصراف أبي تمام في طلب البديع ، وولعه بطريقة المحدثين ، كان

(50) الموشح : 408 .

(51) ينظر الاغانى 8 : 358 .

(52) ينظر نفسه ، 8 : 371 .

(53) ينظر تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر ، من القرن

الثاني حتى القرن الثامن الهجري : 89 .

(54) ينظر الاغانى 3 : 209-210 .

(55) نفسه 3 : 210 .

مما يبعث بعض العلماء على التراجع عن مواقفهم السابقة تجاه بعض
المحدثين الذين سبقوا أبا تمام .

وإذن فقد كانت حدة الصراع قد تثبت ، في المرحلة الثانية ، على شعر
أبي تمام ، وكان لها جملة أسباب يمكن أن تلخص في أنه يحرصه على كل ما
يقول من شعر ، دون تنقيته ، واطراح الرديء منه (56) ، كان يهين لخصوم
المحدثين حجبا في الوقوف ضد شعره ، وأن هؤلاء الخصوم من نقاد ورواة
وعلماء كانوا - وهم يقفون بوجهه - في حل* من أن يتهموا بالتعصب على
المحدثين ، وبالخروج على روح العصر ، لانهم وضعوا البحتري - وهو محدث -
قبالته ، فضلا عما أعجبوا به من شعر مسلم بن الوليد ، أو العباس بن الاحنف
أو أبي العتاهية ، كأنهم بذلك يريدون ان يصوروا المسألة - فيما يخيل
الينا - على انها وفوف بوجه شاعر متطرف في طاب البديع وليس بوجه شعر
المحدثين تعصبا للتقديم ، على حين ان وقوفهم ضده - كما يبدو لنا - يمكن
ان يعد تعبيراً عن رفضهم تجاوز حدود التجديد المسموح به . ويدخل في
هذا الباب ، وأعني أسباب حدة الصراع ، أن أبا تمام لم يكن على مثل خلق
بشار مثلا ، فقد روى عنه انه « كان . . . لا يجيب هاجيا له ، لانه كان لا
يراه نظيرا ، ولا يشتغل به » (57) . وعلى أننا لا نقبل مثل هذا الخبر على
علاته ، لاننا وجدنا له أهجيات ردا على شعراء هجوه (58) ، الا أن ذلك لا يدلنا
على انه كان ممن تخشى معرفة ألسنتهم ، كما كان بشار .

أما خصوم أبي تمام ، فنعد منهم : ابن الاعرابي (59) ، ودعبل بن علي
الخرزاعي (60) ، وأبا هفان المهزومي (61) ، ومحمد بن عبد الملك بن صالح (62) ،

(56) ينظر الاغاني ، 16 : 383 .

(57) إخبار أبي تمام : 241 .

(58) تنظر اجابته عبدالصمد بن العذل في الاغاني ، 13 : 253-254 ،

وحبره مع ابن ابي حكيم في طبقات الشعراء : 362-363 .

(59) ينظر رايه بأبي تمام في اخبار ابي تمام : 175-176 ، 244 .

(60) ينظر نفسه : 244 .

(61) ينظر رايه بأبي تمام في اخبار ابي تمام : 245 .

(62) ينظر هجاؤه ابا تمام في اخبار ابي تمام : 248 .

ومخلد بن بكار الموصلي (63) ، واسحاق بن ابراهيم الموصلي (64) ، وابراهيم
ابن المدير (65) ، وأبا حاتم السجستاني (66) ، وعبيد الله بن سليمان (67) ، وابن
مهرويه (68) .

ونعد من أنصاره : محمد بن حازم الباهلي (69) ، والحسن بن وهب (70) ،
والحسن بن رجاء (71) ، وعصاة الجرجرائي (72) ، واسحاق بن ابراهيم
المصعبي (73) ، والقاسم بن اسماعيل (74) ، وعبيد الله بن عبدالله بن طاهر (75) ،
وفضل اليزيدي (76) ، وعمارة بن عقيل (77) ، ومثقال الواسطي (78) ، وأبا مالك
عون بن محمد (79) ، وابن ثوابة (80) ، وعمر بن أبي قتيبة (81) ، ومحمد بن
عبد الملك الزيات (82) ، وابراهيم بن العباس الصولي (83) ، وعلي ابن

-
- (63) ينظر اخبار أبي تمام : 241-240 .
(64) في اخبار أبي تمام : 221 ما يوحى ان الموصلي لا يطيق سماع
شعر أبي تمام الا بأمر فضلا عن انا رأينا انه من خصوم المحدثين ، وينظر رأيه
بأبي تمام في الموشح : 502 .
(65) ينظر اخبار أبي تمام : 97 .
(66) ينظر نفسه : 244 ، والموشح : 465-464 .
(67) ينظر الموشح : 466 .
(68) ينظر الاغاني 13 : 254 .
(69) ينظر اخبار أبي تمام : 165 ، والاغاني 16 : 387 .
(70) ينظر اخبار أبي تمام : 114 .
(71) ينظر نفسه : 171 .
(72) ينظر خبره مع دعبيل في المصدر نفسه : 182-181 .
(73) ينظر نفسه : 221 .
(74) ينظر نفسه : 245 .
(75) (76) ينظر نفسه : 101 .
(77) ينظر نفسه : 96 ، والاغاني 16 : 387 .
(78) ينظر اخبار أبي تمام : 114-115 ، والموشح : 493 .
(79) ينظر الموازنة 1 : 31 .
(80) ينظر اخبار أبي تمام : 15 .
(81) ينظر نفسه : 264-265 ، والخبر منقول عنه في الموشح : 467 .
(82) ينظر اخبار أبي تمام : 118-119 ، والاغاني 16 : 384 .
(83) ينظر الاغاني 16 : 384 ، 388-387 .

الجهنم⁽⁸⁴⁾ ، وأبا بكر محمد بن يحيى الصري صاحب « أخبار أبي تمام » .
 أما منصوه فنعد منهم : محمد بن يزيد المبرد⁽⁸⁵⁾ ، وأبا العباس احمد
 ابن يحيى المعروف بتعلب⁽⁸⁶⁾ ، وعبدالله بن المعتز⁽⁸⁷⁾ ، والبحري⁽⁸⁸⁾ ، وأبا
 الفرج الاصبهاني⁽⁸⁹⁾ .

وحاول الآمدي ان يكون من ينصف أبا تمام ، فلم يوفق ان يكون

منهم .

والقضايا التي روج لها خصومه يؤخذون بها شعره هي : الافراط
 في طلب البديع المؤدي به - في أحيان - الى الاحالة⁽⁹⁰⁾ ، والغموض⁽⁹¹⁾ ،
 وهو ناسيء عن التعقيد اللفظي⁽⁹²⁾ ، وعن اشارات تاريخية يومية اليها في
 شعره⁽⁹³⁾ ، والغموض⁽⁹⁴⁾ « على المعاني الدقائق » اتكاء على نفسه⁽⁹⁵⁾ ،
 واستعمال العرب المصدود عنه من اللغة⁽⁹⁶⁾ رعبه فيه ، او طلبا للبديع .

ثم انضحت هذه القضايا بصورة أجلى مما هي عليه ، بعد عصر أبي تمام ،
 اد أدام النقاد النظر في شعره ، وفي شعر العرب ، فتوصل المرزوقي من بينهم
 الى ان العرب كانوا في شعرهم « ... يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة
 اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ... والمقاربة في التشبيه ، والتحام

-
- (84) ينظر: الأغاني 16 : 389 .
 (85) ينظر أخبار أبي تمام : 96-97 ، 202-204 .
 (86) ينظر نفسه : 15-16 .
 (87) ينظر رايه به في الموازنة : 470 .
 (88) ينظر أخبار أبي تمام : 67 .
 (89) ينظر الاغاني 16 : 383 .
 (90) ينظر الموازنة 1 : 19 ، والموشح : 493 .
 (91) ينظر راي ابي حاتم السجستاني في اخبار أبي تمام : 244 ، وراي
 أبي هسان فيه أيضا : 245 .
 (92) ينظر الفتح على ابي الفتح : 37 ، والموازنة 1 : 277-279 .
 (93) ينظر اخبار أبي تمام : 154 .
 (94) الموشح : 499 .
 (95) ينظر نفسه : 502 .
 (96) ينظر نفسه : 475-478 .

اجزاء النظم والتأماها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما « (97) . وفي تقريره هذه الحقائق التي بها يقوم عمود الشعر عند العرب ، بدا وكأنه يريد ان يقرر ان أبا تمام لم يلتزم - في جانب كبير من شعره - بها ، مما حدا بنفر من معاصريه ان يقفوا بوجهه ، وان يُخرجوا شعره عن طريقة العرب .

وتجاوز الصراع الذي أثاره أبو تمام الى القرن الرابع ، فنجد المتنبي وقد « قامت من حوله معركة شعرية عنيفة دامت طويلا » (98) . وعلى ان هذه المعركة كانت منبعثة من عداة شخصي اتخذ من شعر المتنبي ستارا له ، الا انها اتسعت اتساعا كانت غايته « اخراج المتنبي من دائرة الشعر جملة » (99) مما جعلها اقرب الى الصراع منها الى معركة شخصية .

ولنا أن نعد من خصوم المتنبي : صاحب بن عباد الذي ألف رسالة في « الكشف عن مساوي المتنبي » والحاثمي الذي ألف « الرسالة الموضحة » في الطعن على المتنبي ، وأبا العباس النامي الذي ألف رسالة ، يخيل لبعض الباحثين « انها في تبيان مساوي المتنبي » (100) ، وأبا محمد ابن أبي الثياب البغدادي (101) ، وابن لنكك البصري (102) وأبا طالب سعد بن محمد الأزدي البغدادي الذي رد على ابن جني في شرحه ديوان المتنبي ردا يبين ان « موقفه من الشاعر والشارح كليهما يتطوى على تنقص » (103) ، وابن وكيع

(97) شرح ديوان الحماسة 1 : 8 ، وقد سبقه القاضي الجرجاني في الوساطة : 33-34 الى اشياء مما قاله حتى يبدو انه اخذ عنه الحديث عن شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والمقاربة في التشبيه ، واصابة الوصف .

(98) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر : 22 .

(99) نفسه : 22 .

(100) نفسه : 270 .

(101) ينظر الواضح في مشكلات شعر المتنبي : 23 .

(102) ينظر يتيمة الدهر 1 : 100 ، والصبح المنبي : 144-145 .

(103) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر : 288 .

التنبيسي الذي ألف « المنصف » في سرقات المتنبي ، فقيل فيه انه سمي المنصف كما « سمي اللديغ سليما »⁽¹⁰⁴⁾ ، والعميدي الذي ألف « الابانة عن سرقات المتنبي » وهاجم في مقدمته من يقول بتفضيل المتنبي على الشعراء الاخرين⁽¹⁰⁵⁾ . وسوى من ذكرنا كثير .

وكان من انصاره : ابن جني الذي ألف « الفسر » في شرح ديوان المتنبي ، و « الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي » ، وعلي بن حمزة الذي روى عنه ابن جني « شيئا من أخبار المتنبي »⁽¹⁰⁶⁾ ، لان المتنبي نفسه « لما ورد بغداد ، نزل عليه ، وكان ضيفه الى ان رحل عنها »⁽¹⁰⁷⁾ ، وكان علي هذا « راوية المتنبي بصقلية »⁽¹⁰⁸⁾ وابن فورجة الذي ألف « الفتح على أبي الفتح » شارحا فيه « الايات الغامضة » . شرحا يأتي على اغرابه وإعرايه⁽¹⁰⁹⁾ وأبو الحسن الطرائفي « الذي لقي المتنبي دفعات في حال عسره ويسره »⁽¹¹⁰⁾ ، وسمع منه بعض اخباره - فيما يبدو - وأشعاره⁽¹¹¹⁾ ، وابن القطاع الذي « شرح بعض أبيات المتنبي »⁽¹¹²⁾ ، وأبو القاسم ابراهيم ابن محمد الافليلي « وله كتاب شرح معاني شعر المتنبي »⁽¹¹³⁾ . وسوى أولئك كثير .

ونعد من منصفيه راويته محمد بن احمد المغربي الذي ألف كتابين

(104) العمدة 2 : 266 ، وينظر رأي ابن القارح في كتاب التنبيسي ، في

الصبح المنبي : 265 .

(105) الابانة عن سرقات المتنبي (تنظر المقدمة) .

(106) (107) معجم الادباء 5 : 203 .

(108) نفسه 5 : 202-203 .

(109) الفتح على أبي الفتح : 35 (بتحفيق عبدالكريم الدجيلي) .

(110) الواضح في مشكلات شعر المتنبي : 9 .

(111) ينظر نفسه : 9 .

(112) تاريخ الادب العربي 2 : 90 .

(113) معجم الادباء 1 : 316 .

فيه هما : « الاتصار المنبي عن فضائل المتنبى » (114) و « النيه المنبي عن
رذائل المتنبى » (115) ، وأبا القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني ، مؤلف
« الواضح في مشكلات شعر المتنبى » ، وفي منهج كتابه ما يوحى
بالانصاف (116) ، والثعالبي الذي تحدث عن محاسن المتنبى ومساوئه .

ومن حاول ان يتليس بالانصاف فنصر المتنبى ، القاضي علي ابن
عبدالعزيز الجرجاني مؤلف كتاب : « الوساطة بين المتنبى وخصومه » .

اما القضايا التي روّج لها خصوم المتنبى يطعنون بها على شعره
ويستقطنه ، فهي : اللحن والخروج على اللغة ، والفساد والاحالة ، والتعقيد
في اللفظ ، وغموض المعنى المراد ، وبعيد الاستعارة ، والافراط في
الصنعة (117) ، ثم الغلو (118) . وهي قضايا لا تكاد تخرج عما روج له انصار
التقديم في الطعن على المحدثين ، وعلى أبي تمام ، وكأن خصوم المتنبى حين
قبلوا شعر المحدثين ، وشعر أبي تمام وأعجبوا بهما ، كانوا ينطلقون من تقليد
في الذوق ، وليس من أصالة فيه ، بحيث ان سمات المحدثين حين تجمعت في
المتنبى الشاخص بينهم القريب منهم ، لم يجدوا حرجا من ان يققوا ضدها
محاولين اخراج المتنبى جملة عن دائرة الشعر العربي . أي اتهم يعجبون
بالجديد الذي مر عليه الزمن فموّه من جدته ، ولكنهم يرفضونه حين يكون
في زمنهم . وهو موقف متناقض ، كان من الخير لاصحابه لو اتهم عرضوا
الصراع بمجمله على انه عداة شخصي لا يستند الى أساس فني ، ولكن ذلك
لم يكن .

وفي أوائل القرن الحاضر يصدر « الديوان في الادب والنقد » في مصر
سنة 1921 بقلم عباس محمود العقاد ، وابراهيم عبدالقادر المازني ، وكأنه

(114) (115) نفسه 6 : 274 .

(116) ينظر الواضح : 27-28 .

(117) ينظر الوساطة بين المتنبى وخصومه : 82 ، 415 .

(118) ينظر نفسه : 420 .

خلاصة ما آل إليه أنصار الجديد في نظرهم الى الشعر ، والا فإنا لا نستطيع ان نتخذ من تاريخ صدوره بداية صراع بين القديم والجديد في هذا القرن ، لاننا نعرف ان هناك جهودا نهديّة ، ومعارك دارت على الموضوع نفسه في لبنان (119) ، بل ان المازني كان نقد شعر حافظ على انه تقليدي قبل صدور « الديوان » بثماني سنوات (120) ، وقبل صدوره بالمدة نفسها كان العقاد قد عرض صورته للشعر العصري في المقدمة التي كتبها لديوان المازني ، تحت عنوان : « خواطر عن الطبع والتقليد في الشعر العصري » ، وفي المقدمة الاخرى التي كتبها للجزء الثاني من ديوان شكري تحت عنوان : « الشعر ومزاياه » (121) ، وكان أيضا قد آزر المازني في هجومه على حافظ (122) .

بيد أنّنا - رغم كل ذلك - نتخذ من « الديوان » علامة درب في تأريخ الصراع ، لما له من أثر في هياجه ، ولما لمصر من نقل في نفوس الادباء العرب ، بحيث يبدو وكأنهم مجمعون على تأثرهم بأدباء مصر ، وبما يثرونه من جو فيها ، عبر مجلاتهم التي تجد سوقا رائجة في الوطن العربي ، ولا يكاد ينافسها في رواجها منافس (123) .

وفي عرض القضايا التي دار عليها الصراع بدأ المجددون وكأنهم يدّعون

(119) ينظر النقد الادبي الحديث في لبنان : 152-271 فيه حديث مفصل عن النقاد المحافظين ، وحديث اخر متله في التفصيل عن النقد الجديد ممثلا برواده ، وكلهم ممن سبق صدور « الديوان » .

(120) ينظر حصاد الهشيم : 155 .

(121) تنظر المقدمتان في : مطالعات في الكتب والحياة : 409-432 ،

433-446 .

(122) ينظر الحوار الادبي حول الشعر : 127 .

(123) انار علي الطنطاوي بمقاله المنشور في الرسالة ، ع 136 ، س 4

(10 فبراير 1936) : 214-216 تحت عنوان « الحياة الادبية في دمشق » عددا كبيرا من الادباء العرب ، فكتب كل منهم عن الحياة الادبية في بلاده : بغداد ، فلسطين ، المغرب ، تونس ، الحجاز ، شرقي الاردن في المجلة نفسها ، فأجمعوا من خلال استعراضهم بداية النهضة على تأثير مصر في البلدان العربية ، تنظر الاعداد : 140 ، 147 ، 148 ، 149 ، 151 ، 154 ، 156 .

في تاريخ الصراع ، اذ أننا اعتدنا أن نرى أنصار القديم يروجون لماخذ على الشعر الجديد ، فيقف أنصار الجديد موقف الدفاع عما اتهموا به ، ولكننا هنا رأينا أنصار الجديد هم الذين يؤخذون انصار القديم بعيوب شعرهم ، وكأن صوتهم هو الأعلى . واذا كان لهذا الامر من دلالة فهي غير ما يمكن ان يبدو للوهلة الاولى ، اذ ان الناظر يخيل اليه - أول الامر - أن هيمنة الجديد على الناس هي التي تمد أنصاره من الابداء بقوة مهاجمة القديم ، وتعداد عيوبه . ولكننا نرى ان الامر على العكس من ذلك تماما ، فان اعجاب الناس بشوقي وحافظ ممثلي القديم ، واطمئنانهم الى شعرهما وكأنه الغاية ، هما اللذان يمليان على انصار الجديد ذلك الموقف ، وكأنهم يريدون من ورائه زعزعة قناعة الجمهور بهما . ولعل مما يزيد رأينا وضوحا اننا رأينا أنصار القديم يهاجمون أبا تمام ، وأبو تمام كان قد أخمل هو والبحثري شعراء زمانه⁽¹²⁴⁾ ، وهاجموا المتنبي ، وقصائده كانت تخطب من لـدن الملوك والامراء .

وإذن فان قضايا الصراع تعالج من خلال عيوب الفريق الغالب ، فهي تناقش من خلال معايب المجددين اذا كان شعرهم هو الذي راج لدى الناس ، وتتدارس من خلال عيوب أنصار القديم اذا كان شعرهم - لا شعر المجددين - هو الذي تفق على الناس ، وشاع فيهم .

أما ماخذ انصار الجديد على القدامى مثلين بشوقي فهي : التفكك ، وهو « ان تكون القصيدة مجموعا مبددا من الايات ، متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية »⁽¹²⁵⁾ ، والاحالة ، وهي « فساد المعنى ، وهي ضروب : فمنها الاعتساف والشطط ، ومنها المبالغة ومخالفة الحقائق ، ومنها الخروج بالفكر عن المعقول ، أو قلة جدواه وخلو مغزاه »⁽¹²⁶⁾ ،

(124) ينظر العمدة | 1 : 82 .

(125) الديوان | 2 : 130 .

(126) نفسه | 2 : 142 .

والتقليد ، وهو - في رأي العقاد - « تكرار المؤلف من القوالب اللفظية والمعاني . وأبصره على المقلد الاقتباس المقيد والسرفه » (127) ، ونناول العرض دون الجوهر ، وقد مثل له العقاد بقول شوقي :

لقوك في علم البلاد منكسا جزع الهلال على فتى الفتيان
ما احسر من خجل ولا من ريبة لكننا يبكي بدمع قان

معلقا على هذين البيتين بقوله : « والعلم جوهر وعرض ، فأما الجوهر فهو ما يرمز اليه من مجد الامة ، وحوزتها ، وما يناط بمعناه من معالم فومية ، وفرائض وطنية . وأما العرض فهو نسيجه ولونه خاصة ، وليس لها قيمة فيما ترفع الاعلام لاجله . فنشوقني يولع بهذا العرض اذا هو نظم في العلم ولا بعينه ذلك الجوهر . ولا ريب انه ما كان يذكر لف نعش المرتى بالراية المصرية لو لم تكن حمراء يكون لونها دمعاً ، ودمعها دماً منزوفاً » (128) .

ونريد ان نقول هنا ان العقاد كان فيما أتاره بوجه شوقي على درجة غير قليلة من التعسف ، يدلنا عليها انه هو لم يلتزم - في شعره - ببعض ما نادى به ، فالتفكك الذي أخذه على شعر شوقي الغنائي لا يخلو منه أي

(127) الديوان 2 : 148 .

(128) الديوان 2 : 152 ، وقد رأى الدكتور عبدالكريم الاشر في كتابه معالم النقد العربي الحديث : 17-18 ان القضايا التي اخذها العقاد على شوقي سبعا وليس اربعا ، ونحن نرى ان القضية الاولى عنده ، وهي : « ترجمة الشعر الحقيقي عن النفس الانسانية » يمكن ان تدخل تحت قضية التقليد ، لان نبذه يعني ، فيما يعنيه ، الترجمة عن النفس . ونرى ان القضية الثانية عنده ، وهي : « ان فترات الاضمحلال في الادب تؤدي الى تشابه الصياغة والاساليب » ، تعليل لسيادة التقليد لا قضية فنية قائمة برأسها . أما القضية الثالثة عنده وهي : « وجوب ان يترك التشبيه في نفس السامع صورة واضحة مما انطبع في نفس الشاعر » فيمكن ان تدخل - بشكل من الاشكال - تحت قضية الترجمة عن النفس التي هي نبذ التقليد ، او تحت قضية تناول الجوهر دون العرض .

شعر غنائي ، حتى شعر العقاد نفسه⁽¹²⁹⁾ ، والاحالة مسألة سبق أن رأينا: أنصار القديم يؤخذون بها المجددين ، والحاحه على الجوهر دون العرض. معاه احالة « الشعر الى فلسفة وميتافيزيقا »⁽¹³⁰⁾ .

وإذا كان لما قررنا من معنى ، فهو ان صدور « الديوان » كان تعجل. اتفجار الصراع بين القديم والجديد دون تقديم بديل شعري حقيقي ، ويعني ايضا ان صدوره مدين لثقافة العقاد الاجنبية ، فبل ان يكون بلييه حاجة اجتماعية فائمة في مطلع العقد الثاني من هذا القرن قيساما يبلغ من الانجاح المبلغ الذي يوحى به عنف « الديوان » . وليس أدل على ذلك من رواج شعر شوقي نفسه في الناس ، والنظر اليه على انه حلقة من حلقات التجديد ، من قبل المجددين انفسهم⁽¹³¹⁾ وان طائفة من انصار الجديد مثل هيكل وطه كانوا في آرائهم اقرب الى التوسط منهم الى شيء اخر فهم يؤمنون بالجديد ويناصرونه ، ولكنهم لا يرون في شوقي وحافظ ما يرام .
العقاد .

ولسنا نريد بهذا ان نقلل من أهمية ما نادى به « الديوان » ، أو نبخس شيئا من تأثيره ، ولكننا نريد ان نقرر ان التيار الجديد في الشعر بدأ يثير صراعا حقيقيا لدى ظهور جماعة « أبولو » التي انشأها احمد زكي أبو شادي سنة 1932 ، واستمرت تيارا - لا مجلة اذ توقفت مجلتها عن الصدور في كانون الاول من عام 1934 - الى أواسط الاربعينات . والا فان صراعا جادا لم ينشب - فيما نعلم - على شعر المازني ، أو عبدالرحمن شكري ، أو العقاد ، وانما نشب هذا الصراع على شعر علي محمود طه المهندس ، وابراهيم ناجي ، وأبي شادي ، ومن هو في فلکهم من الشعراء .

(129) ينظر النقد والنقاد الماصرون : 115-118 .

(130) نفسه : 121 .

(131) تنظر الدراسات التي كتبها انصار الجديد من جماعة ابولو في العدد الخاص بشوقي ع4 ، مح 1 ، من مجلة أبولو الصادر في ديسمبر 1932 : 351 وما بعدها .

وإذا كان يهدد الحليفة من نصير ، فهو أن انصار القديم وجدوا
في أشعار هؤلاء - وأعني جماعة أبولو رغم تقربهم الى انصار القديم - ما
بناهر طريقتهم منافرة بعيدة التساؤ ، على حين لم يجدوا تلك المنافرة - مصيين
أو مخطئين - في شعر العقاد وزميلييه ، وأنهم وجدوا أيضا ان موازين الجور
الادبي التي كانت تسيل كفاها الى جانب شوقي قد بدأت نسيل الى شعراء
موهوبين من جماعة أبولو ميلا لم يتهيا لجماعة « الديوان » ، لاسيما ان
شوقي وحافظا كانا - على عهد ابولو - قد توفيا مشيعين بحفاوة الجماعة
نفسها ، مما خلق لهم جوا لا يكاد ينافسهم فيه منافس كبير من أنصار
القديم ، أو ممن يعدون فيهم .

أما أنصار الجديد ممثلين بهذه الجماعة فأهمهم : أحمد زكي أبو شادي
وعلي محمود طه المهندس ، وأبو القاسم الشابي ، ومحمد عبدالمعطي
الهمشري ، وحسن كامل الصيرفي ، وبشر فارس ، وأحمد مخيمر ، وعثمان
حلمي ، وشفيق العلوف ، والياس أبو شبكة ، ورياض العلوف ،
وعبد اللطيف النشار ، ومحمود أبو الوفا ، ومحمود حسن اسماعيل ،
واسماعيل مظهر ، ورمزي مفتاح ، وحسن الجداوي ، وصلاح لبكي ،
وحسين الظريفي ، وعلي أحمد باكثير ، ودريني خشبة ، والدكتور محمد
مندور ، وحسن سبالة ، وحفني غالي ، ومحمد فريد أبو حديد ، وآخرون .

ونعد من أنصار القديم : احمد محمد سلمان ، وحسن القاياتي ،
ومحمود أبو النجاة ، والدكتور زكي مبارك ، ومحمد الهراوي ، واحمد
الزين ، وحسن الحطيم ، وعبدالجواد رمضان ، وعلي الطنطاوي ، ومعاوية
محمد نور ، ومحمد محمود رضوان ، وعباس خضر ، وحبيب زحلاوي ،

وعبدالوهاب عزام ، ومحمود البسيطي ، و (أ.ع) (132) .
 وبعد من المنصفين : الدكتور طه حسين (133) ، وأحمد حسن
 الزيات (134) ، وأحمد أمين وسواهم .
 أما القضايا التي روج لها انصار القديم يؤخذون بها شعر التيار
 الجديد فهي : انه لا يهتم بالعروض والقوافي اهتماما كبيرا (135) ، ولا يتمسك
 بالقافية الموحدة ، فيعد الاوزان المتعددة في القصيدة الواحدة ، وانه شعر
 حالم لا يهتم بالقضايا الوطنية (136) ، متسامح في اللغة ، متساهل في
 الاسلوب (137) ، لا يفضي الى القاريء بفكرة واضحة بسبب من غرابة
 اخيلته ، ويعسف استعاراته وتشبيهاته (138) . وهو - بعد كل هذا -
 أعجمي (139) ليس بينه وبين الشعر العربي من صلة (140) .

(132) اعتمدنا في تحرى انصار الفريقين مجلي ابولو والرسالة ، ولم
 نتأ ان نسير لدى ذكر كل اسم منهم الى مصدره ، لاننا نخاف ان نتفلس
 الهوامش ، بما لا فائدة كبيرة منه ، ولاننا قد اشرنا الى آراء اغلبهم موثقة في
 هذين المصدرين وسواهما ، في هوامش الفصول التالية . ولعل من المفيد ان
 نقول : انه ربما كان (أ.ع) هو احمد العجان ، فقد رايناه يكتب باسمه
 الصريح في اعداد الرسالة الاولى ويبدو من كتاباته انه محافظ .
 (133) بظر رايه بشعر المهندس وناجي في حديث الاربعاء 3 : 140 -

149 150-157 .

(134) تنظر مجلة الرسالة ، ع 52 ، س 2 (2 يوليو 1943) : 1182 ،
 في الموقف الادبي الحاضر .
 (135) تنظر مجلة الرسالة ، ع 52 ، س 2 (2 يوليو 1934) : 1115 ،
 الملاح التائه ... الدكتور محمد عوض محمد .
 (136) تنظر مجلة ابولو ، ع 10 ، مج 1 (يونيه 1933) : 1226 ،
 ابولو في الميران ، حسن الحطيم .
 (137) تنظر مجلة الرسالة ، ع 22 ، س 1 (4 ديسمبر 1933) :
 19-20 سؤال الى الاستاذ الزيات والى ادياء الرسالة ، علي الطنطاوي .
 (138) ينظر المصدر نفسه ، ع 52 ، س 2 (2 يوليو 1934) : 1182 ،
 في الموقف الادبي الحاضر ، احمد حسن الزيات .
 (139) ينظر نفسه ، ع 568 ، س 2 (22 مايو 1944) : 434 ، من
 الشعر الجديد ، محمد محمود رضوان .
 (140) ينظر نفسه ، ع 22 ، س 1 (4 ديسمبر 1933) : 20 ، سؤال
 الى الاستاذ الزيات .. علي الطنطاوي .

ودار صراع آخر على حركة الشعر الحر التي ظهرت في العراق أواخر الأربعينات ، واستمر - بشكل خافت نسبيا - الى أيامنا هذه . وربما كان من المقدر الا يستمر الصراع كل هذه المدة ؛ ولكن مما أطال من عمره - في رأينا - ان حركة الشعر الحر ، وهي - الى حد ما - تكاد تكون حركة شكلية ، حاولت أن تخلص الشعر العربي من جمود موسيقاه ذات الشطرين المتساويين والقافية الموحدة (141) ، قد التبست بحركة أخرى هدفها تطوير مضامين الشعر العربي ؛ تزعتها « جماعة صغيرة من شعراء لبنان أصدرت مجلة شعر في بيروت عام 1957 » (142) وقد كان نشوء هذه الحركة الثانية خطوة أخرى من شأنها ان تستكمل الثورة التي تزعمها السياب ونازك وسواهما من الرواد في العراق ، الا انه سرعان ما ظهرت فيها تيارات متطرفة عابثة تبدو وكأنها فرضت على حركة الشعر بمجملها فرضا ، مما هيا لرقعة الصراع أن تتسع اتساعا يلتبس فيه أنصار الجديد الاولون بأنصار القديم فيجعل تصنيفهم أمرا ينطوي على الحذر .

وعلى أية حال فاننا نعد من أنصار الجديد : بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وعبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري ، وموسى القسدي ، ومحبي الدين اسماعيل ، وعزالدين اسماعيل ، وصلاح عبدالصبور ، وقدوى طوقان ، وأحمد أبا سعد ، ومحمود أمين العالم ، ورجاء النقاش ، ومحمد العربي صمدح ، وراضي مهدي السعيد ، وأحمد سليمان الاحمد ، ورثيف خوري ، وصلاح جواد الطعمة ، ونهاد التكرلي ، والزيير علي ، ومحمد مجذوب ، وصفاء الحيدري ، وكاظم جواد ، وسامير صنبر ، وحسين مردان ، وحسن البياتي ، وزهير أحمد القيسي ، وأكرم توفيق ، والطيب الشريف ، وروز غريب ، ويوسف الشاروني ، ومحمد مندور ، وروزوق فرج روزوق ، وكمال اليازجي ، وصادق صعب ، وأحمد

(141) ينظر الشعر الحر في العراق : 266-267 .

(142) البحث عن معنى : 133-134 .

كسال زكي ، وجلال الخياط ، وسعدي يوسف ، وشاذل طاقة ، وأدونيس ،
وجبرا ابراهيم جبرا ، ومحمد التويهي ، ويوسف الخال ، وعصام محفوظ ،
وغالي شكري ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، وانسي الحاج ، وتوفيق
الصائغ ، وشوفي أبا شقرا ، والياس الحاج ، وخالد علي مصطفى ، وسامي
مهدي ، وفاضل العزاوي ، وفوزي كريم ، وحמיד سعيد ، وعبدالواحد
نؤلوة ، وغائب طعمة فرمان ، ويوسف جبران ، وطراد الكبيسي ، ومحمد
خالدي ، وصلاح فائق ، وشمس الدين موسى ، وموفق الشديدي
وآخرين (143) .

ونعد من انصار القديم : محمد مهدي الجواهري (144) ، وبدوي
الجبيل (145) ، وأحمد الصافي النجفي (146) ، وبشارة الخوري (147) ،
والياس قنصل (148) ، ورضوان ابراهيم (149) ، وعبدالعزيز سيد الاهل (150) ،

(143) اعتمدنا في تحري المجددين مجلات : الاداب ، والاديب ، وشعر ،
والشعر ، والكلمة ، والرسالة اللبنانية .

(144) ينظر رايه في جريدة الحرية ، ع 1026 (10 تشرين الثاني
1957) .

(145) ينظر رايه في الآداب ، ع 4 ، س 4 (نيسان 1956) : 70 ، بدوي
الجبيل والشعر الحديث .

(146) تنظر جريدة البلد ، ع 582 (25 نيسان 1966) : 3 ، 6
ذكريات وملحات وصور عن حياة وشعر ... أحمد الصافي النجفي ، حارث
حله الراوي .

(147) ينظر في الاداب ، ع 8 ، س 1 (آب 1953) : 23 الشعر بين
النعييد والتحرير (استفتاء) .

(148) ينظر نفسه : 74 .

(149) ينظر نفسه ، ع 10 ، س 1 (تشرين الاول 1953) : 31-32
النقد الجائر .

(150) ينظر نفسه ، ع 4 ، س 2 (نيسان 1954) : 53-56 ،
قرات العدد الماضي من الاداب .

وعباس محمود العفصاد⁽¹⁵¹⁾ ، وعزيز ابطاظة⁽¹⁵²⁾ ، والدكتورة عاتكة الخزرجي⁽¹⁵³⁾ ، والعوضي الوكيل⁽¹⁵⁴⁾ ، وسالح جودت⁽¹⁵⁵⁾ ، وابراهيم العريض⁽¹⁵⁶⁾ ، وعيسى الناعوري⁽¹⁵⁷⁾ ، ومهدي الفزاز⁽¹⁵⁸⁾ ، وفوزي خليل عطوي⁽¹⁵⁹⁾ ، و خليل هنداوي⁽¹⁶⁰⁾ ، و ابراهيم الاياري⁽¹⁶¹⁾ ، وأنور المعداوي⁽¹⁶²⁾ ، وعسر الدسوقي⁽¹⁶³⁾ ، وعزالدين الامين⁽¹⁶⁴⁾ ، وسعد دعيس⁽¹⁶⁵⁾ ، وعلي العماري⁽¹⁶⁶⁾ ، ومصطفى جمال الدين⁽¹⁶⁷⁾ ، وعشرات سواهم .

- (151) تنظر مجلة التسمر ، ع 1 ، س 1 (يناير 1964) : 25 ، رأي في التسمر .
- (152) ينظر بحه الملقى في مؤتمر الدورة 32 ببغداد ، 1965 للمجامع العلمية في البحوث والمحاضرات ، لغة الشاعر : 276 .
- (153) ينظر انقاس السحر : ي .
- (154) ينظر كتابه ، الديوان ، فهو لا يف ضد الشعر الحر فحسب ، وانما يرجع في موقعه الى ان يف بوجه محمود حسن اسماعيل ، من جماعه ابولو ، الذي انحسم الصراع بشأنهم وانتهى .
- (155) ينظر ادباء ومواقف : 146 .
- (156) ينظر التسمر وقضيته ، في كتاب الادب العربي الحديث .
- (157) تنظر مجلة الاديب ، ج 3 ، 1952 (مقالة عن نارك الملائكة) .
- (158) تنظر جريدة البلد ، ع 418 (3 تشرين الاول 1965) : 3 في التيار .
- (159) تنظر مجلة الرسالة (اللبنانية) ع 9 ، 10 س 3 (تشرين الاول 1957) : 33-34 ، الدعاية والشعر الحديث .
- (160) ينظر نفسه ، ع 6 ، س 3 (حزيران 1957) : 62-63 ، دندنة ادبية (وهذا الشعر الحديث) .
- (161) تنظر المجلة ، ع 81 ، س 3 (سبتمبر 1963) : 37 ، والعدد الذي يليه : 28 ، الشعر المستحدث .
- (162) تنظر الرسالة ، ع 965 ، س 19 (31 سبتمبر 1951) : 1483-1485 ، الشعر المرسل او الشعر المنثور .
- (163) ينظر كتابه في الادب الحديث 1 : 8-9 .
- (164) ينظر كتابه نظرية الفن المتجدد .
- (165) ينظر كتابه حوار حول الشعر الحر .
- (166) ينظر كتابه الصراع الادبي بين القديم والجديد .
- (167) تنظر مجلة الفباء ، ع 140 (14 نيسان 1971) : 48 ، والعدد الذي يليه : 49 ، هل انتهت مرحلة الجواهري .

ونعد من المنصفين طائفة غير فليسة من الاكاديميين الذين يتابعون
النسر الحديث ، وطائفة من الشعراء الذين نظموا الشعر بنسكليه : « الحر
والنسدبي » ، فمن الاكاديميين - على سبيل المثال - الدكتور سهر
القلساوي (168) ، والدكتور ابراهيم السامرائي (169) ، والدكتور علي جواد
الظاهر (170) ، ومصطفى عبداللطيف السحري (171) ، والدكتور صلاح
خالص ، والدكتور داود سلوم (172) ، والدكتور لظفي عبدالبديع (173) ،
ومن الشعراء - على سبيل المثال أيضا - يوسف الخطيب (174) ، وعبدالرزاق
عبدالواحد (175) ، وشفيق الكمالي (176) ، وسوى أولئك وهؤلاء كترون .

أما القضايا التي روج لها أنصار القديم يؤخذون بها النسر الحر
فهي : أنه « يشبه النثر بتفعلانه غير المتجانسة ، وغير المنضبطة في نظام
موسيقى » (177) ، وأن لغته وصوره شعبية مبتذلة (178) ونساذجه متشابهة

-
- (168) تنظر جريدة البلد ، ع 419 (4-10-1965) : 3 أزمة النسر
الحديث .
- (169) ينظر كتابه لغة الشعر بين جيلين ، وخاصة الفصول التي تتعلق
بشعر الرواد .
- (170) تنظر مجلة الاقلام ، ع 10 ، س 9 ، (1974) : 114-116 ،
تعقيب الدكتور علي جواد الظاهر .
- (171) تنظر مجلة الشعر ، ع 13 ، س 2 (يناير 1965) : 110 عرض
وتقد قصائد العدد الماضي .
- (172) ينظر كتابه تطور الفكرة والاسلوب في الشعر العراقي .
- (173) تنظر مجلة الاقلام ، ع 10 ، س 9 (1974) : 94-95 تعقيب
الدكتور لظفي عبدالبديع .
- (174) تنظر مجلة الرابطة ، ع 2 ، س 2 (حزيران 1976) : 133-134 ،
النصف ... في لقاء مع الشاعر .. يوسف الخطيب .
- (175) ينظر له - على سبيل المثال - « الخيمة الثانية » .
- (176) ينظر له على سبيل المثال « رحيل الامطار » .
- (177) تنظر مجلة الاديب ، ج 3 ، ع 3 ، عيسى الناعوري (1952) .
- (178) تنظر مجلة الرسالة (اللبنانية) ع 6 ، س 3 (حزيران 1957) :
62-63 دندنة ادبية وهذا الشعر الحديث ، خليل هنداي .

متكررة⁽¹⁷⁹⁾ ، بتسيع في بعضها « الابهام التعييري ، والغموض
الفكري »⁽¹⁸⁰⁾ مما يجعله شعرا خاصا بصفوه المنقمين ، على حين ان العصر
عصر سياده الجماهير⁽¹⁸¹⁾ . وهو - بعد ذلك - « ليس بعربي ، ولا فيه
تعبير عربي ، وانما هو أشبه بالترجمة غير الموفقة »⁽¹⁸²⁾ ، ونخذ من
التجديد ستارا لهدم التراث العربي⁽¹⁸³⁾ .

وبعد فمما يلفت النظر في تاريخ الصراع ان الموشحات الاندلسية ،
وشعر المهجر لم يجدا لهما مكانا فيه ، وذلك يعني ان بينك الحركين
التجديديتين لم تتبرا صراعا كالذي أثارته الحركات الاخرى ، رغم انها
- باستثناء حركة الشعر الحر - دونهما سأوا في الجديد ، مما يدفع الى
الظن بأنهما أولى بانارة الصراع . ولئن ذلك لم يكن . تلك ظاهرة تفرض
جملة من الاسئلة نحاول أن نجيب عنها ونحن نبحت دواعي الصراع في الفصل
التالي .

(179) تنظر الاداب ، ع 4 ، س 5 (نيسان 1957) : 62-63 قرات
العدد الماضي من الاداب ، احمد ابو سعد .
(180) مجله الشعر ، ع 13 ، س 2 (يناير 1965) : 110 ، عرض ونقد
قوائد العدد الماضي ، مصطفى عبداللطيف السحرتي .
(181) ينظر البحث عن معنى : 158 .
(182) مجلة العصبه ، ع 2 ، س 12 (نيسان 1952) : 140-141 ،
نظرات في الشعر ، احمد الجندي .
(183) تنظر مجلة الشعر ، ع 1 ، س 1 (يناير 1964) : 25 ، رأيي في
الشعر ، عباس محمود العقاد ، وتنظر مذكرة لجنة الشعر في المجلس الاعلى
لرعاية الفنون والاداب التي يرأسها العقاد ، ضد الشعر الحر ، ففيها تفصيل
لهذه القضية وهي منشورة في كتاب قضايا ومواقف : 9-13 .

الفصل الثاني

دواعي الصراع واسباب حدته

دواعي الصراع وأسباب حدته

لم تكن حركات التجديد - في أغلبها - بمنفصلة عن حركة التاريخ وتطور المجتمع العربي ، فقد كانت هذه الحركات مرتبطة بصراع الطبقات فيه ، بيد أنها - رغم ارتباطها بحركة المجتمع - لم يكن يمر أغلبها دون معارضة نلين حيناً ، ونشند حيناً آخر ، وإذا كان الامر كذلك ، فانه يقتضينا أن نبحت عن سر تحفظ المجتمع إزاء الجديد أحياناً ، وسر تقبله حيناً •

ومن خلال تاريخ الصراع يمكننا أن نلاحظ ان الصراع - حين يكون - يدور في اطار الشعر بمعناه « التقليدي » لدى المعنيين ، وفي اطار الشعراء بمعناهم « التقليدي » أيضاً ، فمن معاني « التقليد » هنا الارتباط بقيم الطبقة السائدة •

ونقصد بمعنى « التقليدية » في الشعر ان يكون هذا الشعر مما يحقق - في الاقل - جملة من الشروط التي تعارف عليها العصر فيه ، واتفق عليها أدباؤه • فتعارف عصر من العصور على توفر عنصرَي القافية والوزن في الشعر ، يجعل ادباء ذلك العصر - فيما نظن - لا يعتدون بخروج احدهم على الوزن والقافية معا ، واذا اعتدوا فلا أكثر من أن ينفوا الصلة بين هذا الخروج على العنصرين والشعر ، على انهم قد يناقشون الخروج على أحد العنصرين ، لان هناك نقطة التقاء يمكن أن تكون منطلقاً للمناقشة ، ولا يهمننا في هذه المناقشة - بعد ذلك - ان تثبت صلة بين ما يخرج على القافية أو الوزن أو لا تثبت • ولعل في سكوت الادباء عن محاولات أمين الريحاني

في الشعر المنشور ، ما يؤيد رأينا ، فاننا نحسب ان الادباء لم يتلقوا ذلك على انه شعر - كما يريد له الريحاني - وانما تلقوه على انه نثر جديد عليهم . ولنا ان نوضح رأينا بأن نضرب مثلا على ذلك يتعارف عصرنا الحاضر على ضرورة توفر الموسيقى في الشعر ، سواء أتوفرت التفعيله على هذه الموسيقى أم البحر ، وبسكوت الادباء في العراق - على سبيل المثال - عن اعطاء رأيهم في قصيدة النثر مما اضطر مجلة الكلمة - وهي تبني هذه القصيدة - الى دعوة الادباء أن يدلوا بأرائهم فيها ، وان اختلفت وجهات نظرهم معها (1) .

و « للتقليدية » في الشعر معنى آخر ، هو ان يكون هذا الشعر متقيدا بأغراضه التقليدية التي تعارف على أهميتها العصر انسجاما مع مفهوماته العامة عن وظيفة الشعر ، فالشاعر العباسي - على سبيل المثال - يمكن أن يتساهل مع تجديده في الغزل بالمدح ، مثلا ، لانه مما يهم الشاعر نفسه ، ولكن لا يتساهل معه في تغيير بنية قصيدة المديح (2) . ومرد ذلك الى ان القصيدة الجاهلية حين عرضت للممدوح على انه مثال في الكرم والشجاعة والبأس وما الى ذلك ، ولم تعرض له شخصية انسانية يمكن ان تختلف عن شخصية أخرى ، كانت قد رسخت خصائص هذا المثال ، والشكل الذي ينبغي أن تعرض به هذه الخصائص لدى الشاعر والناقد

(1) تنظر مجلة الكلمة ، ع 5 ، س 5 (ايلول 1973) : 9 قصيدة النثر بين الضرورة والممارسة ، وتنظر اجابة فاضل ثامر في المصدر نفسه ، ع 3 ، س 6 (ايار 1974) : 44 ، وقوله : « طرحت مجلة الكلمة في اعدادها الاخيرة مسألة (قصيدة النثر) في ادبنا كقضية ملتهبة ، ورغم ان المجلة سبق لها وان (كذا) بشرت مرارا بقصيدة النثر ، ونشرت نماذج كثيرة منها الا انها خرجت علينا هذه المرة بنبرة فيها الشيء الكثير من العصبية ونفاذ الصبر . ورغم ان هذه (المرة) قد تكون تكتيكا لجر النقاد والشعراء الى مواجهة تجربة قصيدة النثر في ادبنا ، والتي (كذا) ظلت تواجه الصمت والتجاهل .. » .

(2) مما يؤيد رأينا ان ابا نواس التزم بالمقدمة الطللية - رغم سخريته بها - في عدد من مدائحه .

والجمهور ، فكان الخروج على « تقليدية » هذا الغرض مما يثير الناقد والجمهور معا ، وكأنه خروج على برائهما الذي لا ينبغي التطاول عليه . على حين لم يكن السامر العباسي يعاني من معالجه الاغراض التي استجذبت في حياته أو حياة من سبقوه من الشعراء الاسلاميين وفق ما يشاء ، يدلنا على ذلك ما روي عن ابن أبي الأبيض من انه قال : « أتيت أبا العنابية فقلت له : ابي رجل أقول الشعر في الزهد ، ولي فيه أشعار كثيرة ، وهو مذهب أستحسنة لاني أرجو ألا آثم فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى ، فأجبت أن أستزيد منه ، فأحب أن تنشدني من جيد ما قلت ، فقال : اعلم ان ما قلتك رديء ، فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الاشعار التي في الزهد ، فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد ، وأصحاب الحديث ، والفقهاء وأصحاب الرياء ، والعامّة . . . » (3) .

وإذن فأبو العتاهية يميز بين شعرين أحدهما يهتم البلاطات ورواة الشعر ، وطلاب الغريب ، وهؤلاء يشترطون لهذا الشعر أن يتوفر على خصائص الشعر الجاهلي ، وثانيهما يهتم الآخرين ، وللشاعر أن يتصرف به كما يشاء ليضمن رضاهم عنه . وبما ان اللغة من الادوات الاساسية - أن لم تكن هي الاداة الاساسية - التي يقوم عليها ، وعلى فهمها التعاطف ، فان من الطبيعي أن يتنبه أبو العتاهية - أول ما يتنبه اليها - ويطلب من الشعراء الآخرين الاهتمام بها .

وبوحي من هذه الحقيقة نستطيع تفسير غياب مسألة وحدة القافية قضية يروج لها أنصار القديم فيما يؤاخذون به شعر المحدثين ، رغم ما نعرف عن ظهور المزدوج ، وكأن انصراف المزدوج الى معالجة الاغراض غير التقليدية

(3) الاغاني 4 : 70 .

يبیح لاصحاب المزدوجات ذلك⁽⁴⁾ . وبوحي منها نستطيع تفسير اعجاب
الادباء بالشعر المرسل الذي نظمه رزق الله حسون عام 1869 ، اذ لم يكن
ما نظمه يدور على غرض تقليدي وانما هو ترجمة « للفصل الثامن عشر من
سثر أيوب »⁽⁵⁾ . ولكن هل يكون خروج أي شاعر على المفهوم «التقليدي»
للسعر ما يثير حفيظة الآخرين ؟

هذا السؤال يقتضينا أن نحدد المعنى « التقليدي » للشاعر . وفي
سبيل تحديد هذا المعنى نقول : ان من شروط الشاعر « التقليدي » أن
يكون ممن غلب عليه الشعر فتفرغ له ، فقد قال ابن رشيق : « وليس يلزم
الكتاب أن يجاري الشاعر في احكام صنعة الشاعر ، لرغبة الكتاب في حلاوة
الالفاظ ، وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والاتيان بما يخف على النفس منها ،
وأبضا فان أكثر أشعارهم انما يأتي نظرفا لا عن رغبة ولا رهبة ، فهم مطلقون
مخلون في نهواهم ، مسامحون في مذهبهم ، اذ كانوا انما يصنعون الشعر
تخييرا واستظرافا . . وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار أولاد الخلطاء ،
والامراء والمترفين من أهل الاقدار : لا يحاسبون محاسبة الشاعر المبرز
الذي الشعر صناعته »⁽⁶⁾ .

وسواء أكان الكتاب ومن هم على شاكلتهم ممن لم يتفرغوا للشعر ،
قد جددوا في الشعر أم لم يجددوا ، فان الذي يهمننا انهم لا يحاسبون
- في حالة خروجهم على مفهومات الشعر - محاسبة الشاعر الذي غلب
عليه الشعر .

ولم يكن للحكم الذي ذكره ابن رشيق ان يقف عند العصر العباسي ،
وانما كان له أن يمتد - فيما يبدو - الى عصرنا الحاضر ، يدلنا على هذا
الامتداد سكوت الادباء والنقاد - مثلا - على خروج محمود أمين العالم

(4) نظم ابان اللاحقي كما في أخبار الشعراء : 2 « كيلة ودمنة »
قصيدة مزدوجة فلاقت اعجابا .

(5) حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي : 19-20 .

(6) العمدة 2 : 104-105 .

- وهو نافذ - في بعض قصائده على نسكلي الشعر القديم والجديد ، اذ اتبع - في أغلبها - ايقاع الموجة (7) . فعلى الرغم من نساؤل الدكتور النويهي عما اذا كان « يستطيع ذوقنا السائد أن يسيغ النظام الموجي » (8) وشكته في حدود ذلك ، فان تلك القصائد حين نشرت في ديوان يضم الى جانبها قصائد نلتزم بالفعيلة أساسا موسيقيا ، لم تثر شيئا خلاف ما توقعه لها صاحبها والنويهي (9) . ومن جملة أسباب ذلك - فيما نظن - ان العالم نافذ قبل أن يكون شاعرا ، وعلى هذا فان خروجه على النظام الموسيقي السائد في الشعر وركونه الى نظام آخر لا يؤخذ مأخذا جادا كل الجد .

على انه يجب ان تنتبه - ونحن نحدد معنى الشاعر « التقليدي » - الى حقيقة أخرى ، هي : أن النفرغ للشعر وحده لا يكفي في اتارة الصراع حال وقوع ما يوجبه ، وانما ينبغي أن يكون هذا الشاعر مرموقا له مكانته الكبيرة في مفهوم العصر ، أو - في الاقل - ما ينبغي عن هذه المكانة ، والا فان ديك الجن كان : « يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره » (10) ولكنه لم يثر صراعا ، ولم يتعرض الى ما تعرض له أبو تمام ، ولا بد أن يثرد ذلك - فيما برد - الى انه دون أبي تمام مكانة وذيوع صيت ، فهو « لم يبرح نواحي الشام ، ولا وفد الى العراق ، ولا الى غيره منتجعا بشعره ، ولا متصديا لاحد » (11) .

ومثل الذي يقال عن ديك الجن يمكن أن يقال عن طائفة كبيرة من الشعراء العراقيين الذين كتبوا الشعر الحر مثل موسى النقسدي ، وكاظم التميمي ، وزهير أحمد القيسي ، وراضي مهدي السعيد ، وأكرم الوتري

(7) فراءة لجدران زنزانه وقصائد اخرى : 10 .

(8) نفسه : 10 .

(9) كنب تميم الدين موسى عن الديوان في الاداب ع. 9 ، س 22 (ايلول

1974) : 65-67 ولم يشر الى الناحية الموسيقية فيه .

(10) الاغاني / 14 : 51 .

(11) | نفسه 14 : 51 ويمكن ان يضاف الى حالة ديك الجن انه لم يكن

يعيش في بيئة ادبية حادة كبيئة بغداد في العصر العباسي مثلا .

وسواهم • فهم لم يثيروا الذي كان يثيره السياب ونازك ، وسبب ذلك - فيما نظن - أن في تجديد الموهبة الكبيرة ما يمكن أن يكون بديلا عن الشعر القديم ، على حين أن ضعف بقية المواهب مما يقلل من انتشار هذا اللون الجديد ، فضلا عن أن هزيمة المجدد الكبير - في بداية الصراع - هي - إذا تمت - هزيمة للآخرين ، وإذن فلا معنى لتضييع الجهود في ملاحقة من هم دونه موهبة ، الا اذا كانت ملاحظتهم من باب التسبب بالضعيف من النماذج الجديدة بغية هدم الجديد برمته ، وتعميم هذه النساجح عليه حركة •

وعلى ضوء ما تقدم نكون أمام مسلمات أبرزها أن الصراع لا يحدث الا اذا كان التجديد منصبا على الاغراض « التقليدية » في الشعر ، وعلى يد شاعر كبير مرموق بينه وبين جهور الادباء والمتأدين ، وجهور الشعر أيضا قدر مشترك من الوعي يهيب لهم ان يفهموا خطورة ما يفعل وأهميته •

ومن يبحث في دواعي الصراع ، فلا بد له من أن يشير الى ميل الانسان الطبيعي الى الماضي ، والحنين اليه ، تلك ظاهرة قد تكون جذورها « راجعة الى التضامن القبلي والعائلي ، أو الى محاولة الطبقات المميزة أن تبنى امتيازاتها على أساس الوراثة » (12) ، أو قد تكون هذه الجذور راجعة الى « رفض الحياة القائمة وتسوية هذا الرفض ، في لا وعي الانسان ، بالغاء أي اجاز حديث ، والتطلع باحترام يبلغ حد التأليه الى النماذج القديمة » (13) •

زد على ذلك أن الجديد يقتضي الآخرين أن يكلفوا أنفسهم - وهم يعانون تقبل ما يستلزمه من مفهومات جديدة ربما تناقض مفهوماتهم القديمة التي درجوا عليها - ، أقول يقتضيه ذلك ان يكلفوا أنفسهم مشقة ورهقا • واذ يكون الانسان مجبولا على ايثار الراحة وحب الهدوء ، فانه يكون - دون ريب - مجبولا على نبذ الجديد ضننا براحته وحرصا على

(12) الفن والمجمع عبر التاريخ 1 : 13 •

(13) من قضايا النقد الادبي في العصر العباسي ، د. جلال الخياط ،

مجلة المورد مج 4 ، ع 2 (صيف 1975) : 16 •

هدوئه ، ولا سيما انه - لدى تقبل الجديد من الشعر - يصحي براحته من أجل قضية ينظر اليها على انها - في الاساس - متعه لا نسحق كثيرا من الجهد والعناء . وادا كان هذا الحكم لا ينطبق على الشعراء والادباء - لان الشعر من قضاياهم الرئيسة ومهامهم الاساسية - فانه ينطبق على الكثرة الغالبة من جمهور الشعر ، والجمهور طرف لا يستهان به في الصراع ، اذ يضطر فريقا الصراع - في احيان غير قليلة - الى تحكيمه في العضية أو الاهتمام برأيه . هذا الى ان انصار القديم لا يكادون يهتمون بسيء - وهم يصارعون الجديد - قدر اهتمامهم برضى الجمهور عن شعرهم وتأثيره فيهم .

نخلص من كل ذلك الى سر اهتمام الناس بالقديم وحبهم اياه ودفاعهم عنه ، ونخلص أيضا الى ادراك ما لمرور الزمن من سلطان قوي في نفي القديم . اذ ان طول العهد بالجديد يجعله - لدى الاجيال اللاحقة - مألوفا ، ان لم يجعله جزءاً من تراثهم .

ومن البديهي أن نقول : ان أي جديد يكون غامضا بدرجة أو بأخرى ، وسبب غموضه على الجمهور هو جدته نفسها . فليس أغرب عليه من ان تجابه بما لم يألّف ، فاذا اضفنا الى ذلك ان « كل جديد يكون في بداية أمره مشوها سمجا . . . »⁽¹⁴⁾ ، وانه يصاب عادة بالتكلف ، لان الحركات الجديدة تكون - في الغالب - خاضعة للتجريب ، والاضافة ، والتعديل حتى تكتمل على يد موهوب كبير يستطيع أن يستثمر تجارب سابقه ، ويضيف اليها ما يقومها ويعنيها ، كان من حقنا ان نقول : ان كل جديد يجمع - في بداية أمره - الى الغموض التكلفة وشيئا من الاضطراب .

فاذا صح هذا صح معه أن تقرر أن من دواعي الصراع المهمة عجز المهتمين بالشعر ، من أنصار القديم ، عن ملاحقة تجارب الشاعر المجدد ، وجهلهم بهذه الحقيقة أو مكابرتهم ، مما يدفعهم الى الوقوف بوجه الجديد ، ومحاربتة .

(14) في التجديد ، فرنسيس بيكون ، مقالات مختارة من الادب الانجليزي : 2 .

وقليل من هؤلاء من يدرك جهله فيحاول تلافيه على يد من يفهم الجديد ويهشم به كما فعل ثعلب ، اذ روي عنه انه قال لبني نيبخت : « أنا أعاشر الكتاب كثيرا وخاصة أبا العباس ابن ثوابة ، وأكثر ما يجري في مجالسهم شعر أبي تمام ، ولست أعلمه فاختاروا لي منه شيئا ، فاخترنا منه له ودفعناه إليه ، فسضى به الى ابن ثوابة ، فاستحسنه فقال له : انه ليس مما اخترت ، وإنما اختاره لي بنو نوبخت ... فكان ينشدنا البيت من شعره ثم يقول : ما أراد بهذا ؟ فنسرحه له فيقول : أحسن والله وأجاد ... » (15) .

واعترف عباس خضر - وهو يتذكر مهاجمته محمود حسن اسماعيل وديوانيه « أغاني الكوخ » و « هكذا أغني » - بجهله الشعر الجديد الذي كان بنظمه اسماعيل ، اذ قال : « ... اني كنت متخلفا عنه ، وكنت دون مستوى هذا اللون من الشعر الجديد ، كنت أنقد شاعرا ينأى عما قيل من الشعر ، ليعبر تعبيرا جديدا ... » (16)

وموقف كالذي وقفه ثعلب وخضر يكاد يكون نادرا ، وسر هذه المندرة أن الذين يقودون حركات التجديد غالبا ما يكونون من الشباب - وفيهم من لم يُعترف له بعد بفسوخ القدم - مما يؤدي الى صعوبة اعتراف أنصار القديم - وهم في الغالب شيوخ متمرسون بالشعر - بأنهم يجهلون ما يقوله أولئك الشباب المجددون ، واذا اعترفوا لهم بذلك ، فأنهم لا يطلبون عندهم العلم ، وإنما يغطون جهلهم ، ويسوِّغون اعترافهم بتسخييف

(15) احبار أبي تمام : 15 .

(16) الواقعية في الادب : 118 .

الجديد واداته (17)، حتى لكأن المسألة مربوط بنصائح لا يريدون خسرتها .
وعلى ضوء من ذلك نستطيع أن نصر سهولة اعتراف متذوفي الشعر
البعيد عن ادعاء العلم به ، بالعجز عن فهم الجديد دون الايضار بعلم
ابهامه ، فقد روي ان أعرابا سمع قصيدة أبي تمام :

طلع الجميع لقد عفوا حميدا

« فقال : ان في هذه القصيدة أشياء أفهها ، وأشياء لا أفهها ، فإما
أن يكون فائلها أشعر من جميع الناس ، وإما أن يكون جيب الناس
أشعر منه » (18) .

وطبعي أن يقتضي الجهل بالجديد جهلا بفهوماته وممايسه ، فزيد من
حدة الصراع ان العلماء بالشعر ونقاده حين يقفون عند الجديد يعاملونه
- في عدد من وقفاتهم - بالفهم القديم ، فتزيد الهوذ بين ما يندوقون

(17) ورد في اخبار ابي تمام : 244 انه « حكي عن ابن الاعرابي قال -
وقد انشد سعرا لابي تمام - : ان كان هذا شعرا فما قاله العرب باطل »
وورد فيه ايضا : 244 ان ابا حاتم السجستاني انشد سعرا لابي تمام
« فاستحسن بعضه ، واستقبح بعضا ، وجعل الذي يفرؤه سألته عن معانيه
فلا يعرفها ابو حاتم ، فقال : ما اشبه شعر هذا الرجل إلا بثياب مصفلات
خلفان لها روعة وليس لها مفتش » ، وروي فيه : 245 عن أبي هفان انه
قال : « قلت لابي تمام : نعمد الى درة فتلقيا في بحر خرد فمن نخرجها
غيرك ؟ » .

وفي عصرنا الحاضر قال ا. ع في مجله الرسالة (الشعر الجديد) ، ع
56 ، س 12 (27 مارس 1944) : 278 « فجاءنا الشعر الجديد منذ نحو
ثلث قرن . . فادا نحن - اذا نفرؤه - ننكر من انفسنا ما قد عهدنا فيها من نعاذ
في الفهم ، ومضاء في المعاني ، واذا نحن نحار فيما نقرأ : اعربي هذا ام عجمي ؟
ام ارتقى هؤلاء الشعراء حتى بلغوا مستوى تخلفنا نحن من وراءه (كذا)
لمكان نفافتهم ، وسعة افهمهم » .
(18) الصناعتين : 17 ، وينسب القول في اخبار ابي تمام : 245 الى
ابي رهم السدوسي .

وما يراد منهم أن يتذوقوه⁽¹⁹⁾ . ويكتنا أن تضرب على ذلك مثلا بوقفة
الأمدي عند قول أبي تمام :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

فقد قال : « ان هذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب ،
وهو أفصح ما وصف به النساء ، لان شأن الخلاخل والبرين أن توصف
بأنها تعض في الاعضاد والسواعد . . فاذا جعل خلاخلها وشحا تجول عليها
فقد أخطأ الوصف ، لانه لا يجوز أن يكون الخلخال الذي من شأنه أن
يعض بالساق وشاحا جائلا على جسدها ، لان الوثاح هو ما تقلده المرأة
متشحة به ، قطرحه على عاتقها فيستبطن ، وينصب جانبه الاخر على الظهر
حتى ينتهي الى العجز ، ويلتقي طرفاه على الكشح الايسر . . . »⁽²⁰⁾ .

وقد يكون ما قاله الامدي صحيحا ، فمن حق الناقد ان يطالب الشاعر
باندقة في استعمال الالفاظ ، ولكن من حقنا أيضا ان نلاحظ بمعزل عن الخطأ
في الاستعمال اللغوي ، منطلقه في نقد أبي تمام من حيث مخالفته مذاهب
العرب في القول ، محاولا تطبيق مقاييس ثرية على الشعر . بل ان الامدي
لم يتنبه - أو لم يرد فيما يبدو أن يتنبه - الى ما حاوله أبو تمام من رسم
تقاليد خاصة به في التعبير الشعري تفصله عن الشر من خلال التوسع في
استعمال المجاز . ومما يؤيد رأينا هذا قول الأمدي نفسه : « وأما قول
البحتري : جيده (يعني جيّد أبي تمام) خير من جيدي ، ورديثي خير من
رديته ، فهذا الخبر - ان كان صحيحا - فهو للبحتري لا عليه ، لان قوله هذا
يدل على أن شعر أبي تمام شديد الاختلاف ، وشعره شديد الاستواء ،

(19) تنظر رسالة أبي ماضي التي وجهها الى طه حسين ردا على نقد
« الجداول » في جريدة الثورة ، ع 884 (3 تشرين الاول | 1974) : 6 ،
وينفع هنا ان نسير الى قول الصولي في اخبار أبي تمام : 53 « وقد رأيت . .
بعض هؤلاء الجهال يصحف أيضا على أبي تمام . ثم يعيب ما لم يقله أبو تمام
قط . . . » .

(20) الموارنة 1 : 142-143 .

والمسنوي من الشعر أولى بالقدمة من المختلف الشعر ، وقد أجمعنا
 - نحن وأنتم - على أن أبا تمام يعلو علوا حسنا ، وينحط انحطاطا فيجا ، وان
 البحري يعلو ويتوسط ولا يسقط . ومن لا يسقط ولا ينفسف أفضل ممن
 يسقط وبنفسف « (21) . فنحن - أمام هذا الحكم - لا يمكن أن ندعي ان
 الآمدي فهم جوهر المسكلة ، لانه كان حرا أن يدرك انه يقابل بين شاعرين
 لا يلتقيان النقاء تاما في منحاهما ، ان لم يكونا مفرقين ، أحدهما - وهو أبو
 تمام - من يفكرون مرتين : مرة للمعنى وأخرى للفظ (22) ، وثانيهما يقول
 الشعر على سجيته لا يطلب البديع الا حيث واثاه . وإذن فقد كان على الآمدي
 النظر الى أبي تمام على انه صاحب تجربة جديدة تحتل التكلف قدر احتمالها
 الدفة والجودة ، وان يتطلق معه أساسا من حيث انه مخالف في شعره ما تنطق
 به العرب ، دون ان يحاسبه على ذلك .

وإذا كانت دعوانا بشأن الآمدي مما يحتمل المناقشة ، فانها - فيما نظن -
 لا تحتل شيئا منها في قول عباس خضر متحدثا عن نقده لمحمود حسن
 اسماعيل : « كنت أنقده بمقياس لا يعد الشاعر شاعرا الا بمقدار التصاقه
 بروائع ما قيل » (23) . ولا في قول معاوية محمد نور : « وقد يتورط محمود
 طه في غرامه بـ (الشعریات) برسمه صورا مضحكة ، اذا لم تكن مستحيلة
 كقوله :

ماؤه ذوب خمرة وسنا شم س ، وريّا ورد ، وألحان طائر
 وعنده اذا لم يجعل هذا الماء ذوب خمر ، وسنا شمس ، وريا ورد ،
 وألحان طائر في آن واحد فهو ليس بشاعر . وأي منطق يستطيع أن يفهم
 شيئا يكون سنا شمس محرقة ، وريا ورد ، ثم يكون في نفس الوقت صوت

(21) الموازنة 1 : 12 .

(22) تاريخ النقد الادبي عند العرب : 103 .

(23) الواقعية في الادب : 118 .

طائر ؛ اللهم ان هذا خلط فيبح لا نرضاه لصديقنا الشاعر » (24) .

وواضح جدا أن الكاتب يعامل الشعر معاملة النثر ، ويريد منه ان يخضع للمنطق الذي بنضوي نحته الشر ، ولو لم يكن كذلك لاستطاع ان بهم بسهولة أن الجو النفسي الذي يشيعه في الشاعر سنا الشمس وذوب الخسر ، وريا الورد . والحان الطائر - وتلك عملية غير واعه - هي الفدر الجامع - كما بقول أهل المنطق - بن هذه الانبياء جبيعا . ولبس هناك من نفاض ولا ضحك ولا إحالة الا اذا عددنا الشعر كله من صنع الوعي ، ولا تأثير للاوعي فيه .

وعلى هذا يسكننا أن نقول : ان غياب اللغة المشتركة بين القديم والجديد - اذا جاز التعبير - عامل مهم من عوامل الصراع واحتداده .

ومن دواعي الصراع أيضا اتخاذه غطاء لقضايا شخصية قريبة من الادب أو بعيدة عنه ، ومن هذه القضايا المنافسة سواء أكان المنافس مجددا أو محافظا ، فاذ يثار الصراع بين أنصار القديم وأبي تمام فائنا لا نستطيع أن نفضل - لدى بحتة - كون أبي تمام « يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من الملوك ، ورؤساء الكتاب الذين هم أعلم الناس بالكلام منشوره ومنظومه ، حتى كان هو يعطي الشعراء في زمانه ، وبسفع لهم » (25) . فلا بد ان تكون مثل هذه المكانة مما شير تقرا من الادباء والشعراء منافسه مرة ، وحسدا مرة أخرى حسب طبيعة المثار نفسه .

ولما كان أبو تمام قد خرج على عمود الشعر ، كان من السهل ان نختلط لدى خصومه المسألة الشخصية بالمسألة الفنية ، لان من مصلحة المنافس الذكي - في الغالب - أن يظهر بمظهر المترفع عن القضايا الشخصية المتشغول بما هو أهم منها ، تلك هي المسألة الفنية ، وان من مصلحته أن

(24) الرسالة ، اصدقائي الشعراء هذا لا يؤدي : ع 68 ، س 2 (22)

اكوبر 1934) : 1754 .

(25) اخبار أبي تمام : 175 .

نوجه بالهدم الى الاساس الذي يقوم عليه المنافسة ، وهو المكانة الرفيعة التي احتلها أبو تمام بفنه • ومن هنا بكسوت الهجوم على شعر أبي تمام اختصارا لطريق الخصومة ، لان هدم شعره - ادا نم - يفضي الى خفض مكانه القائسة عليه • وهكذا فان الهجوم ينصب - في أحيان غير قليلة - على شعر أبي تمام ، وكان خروجه على عهود الشعر العربي وحده مما يثير الآخرين اخلاصا لفضة الشعر ، وليس مكاتنه الكبيرة في عصره وما تتره من منافسة وحسد •

لقد كانت مكانة أبي تمام من جيلة الاسباب في اتارة الصراع ، وان الذين كانوا ينافسونه ، او الذين خيلت لهم منافسته - حاولوا ان يغطوا هذه المنافسة بغطاء أقرب الى الفن ، والا فانَّ خروجه كان مبكرا ، ولم نجد من خاصمه قبل شهرته ، ومما يعضد رأينا هذا ما روي من أن أبا تمام « قصد انبصرة ، وبها عبدالصمد بن المعذل ، الشاعر ، فلما سمع بوصوله ، وكان في جباغة من غلمانته وأتباعه - خاف من فدومه أن يبمل الناس اليه ، ويعرضوا عنه ، فكتب اليه قبل دخوله البلد :

أنت بين انتنين تبرز لنا	س ، وكتاهما بوجهٍ مثال
لستَ تنفك راجيا لوصول	من حبيب ، أو طالبا لنوال
أي ماء يبقى لوجهك هذا	بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال ؟

فلما وقف على الابيات أضرب عن مقصده ورجع ... ولما قال ابن المعذل هذه الابيات في أبي تمام كبها ودفعا الى وراق كان هو وأبو تمام يجلسان اليه ، ولا يعرف أحدهما الآخر ، وأمر أن تدفع الى أبي تمام ، فلما وافى أبو تمام وقرأها ، قلبها وكتب :

أبي تنظم قول الزور والفسد	وأنت أنقص من لا شيء في العدد
أشرجت قلبك من غيظ على حنق	كأنها حركات الروح في الجسد
أقدمت ويلك من هجوي على خطر	كالعير يقدم من خوف على الاسد

وحضر عبدالصمد ، فلما قرأ البيت الاول قال : ما أحسن علمه بالجدل !
أوجب زيادة ونقصانا على معلوم ، ولما نظر الى البيت الثاني قال : الاشرار من
عمل الفراشين ، ولا مدخل لسه هنا ، فلما قرأ البيت الثالث عض على
شفته « (26) ولعلنا لا نبعد عن الصواب اذا استبعدنا ان يقف ابن المعدل هذه
الوقفة النقدية - وهو في موضع مهاجاة - لو كان أمام خصم آخر غير أبي
تمام ، تقليدي في شعره .

ومن الزاوية نفسها يمكن ان ننظر الى قول دعبل بن علي عن أبي تمام :
« ثلث شعره سرقة ، وثلثه غث ، وثلثه صالح » (27) ، وقوله فيه أيضا « لم يكن
أبو تمام شاعرا ، انما كان خطيبا ، وشعره بالكلام أشبه منه بالنسر » (28) .
فليس يهمننا ما يبدو في الرأيين من تناقض قدر ما يهمننا ان نعلم أنه « كان يميل
عليه ، ولم يدخله في كتابه (كتاب الشعراء) » (29) ، وان هذا الميل بلغ به
- كما يقول علي بن الجهم - ان « يكذب علي أبي تمام ، ويضع عليه
الاخبار » (30) . وكان مما يزيد في تحامل دعبل على أبي تمام أنه « كان ...
يوم قدم بغداد - في خلافة المأمون - شابا صغير السن ، على حين كان دعبل
على أبواب الستين ... فلما تخطى أبو تمام رقاب الشعراء جميعا داخل دعبل
فيما يبدو لمتتبع أخباره - حسد ... » (31) . ولم يكن دعبل - كما يبدو - في
خصومته من الكياسة بحيث يستطيع ان يوهم معاصريه بأن سبها فني بحت

(26) وفيات الاعيان 1: 335-336 ، وينظر الاغانى | 13 : 253-254
وبين المصدرين خلاف ليس في صالح أبي تمام ، ربما يكون مرجعه ان راوي
الخبر في الاغانى هو ابن مهرويه ، وهو - كما يقول الاصبهاني - متحامل على
ابي تمام .

- (27) اخبار ابي تمام : 244 ، وتنظر الموازنة | 1 : 19 .
(28) | (29) اخبار ابي تمام : 244 .
(30) اخبار ابي تمام : 60 .
(31) | (31) دعبل بن علي الخزاعي : 165-166 .

لا شخصي . يدلنا على ذلك ما خاطبه به الشاعر عصاية الجرجاني ، وهو
يتأثره في شعر أبي تمام من قوله : « تقدمه في احسانه صيرك له عابا ،
وعليه عابا » (32) .

وكان هناك فريق آخر يعيب على أبي تمام مذهبه « سببا لباهة ،
واستجابا مُعْرِفة . اذ كان ساقطا خاملا ، قألف في الطعن عليه كتابا ،
واستعوى عليه قوما ، ليعرف بخلاف الناس ، وليجري له ذكر في النقص ،
اذ لم يقع له حظ في الزيادة .. وقد قيل : خالف تذكر ... » (33) .

ومن هذا الباب يمكن ان نسوق خصومة جماعة « الديوان » لشوقي
مثلا ، فقد « ذهب شوقي بامارة الشعر لا بفضل قوة شاعريته وحدها ، بل
وبواسطة عدة وسائل خارجة عن مجال الشعر كاتصاله بالسراي وبالطبقة
العليا في المجتمع ، ثم اصطناعه لطائفة من صغار الصحفيين والادباء الذين
هللوا ومهدوا لامارته ، مما أثار نائرة الشعراء السبان الكادحين في أوائل
القرن الحالي ، كالعقاد ، والمازني ، وشكري الذين رفعوا معاولهم لكي
يهدموا الامارة والامير » (34) . فاذ نسمع مثل هذا السبب - في جملة
الاسباب - التي ندعو الى اصدار « الديوان » نجد ان الديوان قد تعرض
- وهو يناقش شعر شوقي - الى قضايا فنية لا تكاد تمس المنافسة بشيء ، اذا
استثنينا ما كتبه العقاد تحت عنوان : « شوقي في الميزان » (35) فان القاريء
يمكن ان يستشف - من خلال ذلك - ضجر العقاد من التهليل لشوقي
واطرائه .

(32) اخبار ابي تمام : 183 ، وينظر الاغاني 16 : 393 .

(33) ينظر اخبار ابي تمام : 28 .

(34) محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي 1 : 4 ، وواضح ان
« الديوان » صدر قبل مبايعة شوقي بالامارة بسنوات ، ولكن هذه المبايعة
لم تضاف على اللقب غير الرسمية ، والا فانه كان يدعي هذه الامارة مبكرا ،
ينظر من اين تبدأ الثورة على أمير الشعراء ، عبدالرحمن صدقي ، الهلال ،
ع 11 ، س 76 (نوفمبر 1968) : 31 ، وكرر مندور رأيه في محاضرات عن
ابراهيم المازني : 28 دون ذكر للامارة .
(35) ينظر الديوان : 5-11 .

وما قيل عن جماعة « الديوان » قيل عن جماعة أبولو ، فعزيت ثورتهم - فيما عزيت - الى بحث أبي شادي وجماعته عن نصيبهم « من المجد والشهرة والجاه » (36) بعد أن وجدوا « جماعة التقليد تربع على غرض الشهرة والمجد » (37) ، وأخذ العقاد والمازني « نصيبا كبيرا من الشهرة والمجد » (38) .

ومن المنطلق نفسه يسكن ان تنظر الى هجوم حسين مردان على الجواهري (39) ، دون ان يعني ذلك ان حسين مردان ندد للجواهري ، كما ان العقاد شاعرا ليس نديا لسوفي ؛ فقد كان يهيم الشباب الذين تبسوا حركة الشعر الحر في العراق - ومهم مردان - أن يطوفوا « الباب بقوذة لاثاره والقات (كذا) نظر الجو المحيط بهم ، وكانت أعمالهم بسجوعها سنكل صرخات أفراد مهجورين في هذا العالم المتخوم بحوادث الآخرين ، ومساكلهم الحضارية ، يريدون ان يجدوا أنفسهم أو ان يجدهم الاخرون فالمهم اثاره الجو المحيط بهم ... » (40) . واذ نرجع الى الاربعينات في العراق ومكانة الجواهري شاعرا وسياسيا فيه ندرك معنى ان يكون المهم لدى هؤلاء الشباب من الشعراء اثاره الجو المحيط بهم ، هذا الجو الذي شغله الجواهري عن ان ينظر الى سواه الا قليلا لا سيما بعد أن اعتزل الرصافي حياة بغداد وبدا كأنه مقرر بأن ليس هناك شاعر سوى الجواهري (41) .

واذا كان بعض المنافسين - في النماذج التي عرضنا اليها - يتخذ من هدم خصومه أساسا في بناء كيانه الشعري ، فان بعضا آخر يتخذ من « التنظير » الذي يظنه بناء واجهة لهذه المنافسة التي من شأنها ان تشيد لسه كيانا .

(36) (37) (38) ينظر جماعه أبولو وارها في الشعر الحديث : 274 .
(39) مقالات في النقد الادبي : 10-42 ، وقد نشر هذا الهجوم في جريدة الآوقات عام 1952 .

(40) خواطر عن الشعر العراقي الحديث ، بلند الحيدري ، الاديب العراقي ، ع1 ، س2 (كانون الثاني - شباط) : 41 .
(14) تنظر قصيدة الرصافي بهذا المعنى ، في ديوان الجواهري 3 : 22 .

ويمكننا أن نضرب بـ « البيان الشعري »⁽⁴²⁾ الذي وقعته أربعة من الشعراء الشباب في العراق عام 1969 متلا . فعلى ان « البيان » لم يتعرض لاحد يمكن أن يكون - بما يحتله من مكانة شعرية رفيعة - من دوافع كتابته ، الا ان اثنين من موقعيه هما : فاضل العزاوي وسامي مهدي لم يستطيعا أن يخفيا ضيقهما بجيل الرواد في حركة الشعر الحر ، وبالجموهري ، فقد كتبت مجلة الشعر 69 التي ينرفان على تحريرها - وهي تقابل بين ظروف شاعر الستينات في سوريا مثلا بمدوح عدوان وظروف زميله في العراق ، وما تفرضه هذه الظروف عليهما (وهما من جيل الستينات) في سبيل ارساء مكاتتهما - كتبت تقول : « ان مدوح عدوان - بوجه خاص - يبدو أكثر اقتناعا بما وصل اليه في شكله الشعري ، ولهذا فهو يأخذ على الشعراء العراقيين اهتمامهم بالبحث عن أشكال جديدة للقصيدة الحديثة ، ويحاول أن يجد لذلك تبريرا لا منطقيا يسميه (البعد عن أرض المعركة) ثم يحاول ان يقنع نفسه بهذا التبرير بدلا من ان يحاول تليل ذلك بافتتاحهم على الشعر العالمي ، أو بوقوعهم في دائرة التحدي . في العراق يجد الشباب أنفسهم أمام تحدي البياتي والسياب وأمام مهمة تجاوزهما ، ولكن هل ثمة من يتحداه بمدوح في القطر السوري ؟ » .

« في البداية فلنا ان الظرف السياسي والظرف الثقافي كانا لصالح هذا الجيل من الشعراء السوريين . . . بل ان الظرف السياسي هيا لهم ميدانا خاليا تقريبا من الشعراء التقليديين الذين يبدون اليوم محاصرين حصارا ثقافيا يكاد يكون تاما . . باعتبار ان الشباب - فكرا ومنهجيا - أكثر انسجاما مع منطلق الظرف الذي يمر به القطر وبالتالي فان الشاعر السوري الجديد لا يخوض الحرب الخاصة التي يخوضها زميله العراقي ، لان الاول لا يجد

(42) ينظر البيان في مجلة شعر 69 ، ع 1 س 1 (مايس | 1969) : 16 .

نفسه في مجابهة شاعر كبدوي الجبل ، مثلما وجد الثاني نفسه في مجابهة شاعر كالجواهري ...» (43) .

وإذن فإن هذا القول يمكن ان يدلنا على أن من الاهداف التي انيطت بالبيان الشعري أن يلفت الانظار التي شغلها رواد الشعر الحر والجواهري الى موقعيه . ولعل في اهتمام المجلة بما يثيره البيان من أصداء في مصر أو في لبنان أو في سوريا⁽⁴⁴⁾ دليلا يؤيد ما ذهبنا اليه .

ومن القضايا التي تتخذ الصراع بين القديم والجديد في الشعر غطاء فتكون من دواعيه ، قضية الخلافات السياسية ، فعلى أننا لا نملك من المعلومات الكافية عن التيارات السياسية بدقائق ماجرياتها اليومية وعلاقتها الشعراء بها ومواقفهم منها في العصر الاموي أو العصر العباسي ، ما يسير الى تأثير هذا الجانب في الصراع ، وذلك أمر طبيعي ، لانه لم يكن للنظريات السياسية في العصر العباسي من العمق والسعة ، كأن يكون تصور العلويين - مثلا - للشعر مغايرا لما هو عليه تصور الامويين أو العباسيين ، ما لها في حياتنا الحاضرة ، الا ان اختفاء جانب السياسة داعيا من دواعي الصراع بين القديم والجديد في ذلك العصر لا يعفينا من بحثه في عصرنا الراهن .

ويمكننا ان نلمح تأثير الجانب السياسي في موقفين أحدهما ساذج تمليه عداوة شخصية منشؤها خلاف سياسي لا يقوم على نظرية متكاملة تقود - بالضرورة - الى اختلاف وجهات النظر الى الحياة ، والمجتمع والثقافة ، وانما هو موقف يهيمه أن يتسقط عيوب خصمه تسقطا لا يريد لدوافعه ان تنفض بسهولة ، فيلجأ الى التنظير في الشعر - اذا كان الخصمان ممن يهتمون بقضية الشعر أو ينظموه - قدر لجوئه الى هدم نتاج خصمه . ولنا في موقف العقاد من شوقي ما يقوم مثلا على ذلك ، فقد قيل ان « العقاد كاتب الوفد

(43) شعر الستينات في القطر السوري ، شعر 69 ، ع 3 ، س 1 (تموز 1969) : 106 .

(44) تنظر اصداء البيان في المصدر نفسه ع 2 ، س 1 (حزيران 1969) : 129 - 132 ، ع 3 (تموز) 98 - 103 ، ع 4 (آب) : 119 - 120 .

كان يهاجم شوفي لانه على خصومة أو خلاف مع سد زغلول وبفي العقاد متصراً على موقفه بداعي شعاره الذي يقول انه لا يغير من آرائه» (45) . وهذا الدافع السياسي يدلنا على ان الخلاف السياسي - في مثل تلك الحالة - يسكن ان يتخذ من الادب والشعر واجهة له ، لا لان هذا الخلاف يقودهما الى موفين متغاربين في فهم الشعر ، وانما لانه يورت - لدى حسمى الافق - عداوة لا يمكنها أن ترى حسنة في الشخص الذي نصب عليه .

أما الموقف الآخر ، فهو موقف نمليه نظرية سياسية متكاملة ، أو شبه متكاملة في نظرها الى جوانب الحياة ومنها الثقافة ، والادب والشعر ، ويمكننا ان نضرب على ذلك مثلاً بموقف مجلة الثقافة الجديدة العراقية من « البيان الشعري » ونعتها إيتاه بكونه « تياراً مغرقاً في الرجعية والتفسخ الفكري » (46) . فهي حين تهاجم البيان ، انما تتطلق من اعترافها الواقعيه الاشرائية مدرسة في الادب ، لان اعناق البيان نظرية في الخلق الادبي تقوم على الهلوسة ، ومحاولته تفريغ الالتزام في الادب من معناه (47) ، بعنيان عزوفا عن كل النظريات القائمة في الشعر ، ويعنيان أيضاً ان المدارس - ومنها الواقعية الاشرائية - لم تعد صالحة ، والا فما ضرورة البحث عن بديل لها من خلال البيان ؟

ولعل مثل هذا الصراع الذي هو في الاساس صراع فكري اتخذ من

(45) أضواء على الادب العربي المعاصر : 148 .
(46) الثقافة الجديدة ، ع 4 (تموز 1969) ، حول بيان مجله (الشعر 69) أيضاً : 175 ، وينظر في المصدر نفسه ، نقد البيان الشعري ، عبدالكريم الكاسد : 177 ، وقوله : « في مناقشتنا هذه سنحاول جاهدين ان نتحرك ضمن البيان الشعري . . لكن هذا لا يعني اننا لن نقابل احكامه الخاصة بأحكامنا نحن . . » لكن الكاتب يؤكد لئلا يشير الاخرين بانه يريد ان يصل من خلال الحوار الى ما هو ارقى من احكام البيان واحكامه ، بيد انه لم يحد في مناقشته عما يؤمن به الواقعيون الاشتراكيون .
(47) ينظر ، البيان الشعري ، أ الشعر 69 ، ع 1 ، س 1 (مايس 1969) : 12 - 13 .

الادب قضية له ، مما تنبه اليه الدكتور مندور بقوله : « ان النقد الادبي أو الفني لم يعد يعتمد على أصول الادب والفن فحسب ، بل أخذ يتأثر متأثراً كبيراً ، بمذاهب الفكر والسياسة والاجتماع ، مما يوسع الهوة بين الاحكام التي يمكن ان يصدرها هذا الناقد أو ذاك على عمل أدبي أو فني بذاته ... » (48) .

على أن الافكار السياسية تتخذ لدى خيفة أصحابها عوافب اعتنائها - في الغالب - من الادب بصورة عامة ، والشعر نوع من أنواعه ، منفرداً نسب من خلاله مفهوماتها ، وهي آمنة . ويمكننا ان نضرب مثلاً على ذلك دعوة أدونيس - وهو يومذاك من حزب القوميين السوريين - (49) الشاعر العربي المعاصر أن يأخذ من التراث العربي ما كان ذا معنى « ولا معنى لهذا التراث الا بقدر ما يندرج في هذه الحضارة الانسانية ، وبقدر ما هو انساني ، وبقدر ما قوامه الحرية والعقل » (50) . ودعوته كما تبدو - في الوهلة الاولى - لا غبار عليها ، ولكن هذا الغبار قد أثير في قوله : « وتاريخ الفكر العربي يربنا الى أي حد كانت السيطرة الدينية قوية وحاسمة على المفكرين والفلاسفة ، مما اضطرهم الى توجيه ما يكتبونه في اتجاه التوفيق بين العقل والدين ... » (51) .

والتوفيق بين العقل والدين معناه - دون أدنى ريب - غياب الحرية وققدانها والا لما كانت هناك حاجة الى التوفيق ، واختلاط الدين بالعقل في هذه المحاولة التوفيقية معناه أيضاً غياب العقل الخالص ، ومعنى قول أدونيس النهائي ان التراث الفكري العربي يفتقد الحرية والعقل في آن واحد . وإذن

(48) قضايا جديدة في أدبنا الحديث : 7 - 8 .

(49) ينظر أصوات غاضبة في الادب والنقد : 28 - 29 ، وفيه ان ادونيس

ظل مرتبطاً بهذا الحزب حتى عام 1963 .

(50) الشعر العربي ومشكلة التجديد ، الادب العربي المعاصر : 181 .

(51) نفسه : 80 .

فدعوته الشاعر العربي المعاصر ان يأخذ من تراثه « بقدر ما قوامه الحرية والعقل » دعوة معلقة على مستحيل ، وبمعنى آخر فان دعوته تقوم - بصورة غير مباشرة - على نبذ التراث جملة وتفصيلاً . وهي تنسجم تماما مع انتمائه الى حزب القوميين السوريين الذي يعادي « ... العروبة والمكرة العربية معاداة عيفة » (52) .

وأوضح من موقف أدونيس كان موقف طه حسين حين وافق الفائز بأن البهاء زهير أقرب الى نفوس المصريين من شوقي وحافظ ، لان أضراب البهاء زهير كانوا « يدرسون الادب العربي ولكنهم ما كانوا يتجنبون الذوق المصري كما بفعل شوقي وحافظ ، فكانوا اذا ألف أحدهم قصيدة عمد الى نفسه المصرية فأدى عنها ما يجيش فيها من المعاني وزانها بما في العربية من الامتاع اللفظي ، فلم تكن دراسته للادب العربي تؤذيه وتجعله يفكر في التنايب والمجازات العتيقة التي لا تتفق والبيئة المصرية » (53) ، ولا ريب ان فهم طه حسين للتجديد ينطلق من ايمانه بالفرعونية يومذاك ، بل ان الفرعونية - على الاصح - تتخذ من التجديد واجهة تستر وراءها لديه ، ولدى سواء ، ولعل في قول احمد شوقي : « وأولئك الذين يطلبون أدبا مصريا غير شائع في العالم العربي ولا يستوحى الادب العربي القديم اما ان يخلقوا لمصر لغة أخرى يسخرونها ويعبثون بها كما يشاءون ، وإما ان يستوحوا للادب المصري المزعوم لغة من لغات الغرب ... » (54) ، أقول : لعل في قوله ما يشير الى تيار يتعدى طه حسين الى آخرين ممن ينادون بالتجديد انطلاقاً من الفرعونية . وينبغي لنا ، هنا ، ان نؤكد ، ونحن نبحث في القضايا التي تتخذ من

(52) أصوات غاضبة : 27 .

(53) الهلال (ساعة مع الدكتور طه حسين بفلم : س.م) ع1 ، س36

(نوفمبر 1927) : 37 .

(54) نفسه (حديث مع أمير الشعراء) ع8 ، س35 (يونيه | 1927) :

الصراع واجهة ، ان هذه الحال تنعكس ، في بعض الحالات ، فيتخذ فريقا الصراع - في أحيان غير قليلة - من القضايا الشخصية والسياسية واجهته لصراعهما ، كأن يحاول أحدهما التعرض الى مسائل شخصية أو أن يزج نظيره في مسائل سياسية يريد من خلالها تهديمه ، أو التغلب عليه ، مما هو أدخل في أخلاق فريقى الصراع التي سنعقد لها فصلا خاصا بها .

ويحسن بنا - بعد اذ بحثنا من دواعي الصراع ما بحثناه - ان نمسح صفة ما ذهبنا اليه منها ، وان نضيف اليها ما نستطيع من خلال الوقوف عند حركتين تجديديتين هما : الموشحات الاندلسية ، وشعر المهجر . ويجمع بين هاتين الحركتين انهما ظهرتا في بيئتين اجنبيتين استوطنهما العرب ، اذ ظهرت الموشحات أواخر القرن الثالث في الاندلس ، وشعر المهجر في الامريكنين الشمالية والجنوبية قبل مطلع القرن الحاضر بقليل ، فكانا صدى لتينك البيئتين .

ويهمنا من الوقوف عند الحركتين اننا لم نعثر - فيما نعلم - على ما يشير الى ان صراعا - بالمعنى الذي حددناه - أثير بوجهيهما ، بل ان الموشحات « انتقلت الى الشرق ، فأعجب بها المشاركة ، ونظموا في قوالبها ، وتأثروا بأساليب أصحابها من الاندلسيين » (55) ، ولم يكدرسو شعر المهجر يطلعوننا على صراع دار عليه هناك ، ولم يكادوا يجدون في المشرق من ينفي عنه الشاعرية على أنهم وجدوا الدكتور طه حسين آخذا عليه ضعف لغته (56) وعزيز اباطة متابعا اياه . ونحن نعرف ان هذا الشعر لقي اعجابا بحسبك منه ان يطبع « الجداول » لأبي ماضي في بيئة كالنجف يفترض فيها أن تكون محافظة .

(55) فن التوشيح للدكتور عبدالعزيز الاهواني في كتاب حركات التجديد

في الادب العربي : 92 .

(56) ينظر رأي طه حسين بلفه شعر المهجر في حديث الاربعاء 3 : 195 -

201 ، وينظر رأيه ورأي عزيز اباطة في أدبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية :

195 - 223 .

وإذن فأننا نكاد نطمئن الى ان حركتي الموشحات والمهجر لم نثرا صراعا
رغم خروجهما على عمود الشعر العربي جملة وتفصيلا قياسا الى خروج
أبي تمام ، أو خروج جماعة أبولو ، فما سر هذه الظاهرة ؟

يمكننا ان نتلمس السر في استجابتهما للظروف المحيطة بهما ، وذلك
بديهية يستطيع أن يظل من أهميتها من يحتج باستجابة أغلب الحركات
التجديدية لظروفها . ولكن ما هو أهم من ذلك - في رأينا - ان هذه
الاستجابة تمت في بيئتين نكادان تكونان متجانستين في الثقافة الشعرية ،
على الاقل ، ان لم تكونا قد تجانستا في الثقافة العامة . ومعنى هذا التجانس
اتقاء ما أسميناه بغياب اللغة المشتركة بين فريق الصراع ، لا سيما ان
الشعر التقليدي في الاندلس - ودع عنك الموشحات - لم تنط به المهمات
اللغوية والتاريخية التي انيطت بالشعر الذي سبق العصر العباسي في المشرق .
ومعنى هذا التجانس أيضا ان المصالح الشخصية لن تتخذ من الصراع واجهة
تختفي وراءها لان هذه الواجهة لن تجد لها سوقا رائجة في بيئة متجانسة .

ونتلمس السر أيضا في خروج كلتا الحركتين على مفهوم الشعر بمعناه
« التقليدي » إذ أن « الموشحات - من ناحية الاغراض ركزت في المقام الاول
على الغزل ، ولم تتسع لكل الاغراض التي اتسعت لها القصيدة العربية ،
وهذا أمر طبيعي في منظومات وضعت أصلا للغناء » (57) ، واتسم شعر
المهجر ، في أغراضه الجادة (58) ، بالحنين والتأمل اللذين لم يكونا من أغراض
الشعر العربي التقليدي ، وقد كنا قررنا ان الصراع حين يدور ، يدور على
الشعر بمعناه التقليدي .

وبعد ، فاذ نكون قد قررنا من دواعي الصراع ما قررنا ، فأننا نود ألا

(57) حركات التجديد في الادب العربي : 85 .
(58) عرف الشعر المهجري كما في ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية :
174-133 . شعر الحفلات والمباسطات ، ولكن يهمننا منه أغراضه الجادة الجديدة
كما قررنا وديع ديب في الشعر العربي في المهجر الامريكي : 134-78 .

فوحى بأن ليس هناك من يختلف لوجه الشعر وحده ، فلم يعد الصراع من يدخل الحلبة لا يبتغي من ورائها الا ما يظنه خيرا للشعر ، ونضرب مثلا على ذلك بالآمدي ، فهو - وان مال لبعثري على أبي تمام - الا انه لم يكن يجني من وراء ذلك نسيئا وبينه وبينهما ما يزيد على قرن ، وبخليل مطران فهو - رغم ايمانه بالتجديد - لم يعرف عنه انه كان على خصومة مع أحد تدفعه الى ان يهاجم ، بل انه لم يتعد ان يقول ما يرى دون ان يعرض بأحد . . ومهما يكن من أمر فان دواعي الصراع مما لا يصرح به الفريقان ، فهما يسوهان ، وربما لا يعلمان ، دواعيهما الحقيقية في الصراع بحجج فنية ، أو فكرية تكفل لكل منهما اثبات الحق بجانبه ، أو هكذا يخيل اليهما . أما التعرف على هذه الحجج فهو ما سيكفله الفصل التالي .

الفصل الثالث

حجج فريق الصراع

حجج فريق الصراع

ليس من أحد يطمح ان يحترم الاخرون موقفه يجرؤ - الا فيما ندر - على الوقوف بوجه الجديد من حيث هو دعوذغير محددة بنسيء من التفصيلات، أو من حيث هو قيمة مطلقة ، وانما يكون هذا الوقوف - مهما يبلغ من العنت او من اللين - حين يَنظر الى أنموذج ما على انه هو الجديد المنتظر المنشود (1) .

تلك بديهيته يتخذ من خلالها الصراع وجهة نقدية لدى فريقه ، وهم يدلون بأرائهم وحججهم . واذا كان الجديد - بالضرورة - مدعوا الى تقديم نظريته فيما ينبغي ان يكون عليه الشعر منمثلة في انموذج ، أو مقولة فان هذه النظرية تنطوي - بالضرورة ايضا - على التقليل من شأن محاكاة القديم ، او على هدم هذه المحاكاة ، والا لم يكن من مسوغ للتجديد . على أننا رأينا هذا الهدم غالبا ما يحاول - في بداية أمره - الا يمس المعاصرين من أنصار القديم (2) ، وكان المجددين يتحاشون الاصطدام بهم ، وبجمهورهم . ولكنهم مع ذلك يضطرون الى هذا الصدام حين يشيع في جمهرة من الناس

(1) ربما يدلنا على شيء من ذلك أحمد أمين في دعوته أنصار الجديد الى أن يحددوا المناحي التي يرون ان التجديد يجب أن ينصب عليها ، ليكون ذلك منطلقا للمناقشة ، ننظر الرسالة ، ع6 ، س1 (أبريل 1933) : 7-9 ، التجديد في الادب .

(2) شد « الديوان » عن هذه القاعدة ، وقد عرضنا لشذوذه وعللناه في الفصل الاول .

جديدهم ، وحين ينكر انصار القديم عليهم ذلك ، وكأنهم لم يعودوا يطمئنون الى ما يضمن لهم استمرار رسوخ القيم التي يستندون اليها في شعرهم ، والتي كفلت نصرتها القرون .

ومن المعقول ان تتوقع لحجج انصار الجديد ان تكون أقوى من حجج انصار القديم ، لانهم ألصق بعضهم ، وأقرب الى روحه ، والا لما جددوا ، ولانهم - وهم يحسون بضرورة التجديد - لابد أن يكونوا قد أداموا النظر في معايب القديم ، بشكل او باخر ، وعرفوا مواطن قصوره ، على حين يفاجأ انصار القديم بهذه المعايب فلا يسلكون - في بداية أمرهم - الا ان يرفضوا ما ينادي به المجددون دفاعا عما ألفوه ، ثم تراهم يتدرجون في هذا الدفاع تدرجا يسير على هدي حجج انصار الجديد ، أي اتنا قلنا نرى انصار القديم يتفردون بنظرية متكاملة غير متأثرة بالجو الذي يخلقه المجددون ، في الدفاع عن قديمهم ، وانما هم يتلقون الحجة فيردون عليها .

والجديد الذي يؤدي الى صراع هو خرق لقاعدة جرى عليها الناس ، فظنوا انها ركيزة لا يستقيم لهم الفهم بدونها . وعلى هذا فانه يقع على عاتق المجدد عبء زعزعة هذا الظن . وفي مجال الشعر ، درج الناس على انه « قول موزون مقفى ، يدل على معنى »⁽³⁾ . وإذن فلا بد لمن يريد الخروج على طرف من أطراف هذا التعريف ولمن خرج عليه ، ان يقف عنده فيناقشه مثبتا خطئه ، أو أن يقف عند مبدأ ضرورة ان يكون لكل شيء قاعدة فيحاول ان ينسعه من أساسه ، لان المجدد الذي يريد التطاول على تعريف عصره السائد ، لابد ان يجد من يواجهه بتهمة الخروج على القواعد المألوفة⁽⁴⁾ ،

(3) تقد الشعر : 11 .

(4) ينظر قول ابن الاعرابي عن شعر أبي تمام : « ان كان هذا شعرا فما قاله العرب باطل » في اخبار أبي تمام ، وينظر رأي ابن قتيبة في وجوب الزام الشعراء المحدثين بالمقدمة الطلية في الشعر والشعراء 1 : 74-77 ، ووصف أنور المعداوي للشعر الحر الذي يتحرر من الفيود بانه « بدعة وشعوذة وفوضى ... يسميها الفاشلون فنا » في مجلة الرسالة ، ع 965 ، س 19 (31 ديسمبر 1951) : 1484 الشعر المرسل والشعر المنتور .

نصرخ في وجهه : « وما شأننا نحن في ان يعجز الشاعر عن ان تتساق له
دفة الواحده في القصيدة الواحدة ، فيلهو بالقوافي ثم يعث ثم يريد ان
يملنا في الهايه لا على ان نصدق أن هذا عجز مه ، بل على انه تجديد ..
. الشعر في أبسط تعاريفه كلام موزون مقفى ، فان فقد الوزن والقافية
. أسيه شرا ، ولو دققتم عنقي .. الحق .. انكم نحت شعار التجديد
دون ان سرفوا كل قاعدة ، ونهتكوا كل تقليد .. » (5) . وهكذا تواجه
. مجدد منكنه الخروج على القاعدة فلا يجد بدا من ان يقول : « في الشعر ،
ما في الحياة ، يصح تطبيق عبارة برناردشو : (الالقاعدة هي القاعدة
. ذهية) لسبب هام (كذا) هو ان الشعر وليد أحداث الحياة ، وليس
. حياة قاعدة معيه تتبعها في رتب أحداثها ، ولا نماذج معينة للالوان التي
لمون بها أشياءها وأحاسيسها .. » (6) . ولكن رفض القاعدة لمجرد ان
. حياة لا قاعدة لها - على افتراض صحة ذلك وهيئات - لا يسكن ان يكون
دبلا ، رغم ولع المجددين بهذا الرفض ، محتجين بأنهم اكبر من هذه القاعدة
أو تلك ، لان المجددين أنفسهم حين رفضوا هذه القاعدة أو تلك حاولوا
وضع بديل مناسب عنها ، فدخلوا في تفاصيل فنية . بل ان الالقاعدة
نفسها - ان وجدت - هي قاعدة جديدة اسمها : الالقاعدة .

(5) مجلة أبولو ، ع 10 ، مج 1 (يونيو 1933) : 1266 ، أبولو في

الميزان ، حسن الحطيم .

(6) شظايا ورماد : 5 ، وينظر قول الزهاوي في ديوانه 1 : 3 « لا أرى
للشعر قواعد بل هو فوق القواعد » ، وقول الياس أبي شبيب في أفاعي
الفردوس : 9-10 ، 11 : « .. الحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود ،
وهي أوسع من ان نضع لها حدودا ومقاييس ، والدائرة غير المحدودة لا
تنحصر في الحدقة الضيقة .. . ليس من الخرق ان نحاول بلغة وضعية
تحديد لغة المجاز والكناية ، لغة الروح ، لغة الحس الوجداني العميق ؟ » ،
وينظر الياس أبو شبكة وشعره : 102 . وقد يكون من هذا الباب ايضا قول
أبي العتاهية لمن قال له ، خرجت عن العروض : « انا اكبر من العروض » ،
ينظر في ذلك الاغاني 4 : 13 .

وازاء هذا كان أي مجدد مطالباً بتعليل خرق هذه القاعدة او تلك ،
 بسبب انه مطالب أساساً بما يدعو الى التجديد ، فهو يحتج لذلك بنفرته
 من التقليد⁽⁷⁾ ، لانه مناف للحقيقة . يقول ابن رشيق متحدثاً عن وصف
 المتنبى ركوبه الخيل الى ممدوحيه : « وليس في زماننا هذا ، ولا من شرط
 بلدنا خاصه شيء من هذا كله ، الا ما يعد قلة ، فالواجب اجتنابه الا ما
 كان حقيقة . لاسيما اذا كان المادح من سكان بلد الممدوح يراه في اكثر
 اوفاته فما اقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ »⁽⁸⁾ . وإذن فطلب الحقيقة ،
 والبعد عن التكلف هما اللذان يدعوان المجددين الى النفرة من التقليد ،
 لأنه ضد الصدق⁽⁹⁾ ، ولانه يجعلنا - كما يقول المجددون - « نلهث في
 فصائدنا ، ونجر عواطفنا المقيدة بسلاسل الاوزان القديمة ، وقرقعة الانفاظ
 الميتة »⁽¹⁰⁾ .

ولكن ما معنى طلب الحقيقة الذي ينادي به المجددون ؟ إنه - في وجه
 من وجوهه - مواكبة الحياة ، قال ابن رشيق : « وكانوا قديماً أصحاب خيام
 ينتقلون من موضع الى اخر ، فلذلك اول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار
 فتلك ديارهم وليس كأبنية الحاضرة ، فلا معنى لذكر الحضري الديار الا

(7) من هذا الباب قول ابي نوس في ديوانه : 57-58 .
 صفه الطلـول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
 .. تصف الطلـول على السماع بها افذو العيان كأت في العلم ؟
 ومنه ايضا سخريه بشار من الوقوف على الاطلال في طبقات الشعراء :
 24 اذ يقول :

كيف يبكي لمحبس في طلـول من سيبكي لمحبس يوم طويل
 ان في البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسـم دار محيل
 وقد فهم ابن المعتز هذين البيتين على انهما يدلان على صحة ايمان بشار
 بالبعث والحساب ، ولا أراني اوافقه على ما ذهب اليه .
 (8) العمدة 1 : 202 .

(9) ينظر ديوان جميل صدقي الزهاوي : 428 .
 (10) شظايا ورماد : 6 ، وينظر الشعر وقضيته في الادب العربي
 الحديث : 84 ونقله عن المجددين انهم « ارتأوا - وهم على حق - ان قوالنا
 القديمة جعلت للقول ميسم اهله في ميدانهم الخطابي ... » .

مجازا ، لان الحاضرة لا ننسها الرياح ، ولا يمحوها المطر الا ان يكون ذلك بعد زمن طويل لا بسكن ان يعيته احد من هذا الجيل .. » (11) ، وقال خليل مطران : « ولن يعيب القدماء ما آثروا للشعر من النهج ، ولن ينقص جمال ما أتوا به من الروائع ، ولكن ما لا ريب فيه هو ان طبيعة الحياة قد تغيرت عما كانت عليه من قبل ، اذ تعددت ماحيها وتشعبت مراميها ، ونباعدت أطرافها ، وما كان لنا في ظروف حياتنا وما نزودنا به حضارة العلم الحديث من وسائل نمتى للعيش ، وضروب مختلفة للترفيه ان نظل كأبائنا في نطاق محدود من الخيال ووسائل الفن .. » (12) .

ولدى مثل هذا الاجماع لا يكاد ينكر أنصار القديم ، ومن يلتقي بجانب من وجهات نظرهم ، ما يذهب اليه أنصار الجديد من ضرورة مواكبة الحياة ، ولكنهم يختلفون في مدى تطور هذه الحياة ، ويختلفون أكان هذا التطور من السعة والعمق بحيث يستدعي هذا اللون من الجديد او ذاك ، أم انه تقليد للاعاجم في أدبهم (13) ؟ وهكذا كان من حجج طائفة كبيرة من أنصار القديم ان بعض نماذج الجديد من صنع « فئة .. أجنبية ثقافية ، غريبة التفكير .. لم تحسن العربية أبدا ، ولا كانت تسطيعه (كذا) لو أرادت » (14) . وكان هؤلاء يخافون على الشعر العربي ان تضيع أصالته بهذا التأثير .

(11) العمدة ، 1 : 198-199 .

(12) الرسالة ، ع 616 ، س 13 (23 أبريل 1945) : 427 - 428 ، التجديد كما يراه شاعر القطرين ، وينظر أمين ناصرالدين فقد نقل عن أنصار الشعر العصري قولهم : « ان الاسلوب الفخم واللفظ الرصين ، انما كانا يصلحان لوصف الناقة ، والحواد في رمن الجاهلية وصدر الاسلام .. » في مجلة المقتطف ، ع 3 ، مج 70 (اذار 1927) : 270 ، اللغة بين ناصر وخاذل .

(13) ينظر في الادب الحديث 1 : 8-9 .

(14) الشعر وقضيته : 84 ، وينظر - على سبيل المثال - فنون الادب المعاصر في سورية : 396 ، ولعل ايمان العرب الاولين بأن الشعر العربي ارقى مما عند الامم من شعر هو الذي منعهم من التنه الى هذه الناحية في شعر المحدثين .

وكان مما ساعد على إشاعة هذه الحججة بين أنصار القديم ، ودعاهم الى التمسك بها ، والايان بصحتها انهم يرون ان الجديد لا يكون - وتلك طبيعة الامور - الا بعد الاطلاع على ثقافة أجنبية ، اطلاقا يستتبع شيوع مصطلحات وقيم نقدية أجنبية ، تلفت نظرهم ، وتثير استغرابهم . ومما يزيد من عجبهم ان بعض أنصار الجديد يبلغ من الانبهار بالادب الاجنبي مبلغا يريه ان الادب العربي « في حكم العدم اذا قيس بآداب الامم الرفيعة » (15) ، وان طائفة اخرى منهم قد تحدثوا عن تأثرهم المباشر بشعراء ونقاد اجانب (16) .

وكان على انصار الجديد ان يدفعوا هذه الحججة بما يؤيد موقفهم ، فتشخص دفاعهم عن جملة أمور منها ما يرد على الحججة بمثلها تعميما فيصف انصار القديم بانهم من « صيادي الذباب ... الشعراء المساكين انذين لا يزالون يجلسون مزجر الكلب من مائدة الشنفرى او البحرى او الحارث بن حلزة ، وعيونهم جاحظة ولعابهم يسيل » (17) ومنها ما رأى ان الوطن العربي - في مجمله - ليس سوى ساقية صغيرة في النهر العالمي عنه يتفرع ، وبه يتأثر ، وان ليس بإمكانه ان ينفرد بأمر

(15) مجلة الرسالة ، ع 41 ، س 2 (ابريل 1934) : 617 الادب العربي والادب الغربي ... فخري ابو السعود ، وينظر مقالات في النقد الادبي : 82 وهجومه على احسان عباس لانه قارن بين اليوت والبياتي .

(16) شير على سبيل المثال الى قول العقاد في شعراء مصر : 151 - 152 ، ار الجيل الذي نشأ منهم بعد شوقي قد تأثر ببرونج وتنيسون وأمرسون ، ونونجفلو ، وبو ، وهاردي ، والنافد هازلت ، واشارة نازك في شظايا رماد : 18 الى تأثرها بادجار الن بو ، والسياب الى تأثره بالتراث الشعري الاوربي ، والشعر الانجليزي خاصة في جريدة الحرية ، ع 908 (16 حزيران 1957) : 3' الجديد في الشعر العربي ، وأساطير : 6 ، واشارة عبدالصبور في حياتي في الشعر : 90 الى تأثره باليوت .

(17) مجلة الاداب ، ع 8 ، س 1 (اغسطس 1953) : 74 ، جواب على استفتاء الاداب ، عبدالوهاب البياتي .

دون ان يتأثر به (18) ، وانه قد اخذ الكثير من حياته المادية ، والمنجزات الحضارية عن اوربا ، وليس عليه من ضير في ذلك ، لان هذه المنجزات ملك الانسانية جمعاء قبل ان تكون ملك أوربا وحدها ، وترتب على ذلك الاخذ ان اصبحت حياننا « اقرب الى الحياة الاوربية منها الى حياة البداوة الاولى ... ومن هنا لا يستطيع أحد ان يزعم ان مقومات حياتنا لا تزال بعيدة عن أن تجد في الادب الاوربي ما يعبر عنها بل ويغذيها » (19) ، ثم ان الخوف على اصالة الشعر العربي جراء أخذه عن أوربا لا مسوغ له ، لان التجديد يعتمد بعث التراث العربي الى جانب اعتماده آداب العالم ، وليس أدل على ذلك من ان أدباء العالم الكبار قد اخذ بعضهم عن بعض ، دون ان يفقد احد منهم اصالته ، فقد اخذ لافوتتين عن ايزوب اليوناني ، وأخذ شكسبير عن بلوتارخ وناسيت (20) .

وعلى ان حجج أنصار الجديد لا غبار عليها - من الناحية النظرية - الا ان الذي فات انصار القديم أن ينقلوها الى ناحية التطبيق فيناقشوا أكان العقاد بمستوى لافوتتين ، أم مطران بمستوى شكسبير ، أم الروماتيكيون العرب بمستوى الروماتيكين الانكليز او الفرنسيين؟ فيضمنوا أن يقف الاخذ عن أوربا عند حدود التأثر لا الاقتباس (21) .

(18) تنظر مجلة الاديب ، ج 12 ، س 14 (ديسمبر 1955) : 13 هل يتحرر الشعر العربي من قيود الوزن والقافية ، ادفيك جريديني شيبوب .
(19) الرسالة ، ع 574 ، س 12 (3 يوليو 1944) : 546 ، الاخذ عن اوربا ، د. محمد مندور ، وينظر في القضية نفسها الشعر المعاصر على ضوء النعد الحديث : 140 ، ومجددون ومجترون : 93-94 .

(20) تنظر الرسالة ، مقال مندور السابق .
(21) ينظر المؤثرات الاجنبية على الشعر العربي الحديث ، د. احمد كمال زكي ، (ضمن كتاب الشعر والفكر المعاصر) : 63 84 فقد أكد ضرورة التنبيه الى اختلاف حضارة أوربا التي تشيخ عن حضارتنا اليافعة ، وأشعار الى اقتباسات مطران من شكسبير ، ومن كورتي وراسين ، وهوجو ، وموسيه ، ولامارتين ، واقتباسات المازني ، معتمداً مقالة عبدالرحمن شكري ، من شيلي وهيني ، وهود وويلز ، والعقاد - مستندا الى رأي رمزي مفتاح - من هوجو ،

وإذ بدأ لانصار القديم سلامة حجج المجددين في تأثر حياتنا بالحياة الأوربية ، وقف فريق منهم يناقش في كيف يجب ان يكون هذا التأثير محاولا ان يخضعه لمقاييسه الاخلاقية فيأخذ منه ما يوافقها ، ويرفض منه ما لا يكون كذلك ، جاهلا ان مقاييسه تناج حضارة قديمة قد بادت ، وان للحضارة الجديدة مقاييسها الخاصة بها . ومن هنا اضطر هذا الفريق ان يهاجم « في الشباب . . مظاهر المدنية الجديدة التي غزت تقاليدهم القديمة ، وقيمهم الثابتة الراسخة . . » (22) اذ « ارتبط التجديد - في نظر الشيوخ - بالفساد الاخلاقي » (23) .

وموقف كهذا لا يمكن ان يستمر ، لانه مناف طبيعة الحياة نفسها ، واذا كان جيل من انصار القديم يرفض ما يجد عليه من منجزات الحضارة ، فان الجيل التالي منهم ينظر اليها وكأنها ارثه ، وعليه ، لا بد - في النهاية - من قبولهم بتطور الحياة ، واعترافهم بهذا التطور .

وهنا تعود المشكلة الاساس - التي نحن بصدددها - الى الظهور ، تلك هي مدى استدعاء تطور الحياة هذا اللون من التجديد او ذلك ، فاذ يعترف أنصار القديم بان الحياة قد تطورت يؤكدون - في الوقت نفسه - ان الممار

والسياب من اليوت ، واديت سيتويل ، ونازك وعبدالصبور من اليوت .
وبنظر في تقليد السياب وعبدالصبور اليوت واخذهما عنه مجلة الشعر
ع 11 ، س 1 (نوفمبر 1964) : ع وما بعدها ، روافد ناضبة في الشعر
الحديث ، محيي الدين محمد .

(22) (23) الشعر الحديث في السودان : 183 ، ولعل من الطريف هنا ان
انقل ما رواه لي الاستاذ صالح الجعفري من ان الحجار كان يسخر بما يؤمن
به المجددون في النجف ، فيخاطب الجعفري بقوله : « جعفري ، ان اصبهي
يشكو التراخوما فهل تستطيع مداواته » واذ يمد يده - اثناء القول ، يضع
اصبعه بهياة معينة نايبة ، ذات دلالة سوقية . ومن الطريف ايضا ان ينقل
الجعفري عن الشيخ محمد حسن سميسم مطلع احدي قصائده :
لا ارتضي غير السلاهب مركبا وسواى جهلا يركب « الموتوكارا »

الشعر القديم ليس عاجزا بطبيعته عن مواكبة هذه الحياة⁽²⁴⁾ لاسيما ان هذا الاطار قد تطور « تطورا كبيرا على يد الشعراء المحدثين فاتتعت عنه الالفاظ الغريبة ، والصور التقليدية ، واصبحت آياته اكثر تماسكا واتحادا ، وفد تجاوز الشعراء - كما هو معروف - هذا الشكل التقليدي المحض الى القصيدة التي نعتمد على وحدة المقطوعه ، والقافية المتغيرة ، فايح للشاعر مجال ارحب للتعبير عن تجربته ، وفلّت القيود التي تحد من قدرته على الابداع . واستطاع كثير من الشعراء ان يأتوا في هذا الاطار بروائع يعتز بها ادبنا الحديث »⁽²⁵⁾ ، ويحاول اخرون في سبيل انبات هذا القول وأمثاله ان يبرهوا على أن بعضا من الشعر الجديد - وتلك محاولة المنصفين عادة - كان يسكن ان يكتب بالطريقة القديمة المطورة فلا يخسر شيئا⁽²⁶⁾ ، على حين يظل انصار الجديد يعتقدون ان القديم - متطورا كان ام غير متطور - استنفد ما عنده ، ولم يعد يحتمل شيئا ، ولا يمكن ان يكون الا تقليديا « لانه قد تم ارتباطه بالافكار التقليدية والمواقف التقليدية ، والطرق التقليدية في التعبير عن العواطف البشرية ... »⁽²⁷⁾ .

وإذ نعود الى موقف انصار القديم في تأكيدهم ان الشكل القديم قادر - بما تطور منه - على استيعاب التجارب الجديدة ، نقول : ان هذا

(24) ينظر ذكريات شباب : 37 ، والصراع الادبي : 28 ، والعلم الثقافي ، ع 267 ، س 5 (18 ابريل 1975) : 6 ، حدود السلفية الشعرية ، حسن طريبق ، وفن التقطيع الشعري والقافية : 411 .

(25) ذكريات شباب : 7 م .

(26) ينظر البحث عن معنى : 145-146 ففيه ان ليس في دواوين نازك الاربعة مالا يمكن ان يكتب على الطريقة الخليلية ، الا قصيدة « الخيط المشدود بشجرة السرو » واخرى قليلة جدا ، وهذه الحجة مما يمكن ان يفيد منها انصار القديم فيردوها بشكل ساذج ، لانهم لا يمكن ان يهتدوا الى الفرق الجوهرى بين بناء القصيدة القديمة والحديثة ، وحدهم دون اعتماد سواهم . (27) مجلة الشعر ، ع 8 ، س 1. (اغسطس 1964) : 10 ، نورة الشكل وثورة المضمون .. محمد النويهي ، وتنظر محاولة مالك المطلبى في دمج عشرين قصيدة للرؤى وشوقي ، دون ان يكون هناك ما يدل على ما يفصل الشاعرين من زمن ، الموقف الشعري الى أين ... : 19 - 21 .

الموقف معاه دعوة انصار الجديد ان يرجعوا الى التجديد الذي انحسم الصراع بشأنه⁽²⁸⁾ ، بينما يرى المجددون ان الثورة على الاطر القديمة في الشعر « ظاهرة لحركة كبيرة شاملة تشهدها حياتنا المعاصرة ، تتجلى بالثورة على الاسس والمفاهيم التي استقرت عليها طويلا ... »⁽²⁹⁾ .

وعلى هذا ، ان المجددين مطالبون بشرح ما تغير من رؤيتهم للكون وللحياة بحيث لم تعد القصيدة القديمة ، قادرة على استيعاب هذه الرؤية وفي سبيل ايضاح هذه النقطة نتخذ حجج المجددين وجهتين رئيسيتين ، اولاهما فنية مهمتها البحث عن عيوب الشعر القديم من رتوب ، وخطابة ، وفقدان الوحدة ، ومسؤولية القافية عن غياب القصص والملاحم في الشعر العربي ، وما الى ذلك مما تحدثت عنه نازك الملائكة وزملاؤها - وكأنهم خلاصه ما دار في الجو الادبي منذ مطلع القرن العشرين - فتلخص حديثهم في ان نظام الشطرين يدعو الشاعر - وهو في سبيل ملئهما - الى تكلف معان لا يتكلفها لولا هذا النظام ، وان القافية حجر ، من شأنه ان يخنق الاحاسيس ، ويثد المعاني ، فضلا عن ان القافية الواحدة هي سر غياب الملحمة في الشعر العربي ، وان اللغة صدئت من طول ما لامستها الاقلام والشفاة ، ففقدت ايحاءاتها ، اذ فرض نظام الشطرين قوالب لفظية كثيرا ما يستعملها الشعراء⁽³⁰⁾ ، وان القصيدة القديمة نعتمة وحدة البيت « ولو

(28) ينظر في الموازنة 1 : 120 موقف ابن ابي طاهر الذي يتعصب على ابي تمام وموقفه في الموشح : 434-436 في الدفاع عن ابي نواس . ومن هذا الباب نستطيع ايضا ان نفهم موقف العلماء الذين اعجبوا بالمحدثين ، ولكنهم تعصبوا على ابي تمام ، وقد عرضنا لهم في الفصل الاول .

(29) البحث عن الجذور : 7 .

(30) ينظر شظايا ورماد : 12 ، 15-16 ، 6 ، وحديث السياب الى جريدة البعث السورية عام 1956 ، الذي اعادت نشره مجلة دراسات عربية ، ع 31 ، س 11 ، (كانون الثاني 1975) : 123-124 . ونشير هنا الى ان سليمان البستاني صرح عام 1904 بان القافية « من جملة اسباب ضعف الشعر القصصي » في الياذة هوميروس : 101 ، وان مطران صرح سنة 1924 بانها سر غياب الملحمة ، في حفل جمعية تنشيط اللغة العربية بالجامعة الامريكية بيروت ، ينظر ديوان الخليل 3 : 47-48 .

أنكر جاره ، وسام أخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وحاتم الغمام» (31) . ولا تعند وحدة القصيدة كلا متكاملًا .

ومن خلال تلافي هذه العيوب يطسح المجددون الى « ملء هذه الهوة العيفة التي انفصل بين الشعر العربي ، والشعر الغالمي الحديث ، بين القرن العاشر . والقرن العشرين» (32) .

اما الوجهة الأخرى التي نخذها حجج المجددين فهي ذات منحنى فكري يعنى بسوف الناعر من الكون ، ويؤكد ان « الشعر الحديث موقف من الكون كله . لهذا كان موضوعه الوحيد وضع الانسان في هذا الوجود ، ولهذا ايضا كانت اداته الوحيدة هي الرؤيا التي تعيد صياغة العالم على نحو جديد» (33) .

وللدارس ان يلاحظ على هذه الوجهة - خاصة لدى حركة الشعر الحر - تضارب الفلسفات المتعددة ، وربما المتناقضة ، فيها ، فهي تارة نستند الى الفلسفة الوجودية واخرى الى الماركسية ، ونائلة الى الفلسفات المثالية ، حتى قيل ان عهدها الشعري لا يحمل هوية و « الاثار الشعرية تخرج من كل تجديد . لسبب أساسي ، هو انها لا تطرح اي مفهوم حقيقي» (34) . على انه يمكننا ان نضيف - ونحن نبحت في اسباب غياب الهوية - سببا اخر

(31) ديوان الخليل 1 : 9 ، وينظر حديث السياب في المصدر السابق ، ويمكن ان يكون ما فعله العقاد بعصيدة شوفي في رثاء مصطفى كامل من تقديم وتأخير دليلا على تفككها صدى لما قاله مطران . ينظر الديوان : 130-141 .

(32) جريدة الحرية ، ع 908 ، س 4 (16 حزيران 1957) : 3 التجديد في الشعر العربي ، السياب ، وتنظر مجلة الفباء ، ع 15 ، س 1 (2 تشرين الاول 1968) : 48 ، حوار حول الشعر مع فاضل العراوي ، اجراه س. م (سامي مهدي) .

(33) شعريا الحديث الى ابن : 114 ، ويعول السياب في التجديد في الشعر العربي ، جريدة الحرية : 3 « نريد من الشاعر العربي ان يتخذ موقفا من الحياة ... » .

(34) هل واكب النقد الادبي الشعر الجديد او الحديث ، انعام الجندي ، (ضمن كتاب الشعر والمجتمع) : 158 .

هو ان الذي يهم المجددين من أمر الفلسفات جميعا - فيما يهمهم - هو تسوية مبدأ الثورة على القديم ، وتقويضه . وثبتت مشروعية وولاده الجديد . بل ان المجددين لا يجدون حرجا في ان يخلقوا بعض الاسماء والنظريات - احيانا - سعيًا وراء تدعيم آرائهم ، ولا أدل على ذلك من قول بلند الحيدري : « ولقد كنا في احاديثنا مع مرديتا .. نحاول ان ندهشهم بتعطير الاسماء الاجنبية ، بل انا لنخلقها احيانا لنديم خطأ ابداعيا في هذه القصيدة او تلك ، وكثيرا ما كانت تذهب بنا الجرأة الى حد ان نذكر هذه الاسماء الوهمية في الصحف معتمدين على بعد الجبور عن التبع والقراءة » (35) .

ولنا ان نلاحظ ايضا على بعض هذا الجانب من حجج هؤلاء ، التنطع اللغوي ، وتعقيد الجمل ، والاعراب في تركيبها ، وكثرة استعمال المصطلحات فيها ، وكأن الغرض من ذلك اضعاف الفرصة على أنصار القديم أن يفهموا فيردوا فضلا عن اشاعة الهيبة في نفوسهم من ثقافة المجددين الواسعة العصرية . هذا الى ان المجددين - في الغالب - اكثر اطلاعا على التيارات المعاصرة ، وأوسع ثقافة ، وتمرسا بها ، سواء اتمثلوا ذلك ام ظلوا يرددونه دون تمثل .

واستنادا الى هذه الحقيقة نقرر ان حجج انصار القديم ، وهي تتصدى للرد ، كانت تهمل هذا الجانب ، اعني به الجانب الفكري ، وتنطلق الى مناقشة الجانب الاول - وأعني الجانب الفني - وكأنه الارض المشتركة بين الفريقين . ولعلنا لا نغلو اذا قلنا ان المجددين انما يقصدون الى الجانب الفكري في حججهم ، فان في اذهانهم ان يفيدوا - فيما يفيدونه - من قطع

(35) الاديب المعاصر ، ع 5 ، مج 2 (تموز 1973) : 113 مقابلة مع بلند الحيدري ، اجراها يوسف الصائغ .

ما يمكن ان يصل بينهم وبين انصار القديم⁽³⁶⁾ ، والا فما أسهل ان يرد أنصار القديم عليهم - وهم في سبيل الدفاع عن الفصيحة العديسة - بجملة واحدة هي ان الصعوبة في نلافي تلك العيوب « لا يسكوها غير المقلدين في كل زمان ، اما المبدعون فيستقون لهم طريقا بساكنهم الفوية في الزحام ، على هدى بصيرتهم النيرة » (37) .

وقطع الصلة الذي تحدثنا عنه ، لا يمكن أن يقف عند حدود النظرية ، دون أن ينصب على النماذج الشعرية نفسها ، لان بقاءه عند حدود « التنظير » يعني ان التجديد مزيف لم ينبع عن حاجة ولا عن تغير رؤية . ومن هنا يكون في هذه النماذج شيء من الغموض ، اما لان المجددين يتعمدونه ، وإما أنه نابع من غربته على الجمهور ، وجدة طرائق تعبيره . ويتشبه انصار القديم بهذه الناحية فيزجون الجمهور - وهو طرف يهم الفريقين - في الموضوع ، ويؤكدون عزلة الجديد تأكيدا يضطر معه فريق من انصار الجديد انفسهم ان يعترفوا بها (38) ، ليصل أنصار القديم من خلالها الى ان ما

(36) تقول خالدة سعيد في البحث عن الجذور : 8 « لسوان الشعر الحديث تورة على الشكل وحسب لكان فقد مبرراته ، ولكن موقف الشعر الحديث من العالم موقف مختلف . . . » ويقول غالي سكري في سفرنا الحديث الى أين : 116 « ان المفاضلة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث تصبغ غير ذات موضوع لانهما لا يملكان - في حقيقة الامر - من عناصر الارض المشتركة . الا اللغة » .

(37) الشعر وقضيته ، ابراهيم العريض في كتاب « في الادب العربي » : 84 ، وتنظر مجلة الكلمة ، ع 5 ، س 5 (ايلول 1973) : 18-20 ، قصيدة النشر بين الضرورة والممارسة ، خالد علي مصطفى .

(38) تنظر الموازنة 1 : 19 ، والف باء ، ع 11 ، س 1 (4 ايلول 1968) : 49 ، هذا الادب المتهم بالعزلة ، يوسف الصائغ ، ولعل من الطريف ان نذكر ان صاحب ابي تمام ، والصائغ حاولا الدفاع عن عزلة الشعر الجديد دفاعا يكاد يكون متشابهة في خطوطه الرئيسية . وتنظر مجلة الشعر 69 ، ع 2 ، س 1 (حزيران 1969) : 85 ، شعراء من العراق يتحدثون ، اذ يؤكد سامي مهدي انه وزملاءه ممن ينظمون الشعر الحر « يشعرون بعزلتهم عن الجمهور العراقي . . . » .

« تفق على الناس جميعا أولى بالفضيلة ، وأحق بالتقدمة » (39) .

ولكن ، هل يصلح الجمهور ان يكون حكما في قضية الشعر ؟ وهل الشاعر المجدد مسؤول وحده عن الهوة التي تفصل بينه وبين الجمهور ؟

هذان السؤالان يكادان يكونان مدار البحث لدى المجددين ، فهم يرون فيما يخص السؤال الثاني « ان الشاعر نيس المسؤول الوحيد ، او حتى الاول عن وجود هذه الهوة ، لان ثمة أسبابا عديدة وأساسية لها تخرج عن دائرته ، بعضها تاريخي ، وبعضها الاخر من معطيات هذا العصر ، وهي بالتالي ليست كما يتصورها البعض مسألة وضوح وغموض » (40) . وبرون - فيسا يخص السؤال الاول - « ان مواقف الجمهور لا تصلح مقياسا تابنا ونهائيا للحكم على أية تجربة فنية ، ذلك لان الجمهور ، اي جمهور . قاطع وحدي في أحكامه ، ولانه - فوق ذلك - محافظ لا يقبل الجديد الا ببطء شديد ... » (41) ، وانه لا يملك حصيلة ثقافية كافية تؤهله لفهم الشعر الحديث (42) ، اما كون هذا الجمهور نفسه يفهم الشعر القديم ، فلان هذا الشعر « كتب لسمع ، او ليخطب به ، ولم يكتب ليقرأ ، ولعل الأمة من جانب ، وترعرع الشعر العمودي في حضرة الخلفاء والملوك والسلطين من الجانب الاخر .. قد لعبت دورا رئيسا في اعتماد الشعر

(39) الموارنة 1 : 19 .

(40) الكلمة ، ع 3 ، س 3 (سباط 1971) : 6 ، نفاط اساسية حول شعر الحيل الجديد (افتتاحية) .

(41) نفسه ، ع 5 ، س 3 (حزيران 1971) : 70 مهرجان المرید تظاهرة ثقافية و اعلامية ، التحرير ، ويقول العقاد في ساعات بين الكتب والناس : 174 « كان فهم الجديد صعبا على كل من يعالجه من قراء العربية وغير العربية » .

(42) ينظر الكلمة ، ع 4 ، س 1 (آذار 1969) : 44 عن الشعر والثورة أدونيس ، وهي حجة تشبه كثيرا حجة الصولي في الدفاع عن أبي تمام ، ينظر اخبار أبي تمام : 154-157 .

العسودي على الاذن» (43) ومعنى هذا ان الميل الى الشعر القديم ميل تقليدي لا يدل على ان جمهوره المعجبين بأحد شعرائه « يفهمون الشعراء السابقين ، او يفهمون الشعراء المحدثين » (44) .

ويعلن بعض انصار الجديد تشبثا بالدفاع عن شعر المجددين ، ان سجع النافذ للقصيدة الجديدة لا يكتفى للحكم عليها (45) . وهكذا يخرج خبر النقاد - اذا كانوا جمهورا - عن ان يكونوا مؤهلين للحكم على الشعر .

ولما كانت العزلة عن الجمهور أمرا من الاهمية والحيوية بحيث لا يتره أحد من المجددين الا نادرا . فان هؤلاء المجددين ينقسمون على انفسهم حين يرون طائفة منهم ، وقد اقبل على شعرها الجمهور في هذا النديّ أو ذاك الاحتفال . فيتهم المعزولون منهم شعر هذه الطائفة بالمباشرة ،

(43) الكلمة ع 2 ، س 4 (آدار 1972) : 112 ، على هامش المؤتمرات الادبية ، معين بيسو .

(44) ساعات بين الكتب والناس : 168 ، وينظر ديوان الزهاوي 1 : 6 فهو يرى ان « اكثر الناس لا يحكم بجودة الشعر او ردايته الا بما يتلقى من غيره » .

(45) تنظر الكلمة : ع 3 ، س 4 (ايار 1972) : 103 ، الوجه الاخر للمريد الشعري ، سليم السامرائي . وورد في اخبار ابي تمام : 101 انه : « حدثنا عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال : جاءني فضل اليزيدي بشعر ابي تمام ، فجعل يقرؤه علي ، ويمجبنني ممن جهل مقداره ، فقلت له : الذين جهلوه كما قال :

لا يدهمك من دهمائهم عدد فان اكثرهم او كلهم بقر
فقال لي : قد عابه جماعة من الرواة للشعر ، فقلت : الرواة يلمون
تفسير الشعر ولا يلمون الفاظه ، وانما يميز هذا منهم القليل ، فقال : هذه
العلة في امرهم » فاذا علمنا ان الرواة هم نقاد العصر العباسي ادركنا ما بين
التولين من تشابه .

والنفس الخطابي ، وما الى ذلك مما يبعه عن ان يكون شعرا جديدا (46) ،
لان تسليهم بجدنه معناه انهم يهتمون انفسهم بالقصور ، والا لما عزف
الناس عن شعرهم وأقبلوا على شعر الاخرين .

ويظل المنعصبون من المجددين عند رأيهم في انه لا ينبغي على الشاعر
« ان يبسط شعره » (47) لان « التبسيط مهما بولغ فيه ليس حلا . ستبقى
هناك فئات لا تحب الشعر ، وفئات لا تفهمه ، وفئات لا تقرؤه ، لذلك
سيبقى الشاعر مهما بسط يتجه الى فئة معينة ، الى جمهور معين » (48) .

ومن هذا المنطلق ينبغي لهذه الفئة من المجددين ان تقنع بجمهورها
المعين الضئيل ، واضعة في حسابها غير المعلن ان للتقديم ايضا جمهورا معيناً
ولكنه واسع ، على انها - في الواقع - لا تقتنع بهذا ، وان قنعت فانها مطالبة -
نازاة انصار القديم وازاء النفر المنشق عن انصار الجديد - بتعليل بُعد
الجمهور عن شعرهم ، وسر فناعتهم بضالة جمهورهم .

(46) في مقابلة اجراها ممدوح عدوان مع فاضل العزاوي ، وسامي
مهدي ، وحميد سعيد ، ومحمد سعيد الصكار لجريده الثورة السورية ،
ونشرت في الشعر 69 ، ع 2 (حريران 1969) : 87-86 ، تناول المحدثون -
فيما تناولوه - سر عزلة القصيدة الجديدة عن الجمهور ، فقال الصكار : « لا
احمل الجمهور شيئا من المسؤولية لان الجمهور استحسن وبحماس قصيدة
ممدوح عدوان ، وقصيدة احمد عبدالمعطي حجازي .. » وقاطعه سامي مهدي
بقوله « وقصيدة الصكار ايضا » ، واستمر الصكار يقول : « انا اعزى الموضوع
الى ثقة الشعراء انفسهم بفصائدهم الحرة .. » فعقب سامي : « .. صحيح
ان الجمهور استحسن بعض الفصائد الحديثة لكن هذه الفصائد كانت تتضمن
بعض ملامح الشعر العمودي بشكل او باخر كالاصرار على القافية ، والمباشرة
بدرجة ما ، والخطابية ، وهذه من الامور التي يمكن ان يتقبلها الجمهور الذي
اعتاد سماع الشعر العمودي » ويلاحظ ان مثل هذا التعليل - اعني تعليل
سامي مهدي - يقال - عادة - بعد كل مهرجان ، وقصيدة ناجحة فيه . فإرد
فجاح الشاعر مرة الى حسن الالتقاء ، واخرى الى النفس العمودي ، وكان
احدا منهم لا يريد ان يفرق بين التجديد ، والمجدد الفاشل .

(47) (48) الكلمة ، ع 4 س 1 (آذار 1969) : 44 عن الشعر والثورة ،

دونيس : وينظر في الشعر العراقي الجديد : 36 - 37 .

وننخذ حجج هؤلاء - بصدد بحث المسئلة - مناحي منها ما يحاول ان يعلل هذه العزلة بسا في السمر الحديث من رموز يجهلها الجمهور « لانه يجهل تاريخه وأساطيره » (49) ، والا فانه « يكفي ان نعرف عددا من الرموز سنخلصها من نمن النظر في كيفية نجمع هذه الرموز لتشكل الصورة المعقدة التي هي وسيلة ادراك الفكرة عن طريق الحدس . . » (50) ، ومنها ما بلقى التبعة على النقد والنقاد . وقصورهما عن مواكبة الشعر ، وتقريبه الى أذهان الجمهور (51) .

ولكن المسألة وهي تنافش بمثل هذه الحجج تبقى سطحية ، بعيدة عن جوهر الامر ذلك ان التجديد حين يربط بالوعي الفردي للشاعر ، دون ان يفرضه تطور حركة المجتمع ، يبقى لصيقا بصاحبه لا ينفذ الى وعي الجمهور ، وإن نفذ فبعد أجيال تكفل تساوي الوعيين . ولعل أبا شبكة تنبه الى شيء من هذا حين قال : « ان الغموض في الشعر دخيل على الادب العربي ، فهو من الكتب لا من الجو . . . » (52) . بل ان بعض الشعراء - وهم يدركون مصادر ثقافتهم وأزماتهم التي يعانونها تقليدا للانسان الاوربي - لم يشترطوا على أنفسهم ان يكونوا مفهومين ، فأضفوا على العملية الشعرية جوا اسطوريا ، وخلصوا منه الى انه « عندما يكون في امكان شاعر ان يكون

(49) البحث عن الجذور : 13 .

(50) البحث عن معنى : 156-157 ، وينظر حديث الصولي السذي المحنا اليد في صفحة سابقة ، في اخبار ابي تمام : 154 وما بعدها عن قصيدة غامضة لأبي تمام منشأ غموضها الاشارات التاريخية والرموز ، من باب الاستثناس .

(51) ينظر الرحلة الثامنة : 139 ، والبحث عن الجذور : 13-17 ويمكن ان يدخل في السياق نفسه قول من يحتج لأبي تمام : « قد عرفناكم ان ابا تمام أتى في شعره بمعان فلسفية ، والفاظ عربية ، فاذا سمع شعره الاغرابي لم يفهمه ، واذا فسر له فهمه واستحسنه » في الموازنة 1 : 26 .

(52) الياس أبو شبكة وشعره : 106 .

هناك ، ويتحدث ، فانه لن يكون مفهوما من قبل الاخرين ... » (53) .
 بيد أن مشكلة هؤلاء انهم يريدون ان يبقوا - رغم كل ذلك - ضمن
 سياق الخط الثوري ، ومنطق « الفن للناس » انسجاما مع مفهوم العصر
 النائع ، فبعدت الشقة بينهم وبين ما يريدون ، ما اضطرهم ان يكتفوا
 بمفهوم الشعر الثوري مع منطق خاص مؤداه ان كون الشعر للناس يقتضي
 هؤلاء الناس ان يكونوا على درجة من المعاناة الثقافية ، وحصيلة من الطاقة
 على الفهم لا يسلكها الجمهور العربي ، وعليه ينبغي للشعر الثوري ان
 « يغير .. العلاقات القائمة الموروثة بين الشاعر والاخرين » (54) .

وحل كهذا لا يعدو كونه « طوباويا » ، لان تغيير العلاقات الاجتماعية
 بين طبقة وأخرى في المجتمع ، وما يقتضيه هذا التغيير - بالنتيجة - من
 تبديل العلاقة القائمة بين الشاعر وجمهوره ، هو مهمة من مهمات الثورة الحقيقية
 نفسها ، دون حاجة منها الى مثل هذا الشاعر الثوري الذي يصعد السلم
 من أعلاه . واذ يدرك بعض انصار الجديد تلك الحقيقة ، فانه يحاول ، في
 حله الجديد للمشكلة ، ان يتعد عن كل ما يربطه بالجمهور وبالثورة ربطا
 آتيا فيرى ان « الموقف الشعري .. هو الموقف الناسف لكل ما هو مزيف
 وغير حقيقي ، ومعاد لحرية الانسان ومغامرة نحو المستقبل عبر تجاوز العالم
 برمته الى عالم أفضل . ان مهمة القصيدة لا يمكن ان تغلق داخل ما هو
 جزئي ويومي سواء أكان سياسيا او غير سياسي ... » (55) . ومعنى هذا

(53) مجلة شعر 69، ع 1 ، س 1 (مايس 1969) : 11 ، البيان الشعري ،
 فاضل العزاوي ، فوزي كريم ، سامي مهدي ، خالد علي مصطفى .
 (54) الكلمة ، ع 4 ، س 1 (آذار 1969) : 44 ، 45 ، عن الشعر
 والنوره ، ادونيس .

(55) مجلة الشعر 69 ، البيان الشعري : 12 ، فاضل العزاوي
 وزملاؤه . ولعل من المفيد ان نشير الى تراجع العزاوي عن موقفه اد كيب
 تحت عنوان : لمن نكتب ، الى جانب من نكتب وكيف نكتب في الكلمة ، ع 3 ،
 س 6 (ايار 1974) : 28-29 فقال : « الامية حالة طارئة ، ولسوف تحمي
 مع الزمن ، وسيكون مضحكا (في نظري على الاقل) ان نكتب لنخبة من
 =

هو تسونج هروب الشاعر عما يعنيه الالتزام - بسهومه المحدد - من خلال السعي نحو عالم أفضل ، وكأن التغيير الكلي ، أي تغيير العالم ، لا يأتي ما هو جزئي ، ونعني به ان ينطلق الشاعر في هذا التغيير من قضايا مجتمعه ، ومحاولة نوعيته بما يجب أن يكون عليه . (56)

وإذن فإن هذا المنطلق يمكن ان يوحى بان اصحابه « لا بد ان يقولوا : على الجمهور ان يبحث عن نساعره ، وليس على الشاعر ان يبحث عن جمهوره ، لانهم لا بد ان يتحولوا - رغم أنوفهم - الى صالات العرض حيث جمهورهم الياقات ، والشعور المستعارة ، ومترفو الجمال » (57) .

وازاء هذا التخبط فيما بين المجددين انفسهم يجد بعض انصار القديم انفسهم مرة أخرى لا يتخرجون من رفض الجديد ، لانه « كسألة برج بابل ، فلما سقط هرف الناس بما لم يعرفوا من فرع ودهننة ، فنبيلت الالسن » (58) وانه « ليس مدرسة واحدة ، ولا هو يملك أصولا مثبتة » (59) . ويعزون تلك البلبلة وذاك التخبط ، الى ان التجديد لم يعالجه اصحابه الحقيقيون ، فهو « مقصور على الذين افنوا عمرهم في نحوه وعروضه » (60) ، لانه « لا توجد مدرسة غير مدرسة الحرف النفي والنغم ،

البرجواريين الان ، ومنتظر حتى تتعلم الطبقة العاملة القراءه والكتابة لنكتب لها . انني افضل ان اكتب للعمال والفلاحين الان دون ان تفارقنى السفة من انهم سيفراونني ذات يوم . . » ولعل من المهم ايضا ان نشير الى ان من جملة ما اخذه البياتي على شعر انصار القديم في الاداب ، ع 8 ، س 1 (آب 1953) : 74 ، ان شعراءه انما يكسبون به « لينالوا اعجاب بائع باذنجان خائب . . » . (56) تنظر الثقافة الجديدة ، ع 4 (تموز 1969) : 188-189 ، بعد البيان الشعري ، عبدالكريم الكاصد ففيه تفصيل شاف عما هو جرئي وما هو كلي وعلاقة كل منهما بالآخر من حيث هما مصطلحان فلسفيان . (57) الكلمة ، ع 3 ، س 6 (ايار 1974) : الوجه الثاني من الغلاف الاول ، الادب بين المسموع والمرئي ، موسى شعيب . (58) (59) الف باء ، ع 16 ، س 1 (9 تشرين الاول 1968) : 6 معاللة مع الجواهري اجراها صادق الصائغ . (60) الشعر الحديث في السودان : 185 .

فهي المدرسة البافية لانها راسخة * * ولا يصح ان يكون - ما [هو] موجود -
بديلا عن كل التراث العظيم الذي امتى بالدم وبالحياة وبالعصب ، والذهن ،
لا بد ان تتطور الامور ولا بد ان يأتي البديل ، لكنه الان غير موجود ، وسيأتي
بعد حقبة طويلة ، وجهود مضيئة ، ونعب كبير « (61) .

واذ يصل الفريقان في حججهم الى الطريق المسدود من حيث بدأوا ،
أو هكذا يخيل للناظر في الامر ، فان طائفة من المنصفين تكون قد نظرت
في كل تلك الحجج وخرجت بنتيجة مؤداها الاعتدال في النظر الى القديم
والى الجديد ، فهي تنظر الى الشعر من أين جاء تتحرى فيه ما يحمل من قيم
جمالية فنية ، فتقبله وترفضه على أساس من توفر تلك القيم او انعدامها ،
بعد ان صقل الجو الجديد الذي أشاعه المجددون شيئا من أذواقهم ، وبدل
أشياء في نظراتهم .

(61) ويكون التجاوز : 496 ، مقابلة مع الجواهري اجراها محمد
الجزائري واسماها : الجواهري الظاهرة .

الفصل الرابع

مظاهر الصراع

مظاهر الصراع

ونريد بها ما نلاحظه على الصراع من اتباع أساليب تكاد تكون ثابتة هي اقرب الى دائرة الشعور منها الى شيء آخر . ونحن اننا تؤكد قرب مظاهر الصراع من دائرة الشعور لنفصل بينها وبين ما هو ائرب الى اخلاق فريقى الصراع من تشبث بوسائل غير متروعة وصولا الى كسب الصراع ، ولكن هذا لا بعني ان مظاهر الصراع منفصلة انفصالا تاما عن اخلاق فريقيه ، فكل ما في الامر ان المظاهر الصق بالحوار الذي يكاد يكون متزنا ، والمرحلة الهادئة من مراحل الصراع ، على حين يظهر اخلاق فريقى الصراع ، عادةً ، لدى احتدام المناقشة وغلوانها ، وكأن فريقى الصراع توها ان الحوار بلغ طريقا مسدودا لا يؤدي الى شيء لتتثبت كل فريق منهما برأيه .

وأول ما يواجها من مظاهر الصراع تشبث كلا فريقيه بالقديم كلاً حسب ما يخدمه . وتفصيل الامر ان الداعين الى الجديد وأنصارهم يعلمون علم اليقين ان من الاسباب الرئيسة في الوقوف بوجه جديدهم خروجه على القديم ، أو ما يخال كذلك . وبما ان هذا الخروج يمكن ان يعنى الانقطاع والهدم ، لذا نرى انهم يحاولون طمأنة انصار القديم مرة بان « التجديد . . ليس هدم القديم ، أو الكفر بالتراث الذي خلقه الاجداد ، كما يتوهم بعض ادباء العربية الذين تهولهم لفظة التجديد ، ويخشون ان يتناول شرها

الدين واللغة والنظم الاجتماعية» (1) ، وقرأهم يتنسبون - مرة أخرى - بسا يوافق نزعتهم التجديدية من القديم ، وكأنهم يريدون بهذا التتبع أمرين : أولهما البحث عن نقطة النقاء بينهم وبين انصار القديم ينطلقون منها للحوار ، وثانيهما : نبي تهمة الخروج على التراث ونهديمه ، ولنا في اجابة ابي تمام من طلب منه ، سخريه به ، شيئاً من ماء الملام ، بانه لا يعطيه قطرات من هذا الماء قبل ان يأتيه بريشة من جناح الذل اشارة الى قوله تعالى : « واخفض لها جناح الذل من الرحمه » (2) . لنا في هذا الاجابة دليل على ما نقول ، فجواب الشاعر يشير الى وجود هذا الضرب من الاستعارة في كلام العرب ، والى وجودها ، واستحسان العرب أياها ، في اروع نص عربي ، إذ أن معنى جوابه انه لم يخرج على القديم .

ولنا دليل آخر في محاولة العقاد - وهو يدعو الى الشعر المرسل - الاستناد الى القديم ، اذ يقول : « وما كانت العرب تنكر القافية المرسله كما تتوهم ، فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية كما هو قول الشاعر :

الا هل ترى ان لم تكن ام مالك بملك يدي ان الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جناء وغلظة اذا قام يتعاق القلوص ذميم
فقال : أقلا واتركا الرحل ، انبي بمهلكة ، والعاقبات تسدور

(1) العصبه ، ع 9 ، 10 ، س 8 (كانون الاول 1947) : 673-762 ، بين التقليد والتجديد ، حبيب مسعود (تاريخ كتابة المقال هو سنة 1932) ، وينظر الشعر الحر في العراق : 261 ، فقد رد على الرواد تصويرهم الخروج على بحور الخليل شيئاً بسيطاً ، ونحن نحسب انهم مضطرون الى هذا التصوير ، على سبيل طمأننة انصار القديم .

(2) ينظر المثل السائر 2 : 155 ، وقد ضعف ابن الاثير الرواية في الصفحة التالية لانه يستبعد ان يكون ابو تمام يذهب عليه الفرق بين الاستعارتين ، ولا أرى لتضعيفه وجهاً ، لان المضيق الذي دفع اليه ابو تمام يقتضيه مثل هذه الاجابة .

فبيناه يشرى رحله قال قائل : لمن جمل ربحو الملائم نجيب « (3)
ويبدو ان المجددين لا يتورعون احيانا من تحل القدامى مذاهبهم دفاعا
عنها ، وتقيا لتهمة خروجها عن أساليب العرب ، فقد تسبوا الى امرىء القيس
أته قال اغراقا في التجنيس :

وسن كسنيق سناء وستما

« ولم يعرف الاصمعي هذا ، ولا أبو عمرو ، وقال أبو عمرو : وهو
بيت مسجدي ، اي من عمل اهل المسجد » (4) .
ويدفع موقف أنصار الجديد من التراث أنصار القديم الى اتخاذ
موقفين من القضية أولهما : أخذ تشبث المجددين بالمحاولات التجديدية في
القديم حجة في التقليل من أهمية الجديد لدى رسوخ قدمه وشيوعه بين
الناس ، ولا أدل على ذلك من قول العسكري - وهو يبحث في أنواع
البيديع - « فهذه انواع البيديع التي ادعى من لا رواية له ، ولا دراية عنده
ان المحدثين ابتكروها ، وان القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد ان يفخم أمر
المحدثين ، لان هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف وبريء من
العيوب ، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة » (5) ، ورأي عزالدين الامين
- في عصرنا الحاضر - بمحاولة صلاح عبدالصبور اثبات ان « الموشحة
الاندلسية اكثر الصور الشعرية دلالة على ان التفعيلة المترفة تستطيع ان
تكون وعاء شعريا » (6) ، اذ يقول ردا عليه : « ولو كان الكاتب هنا يرى

(3) مطالعات في الكتب والحياة ، خواطر عن الطبع والتقليد في الشعر
العصري : 417-418 ، وتلاحظ هنا محاولة الدكتور النويهي في قضية الشعر
الجديد : 45-66 وهو يدعو الى تطبيق نظرية اليوت في الاخذ بلغة الحديث
اليومي لغة للشعر ، فقد حاول اثبات ان هذه اللغة كانت لغة بعض من
الشعر الجاهلي .

(4) الموازنة 1 : 69 .

(5) الصناعتين : 273 .

(6) المجلة ، الشعر الجديد لماذا ، صلاح عبدالصبور ، ع 59 ، س 5 ،

(ديسمبر 1961) : 59 .

ان (الشعر الحديث) يقوى على النهوض دون اعتماد على موروث الشعر ،
لما اجهد نفسه في اصطناع ما اصطنع من حيلة في طريق عرض تلك الموشحة
وتقديمها « (7) ، وقد كان عبدالصبور كتب الموشحة على طريقة الشعر الحر .

اما الموقف الثاني - وهو ملازم للاول او نتيجة له - فهو ارجاع
الجديد برمه او الحسن المقبول منه الى اصول فديسة وكأن المجددين اذ
يتنسبون بالقديم ينهون انصاره الى البحث عن جذور الجديد في قديمهم ،
أي ان أنصار القديم يكررون - بعد نسيوع الجديد - حجج المجددين ،
قسها مع نبيء من التوسع الذي يضمن لهم انكار ما للجديد من قيمة ،
ويمكننا ان نضرب على ذلك مثلا بمحاولة الآمدي اثبات ان أبا تمام لم
يخترع مذهب البديع « ولا هو بأول فيه ، ولا سابق اليه ، بل سلك في
ذلك سبيل مسلم ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف وزال عن النهج
المعروف ، والسنن المألوف ، وعلى ان مسلما ايضا غير مبتدع لهذا المذهب
ولا هو أول فيه ، ولكنه رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع -
وهي الاسنعة والطباق والتجنيس - مثورة متفرقة في أشعار المتقدمين
فقصدها ، واكثر في شعره منها ، وهي في كتاب الله عز وجل أيضا
موجودة ... » (8) .

ونضرب مثلا اخر - في عصرنا الحاضر - بقول ابراهيم العريض متحدثا
عن الشعر الحر : « وأما القوالب التي تسبك لصوغه فجديدة ولا كل
الجددة ، فلو كان قس بن ساعدة الايادي بيننا لاعتبر نفسه من المجددين
بآية قوله المأثور : ليل داج / وسماء ذات ابراج / وأرض ذات فجاج /
وبحار ذات أمواج / ما لي أرى الناس يذهبون / أرضوا بالمقام فأقاموا /
أم تركوا هناك فناموا / ... » (9) ، وبما فعله الدكتور يوسف عزالدين اذ

(7) نظرية الفن المتجدد : 88 .

(8) الموازنة 1 : 14 .

(9) الشعر وقضيته : 82 .

حاول ارجاع حركة الشعر الحر الى الزهاوي مدفوعا بما رآه من أن كثيرا من نظم الشعر الحر « يدعي انه كان البادىء فيه ، ويدلي بالبراهين ، ويأتي بالإمثلة ... وكان أكثر ما كتبوه في هذا الشأن مدفوعا بدافع الفخر والمباهاة » (10) وبما فعله العريض - مرة أخرى - ومصطفى جمال الدين والدكتور أحمد مطلوب بارجاعهم الشعر الحر الى البند (11) ، رغم ما سبق من قول نازك الملائكة - وهي من رواد حركة الشعر الحر المعنيين بالبحث عن جذورها - « وأما البند فالمعروف انه اسلوب مجهول لدى الجمهور العربي ، ولم يكتبه الا شعراء العراق وانا شخصا لم أسمع به قبل سنة 1953 على فوة اهتمامي بالشعر العربي » (12) ، ورغم انه حتى في العراق - وهو عامه - « لم ينتشر في الاوساط الادبية الا فترة قصيرة ثم انصرف عنه الشعراء ، اللهم الا في حالات التندر والمفاكحة » (13) .

(10) في الادب العراقي الحديث ، بحوث ومقاولات : 235 ، وفكرة المقال نشرت - كما يقول المؤلف - عام 1954 .

(11) شبه العريض قصيدة « حفار القبور » للسياح في الشعر وقضيته : 87 بينود عصر الانحطاط ، ورايه يعود الى سنة 1955 ، وقال جمال الدين في كتابه الايقاع في الشعر العربي من البيت الى التفعيلة : 265 « وان حركة الشعر الحر المتأخرة ، ما هي الا وليدة هذا البند من ناحية الاساس الايقاعي . . » والتعاقبت هذه جاءت عام 1955 - كما يقول في : 6 من مقدمة كتابه - اذ التقي محاضره عن (الشعر الحر : تاريخه تطوره) في الموسم الثقافي لجمعية منتدى النشر في النجف ، وذهب الدكتور مطلوب في كتابه ، النقد الادبي في العراق : 192 الى انه يمكن ان نعد البند « طليعة الشعر الحر الذي أخذ الوانا متعددة عند الشعراء المجددين ... » وذهب عبدالكريم الدجيلي في كتابه البند : لا ، الى ان رسائل قابوس (بن) وشمكير « هي أشبه بالشعر الحر » ورسائل قابوس هذه من النثر الفني ، وهي مطبوعة باسم « كمال البلاغة » .

(12) قضايا الشعر المعاصر : 26 ، وهذا البحث منشور في مجلة الاديب عام 1954 مما يتيح لاولئك الباحثين الاطلاع عليه .

(13) مجله الاستاذ ، وجهة الشعر الحديث ، د. سليم النعيمي ، مج 11

(1962-1963) : 173 .

وازاء هذين الموقفين يرجع المجددون وانصار الجديد محاولين توهين صلتهم بالماضي من حيث هو أساس لتجديدهم طمعا في ان يصلوا الى قطع الطريق على انصار القديم في عقد مثل هذه المقابلات بين الجديد والقديم ، واذا كانت اخبار أبي نسام لا تسعنا في الاستنهاذ على ذلك ، فان في تفضيله على كل خالف وسالف⁽¹⁴⁾ ما يتسير الى شيء منه ، اذ ان هذا التفضيل يمكن ان يكون ردا على مقابلة بين جديده وجديد القدماء وعلى محاولة عقد صلة بينهما •

واذا كان عصر أبي تمام لا يمدنا بغير الحدس شاهدا على ما نقول ، فان لنا - في عصرنا الحاضر - شاهدا صريحا في قول غالي شكري رادا على من يفاضل بين الشعر القديم والشعر الحديث : « إن المفاضلة ... تصبح غير ذات موضوع لانهما لا يملكان - في حقيقة الامر - من عناصر الأرض المشتركة سوى اللغة ، كما ان محاولة تبرير الشعر الحديث بميراثنا التاريخي من حركات التجديد في الشعر العربي هي محاولة غير مجدية بل ربما اصبحت ضارة الى حد ما ... »⁽¹⁵⁾ •

على أن مثل هذا القول قد يكلف انصار الجديد المعاصرين ان يعيدوا تقويم شعر رواد التجديد وفقا له منطلقين من « ان حركة الشعر الحر التي ابتدأت في أواخر الاربعينات لم ترس افضل القيم الشعرية • والقيم التي أرستها ليست نهائية ، ولا يمكن لاي كان ان يدعي ذلك ، بل ان هذه الحركة لم تتطور بنفس الوتيرة ، كما ان تمردا على الفواعل الخيلية قد امتص الكثير من طاقتها الى حد انها لم تستطع تـلـافـي كل نواقصها

(14) ينظر الاغاني 16 : 383 .

(15) شعرنا الحديث الى ابن : 116 ، وينظر مجلة شعر ، حرية الشعر في أن يكون ، مصطفى خضر ، ع 29-30 (شتاء - ربيع . 1964) 93 وقوله : « فلتكون (كذا) التجربة الشعرية حرة ، كان الانفصال عن الرواسب الحضارية ، والرواسب الذاتية الموروثة بكتافتها ، والانفصال شرط لعملية البعث الشعري ... » •

وأخطائها ... » (16) فيقال عن قصيدة السياب - في المبدع الغريق ومنزل
الاقنان - : « انها تراكم صور وانفعالات ، والقصيدة الحديثة تكامل صور
وانفعالات ... » (17) ، ويقال عن صلاح عبدالصبور : « واذا كان
عبدالصبور قارئاً حذراً هائماً باليوت .. فانه كشاعر لا يزال غير حذر ،
ما جعل شعره قاصراً في ادوانه الاساسية البدئية (كذا) ، اي التعبير
والصورة ... » (18) ويقال عن الرواد جميعاً انهم « اقتصروا على التلاعب
الجزئي والسطحي ببعض جوانب الشكل غير الاساسية ، بينما ظلوا ، في
عميق تجربتهم وأصيل تعبيرهم ، مغمورين بالتقديم » (19) .

ومهما يكن من أمر فان هذه القطيعة - وهي موقف منطرف - تؤدي
الى قبول طائفة من أنصار التقديم بجديد الرواد ، فقد تسبث نقاد العصر
العباسي بجديد العتابي ، وبشار ، ومسلم بن الوليد (20) ، وأدباء عصرنا

(16) الكلمة ، نقاط اساسية حول شعر الجيل الجديد ، التحرير ،
ع 3 ، س 3 (شباط 1971) : 5 .

(17) مجلة شعر ، عندما يستجدي الشعر الراحة والسلام ، عصام
محفوظ ، ع 29-30 ، س 8 (شتاء - ربيع 1964) : 98 .

(18) المصدر نفسه ، قضايا واخبار ، التحرير ، ع 26 ، س 7 (ربيع
1963) : 129 .

(19) نفسه ، قضايا واخبار ، التحرير ، ع 27 ، س 7 (صيف 1963) :
117 ، والرأي ليوسف الخال ادلى به في ندوة عقدت ببيروت . ويكاد يكون
سامي مهدي قد كرر هذا الرأي في مجلة الف باء ، رواد الشعر الجديد لم
يعطوا الحدانة حقها ، ع 7 ، س 1 (3 تموز 1968) : 48 .

(20) ينظر الشعر والشعراء 2 : 832 ، والبيان واللبين 1 : 51 ،
والاغاني 3 : 189-190 ، وطبقات الشعراء : 235 وقول ابن المعتز عن مسلم :
« ان شعره كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك احد » والموازنة 1 : 17-18 ،
وقول الامدي : « فلتبع مسلم بن الوليد هذه الانواع ووشح شعره بها ووضعها
في موضعها ، ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن » .

بالسياب واضرابه (21) .

ومن مظاهر الصراع تنقية الشوائب ، فاذ يدرك أنصار الجديد ان خصومهم يمكن ان يتشبثوا بالضعيف من جديدهم محاولين من خلاله نسفيه الحركة بأكلها ونهديمها فانهم يحاولون الوقوف عند هذا الضعيف وتقده وكأنهم يسدون الطريق بذلك على انصار القديم ، فقد « روى عن بعض الشعراء ان أبا تمام أنسده قصيدة أحسن في جميعها الا في بيت واحد ، فقال له : يا أبا نسام : لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب .. » (22) واطمئنان أبي تمام الى ذوق هذا الشاعر - يدلنا على ذلك انه أنسده بصورة خاصة - يمكن ان يهدينا الى ان هذا الشاعر ليس من انصار القديم في الاقل ان لم يكن من انصار الجديد ، ويمكن ان يعزى طلبه من أبي تمام اسقاط ذلك البيت الضعيف من القصيدة الى سد الطريق على أنصار القديم في الانتقاص من شعر أبي تمام . ولعل في تعقيب الاصبهاني على رفض أبي تمام تلبية ما طلب منه ، اذ يقول : « فلو كان يسيء بالاساءة ظنا ، ولا يفتتن بشعره ، كنا في غنى عن الاعتذار له » (23) لعل في تعقيقه ما يشير الى ما ذهبنا اليه .

وروى ان اثنين اختلفا في قول أبي نواس :

رسم الكرى بين الجفون محيل عفى عليه بكا عليه طويل

فاحتكما الى مسلم بن الوليد فقال : « ان كان قول ابي العذافر :

باض الهوى في فؤادي وفرخ التذكار

(21) ينظر ملف مجلة الاذاعة والتلفزيون عن بدر شاكر السياب : 30 ، وقول الجواهري فيه : « لقد كنت يا بدر جسرا ذهبيا حيا يعبر عليه بقية واعجاب ولفظ واعتزاز كل هذا الموكب الساحر من دنيا الشعر العربي الفخم الضخم الخالد المنحدر عبر العصور الى الضفة المقابلة من الارض الجديدة .. » وينظر مهرجان المريد الشعري ، 1971 : 172 .

(22) الاغاني 16 : 383 .

(23) نفسه 16 : 384 .

حسنا فان هذا أحسن» (24) ، وعلى فرض تحامل مسلم على أبي نواس ، لان مقابلته بين بيته وبيت أبي العذافر ظالمة فان سخرينه من نادج اصحاب البديع الضعيفة مما يمكن ان يدخل في باب تنقية الشوائب . ويمكن ان نعدّ من هذا قول ابن المعتز : « ثم ان حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به (أي بالبديع) حتى غلب عليه ، وتفرغ فيه فأحسن في بعض ذلك واساء في بعض ، وتلك عقبى الافراط وشره الاسراف » (25) . ويدخل في هذا الباب ايضا نقد الجرجاني أبا نسام ، اذ هو من يدبون « بتفضيله ونقديمه » (26) وراه « قلة أصحاب المعاني ، وقدوة أهل البديع » (27) .

ومن الشواهد على تنقية الشوائب ، في عصرنا الحاضر ، رسالة جلال الخياط الى مجلة الاداب وقد نسرت قصيده الكلمات الرملية التي تقول :
 وحدي أحتضن السأم وما ضاعا / وحدي أحتضن نداءات الباعه ...
 اد يقول في رسالته : « ويؤسفني كثيرا انني كنت أجمع بكثير من الاصدقاء في مقاه عتيقة فأراهم يتخذون من قصائد كدِن° دِن° ، ووحدني أحتضن السأم وما ضاعا مادة للهزاء والتفكه ، وهذا مصير للشعر في الاداب لا أرضاه .. » (28) . وهو انما لا يرضى هذا المصير للشعر الحر لانه يدافع عنه « دفاعا حارا .. توجهه قصائد رائعة مثل (حبل) لنزار قباني و (مطر) للسياب ... » (29) .

ونضيف ايضا قول بلند الحيدري : « وطبعا هناك محاولات عابثة - كما قلت - لا تقل عبثا عن (أرى قلمي أراق دمي) يتقصد فيها الناظم الغموض لافلاسه فيتخبط خبط عشواء في كلمات لا تحمل غير أصوات

(24) الورقة : 5 .

(25) البديع : 1 .

(26) (27) الوساطة : 19-20 .

(28) (29) الاداب ، ع 12 ، س 5 (كانون الاول 1957) : 53-54 ،

ويدخل في هذا الباب رسالة السياب الى عبد الكريم الناعم في رسائل السياب : 108-110 ، ورسالته الى يوسف الخال في المصدر نفسه : 111-112 .

ربت بكثير من الدفة لنجعل من الشعر موسيقى فقط ، ومجرداً إياه من كل معنى ، ومن كل ضرورة لفهمه مبرراً عمله بقول لهذا او ذاك .. »⁽³⁰⁾ ، وبحث نازك في عيوب الشعر الحر⁽³¹⁾ ، فالهدف من كل ذلك الا « يساء .. للشعر الحديث تحت ما يقدم من قصائد باسمه ، تعطي مردودا سلبيا في تلقي الجمهور »⁽³²⁾ .

ويقف انصار القديم موقف انصار الجديد نفسه ، ولكنهم لا يعلّفون أهبة كبيرة - فيسا يبدو - على تشبث المجددين بالضعيف من نتاجهم ، وكان روائع التراث الشعري العربي نغيمهم عن ذلك ، سواء تمثلت هذه الروائع بعصر كامل كما هي الحال لدى انصار القديم في العصر العباسي أم بأفراد كما هي الحال في عصرنا الحاضر ، اذ كان شوقي ممثلا لروائع هذا التراث بوجه جماعة « الديوان » ، والجواهري وبدوى الجبل بوجه حركة الشعر الحر ، وازاء هذا فان انصار القديم لا يعدمون - اذ ثقّدوا - ان يجدوا نقاطا مضيئة معترفا بها يشيرون اليها . على حين لا يضمن انصار الجديد - في بادئ امرهم - ان يعترف لهم جمهور الادباء والمتأدين بأكثر نقاط اضاءتهم - نوهجا ، وبأكبرها موهبة . زد على ذلك ان المجددين - وهم يرتكزون الى القديم في تجديدهم - يوفرون على انصار القديم جهد مراجعة قديمهم وتنقية سوائبه لدى معاصريهم بقصد سد الطريق على المجددين في

(30) الاديب العراقي ، ع 1 ، س 2 (كانون الثاني - شباط 1962) :
52 ، خواطر في الشعر العراقي الحديث .

(31) ينظر فصايا الشعر المعاصر : 28-35 وينظر رأيها بقصيدة النثر : 182-196 ، ونعيها على جبرا ابراهيم جبرا انه يطلق على قصيدة النثر مصطلح (الشعر الحر) فهي نخشى ان يلبس المصطلحان فيؤدي ذلك الى فوضى ، وعلى انها سكنت عما تؤدي اليها هذه العوضى من نتائج الا ان الغاريء يمكن ان يلمح ضيقها وخشيتها من ان ينعكس رفض قصيدة النثر على الشعر الحر .

(32) طريق الشعب ، ع 991 (27 كانون الاول 1976) : 3 ، وجهة نظر ، ح . م ، وأظنه حميد الخاقاني .

النسب بالضعيف منه ، لان مسألة ضعف هذا الشاعر في صنفهم او ذلك مسألة غير ذات أهية كبيرة ، والتشبيث بها لا يؤدي الى هدم تراث كامل لا سيما ان متلي التراث الحقيقيين موجودون ، ويعترف لهم المجددون أنفسهم بضخامة الموهبة .

وإذن فموقف أنصار القديم لا يُمليه سد الطريق على أنصار الجديد في النسب بالضعيف قدر ما يُمليه سد الطريق عليهم في اسغلال منافذ القديم دفاعا عن جديدهم ، مستندين في ذلك الى ان « العيب من كل أحد معيب ، وانما الاقتداء في الصواب لا في الخطأ » (33) ، ويمكننا ان نضرب على ذلك مثلا بموقف الرواة - وهم طلاب غريب اللغة في الشعر - من شعر عدي ابن زيد وأمية بن أبي الصلت والكميت والطرماح ، فقد « كان الاصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها . وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت ، ومثلها كان عندهم من الاسلاميين الكميّ والطرماح ... » (34) وبموقف الامدي من الاغراق في التجنيس - وكان أبو تمام قد نبّه اليه باغراقه في التجنيس - لدى القدماء من الشعراء اذ يقول : « وقد جاء من التجنيس في اشعار العرب ما يستكره نحو .. قول الاعشى :

شاو مثل شلول شلشل شلول

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعراء » (35) ، ونضرب مثلا اخر بموقف احد المعاصرين من بعض مظاهر التجديد في التراث الشعري العربي ، اذ يقول : « وقد كان بعض هذه المظاهر مما أساء الى الشعر العربي كتعمد الفلسفة الى درجة الغموض ... والتصوير الى درجة الاغراب » (36) .

(33) الصناعتين : 344 .

(34) الاغاني 2 : 97 ، وينظر الوساطة : 51 ، وينظر الشعر والشعراء

1 : 325 فهو يقول عن عدي : « وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة » .

(35) الموازنة ، 1 : 269-270 .

(36) الصراع الادبي بين القديم والجديد : 117 .

والرجوع الى القديم بسئل هذا المنظار مما يخلص أنصار القديم المتعصين من التناقض في الحكم ، اذ ليس من المعقول ان بعد رواة الشعر غرب اللغة عنصرا من عناصر الشعر معتمدين على ما يروونه منه في شعر الجاهليين ثم يقبلون لغة شاعر جاهلي شذ عن هذه القاعدة هو عدي بن زيد الذي « كان يسكن الحيرة ، ويراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه » (37) . وليس من المعقول أيضا ان يعيبوا على أبي تمام اغرافه في التجنيس وعلى مسلم بن الوليد تم يقبلون ذلك من شاعر جاهلي هو الاعشى ، أو ان يعيب أنصار القديم المعاصرون الغموض في الشعر الحديث ثم يرضون ذلك لأبي تمام ومن سايره . لان في رضاهم ما يبيح للمجددين أن يستندوا الى هذا اللون من القديم في خروجهم عليه .

ومن مظاهر الصراع ميل كل فريق من فريقه الى ما ينسبه التحالف ، ونوحيد الجهود ، ويسكن أن يعزى ذلك فضلا عما يعود لها من نفع على هذا الفريق أو ذاك ، أن العلاقات الاجتماعية تقوم - فيما تقوم - على تقارب منازع التفكير والذوق ، بل ان هذه العلاقات من الاسس المهمة التي يقوم عليها « اعتناق الافكار الجديدة أو مقاومتها » (38) ، ولكن الذي يهمننا هنا هو تحالف هذا الفريق أو ذاك بهدف مواجهة الفريق الاخر ، وكأن الهدف من هذه العلاقات هو هذه الناحية . واذا كان يصعب علينا ان نستجلي مثل هذا التحالف في العصر العباسي لان هذا الاستجلاء يقتضينا معرفة دقيقة واسعة بطبيعة العلاقات بين الادباء لم تتوفر عليها مصادرنا توفرا شافيا ، فان في بعض الملاحظات ما يشير الى ذلك ، فقد روى عن ابن الاعرابي ، وهو المتعصب على المحدثين « انه كان يصف اسحاق الموصلي ويقرظه ويشني عليه ، ويذكر أدبه وعلمه وصدقه ويستحسن قوله :

هل الى ان تنام عيني سبيل ان عهدي بالنوم عهد طويل

(37) طبقات فحول الشعراء : 140 .

(38) الافكار المستحدثة وكيف تنتشر : 23 .

غاب عني من لا أسمى فعيني كل يوم وجدا عليه نسيلا» (39)

ولا بد أن يكون وراء اعجاب ابن الاعرابي - فيما يكون - ان كليسا من أنصار القديم . وقامت بين البحتري ودعبل علاقة طيبة من أسبابها ان البحتري « كان على مثل مذهبه في الشعر : يأخذ - في صياغته من الصعقة الخفية بسقار بعينه على بلوغ عابه في الاثارة الوجدانية وإحكام العدوى بالانفعال ، دون ان يغرقه بالمقابلات والتجريد والتشخيص ، فيخرج - بذلك على مثاله القديم الذي يتأثره » (40) وكان البحتري يتعصب (41) لدعبل ، ويقول فيه : « دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد . . . لان كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشب بذاهبهم » (42) .

وإذن فهل كانت محاولة أبي نسام جر البحتري إليه (43) تقصد الى خرق هذا التحالف ؟ ربما كان ذلك ولكني لا أصر عليه .

وإذا كانت أخبار الشعراء في العصر العباسي لا تسمح لنا باستجلاء هذا الجانب من مظاهر الصراع ، فان في عصرنا الحاضر ما يجلو هذا الجانب جلاء تاما ، فقد وقف حافظ ابراهيم يبايع شوقي بامارة الشعر ، رغم ما اتهم به من انه قد استخدم المازني والعقاد في النيل من شوقي (44) ، فاذا كنا لا نستطيع أن نقبل هذه التهمة ، فانه لا يمكننا أن نفعل ما بين شوقي وحافظ من منافسة تبلغ القطيعة أحيانا (45) . فهل كان لتعرضهما الى مهاجمة العقاد والمازني ما يوحد بينهما ؟ أنا لا أستبعد ذلك .

(39) الاغاني 5 : 332 .

(40) دعبل بن علي الخزاعي : 172 .

(41) ينظر الاغاني 20 : 136 .

(42) نفسه 20 : 136 .

(43) ينظر في ذلك الاغاني 21 : 41 ، 48-49 ، والعمدة 2 : 109 .

(44) تنظر مجلة الهلال (عدد خاص بشوقي) ، المعارك الادبية بين

شوقي وتقاده ، انور الجندي ، ع 11 ، س 76 (نوفمبر | 1968) : 202 .

(45) ينظر حياة شوقي : 159-164 .

واتهمت اللجنة التحضيرية لمهرجان الشعر المنعقد عام 1969 وهي مؤلفة من الجواهري ومصطفى جمال الدين وشاذل طاقية بانها كانت من أسباب غياب الشعر الحر عن المهرجان وطغيان الشعر التقليدي عليه (46) .

ومن امارات توحيد جهود أنصار القديم ، نبني المشهور منهم تقديم ذواوين جماعته فقد كتب عزيز اباطة مقدمة ديوان العوضي الوكيل «شفق» مستبشرا بظهوره في جو غائم برطانة الشعر الحر (47) ، وكتب أيضا مقدمة ديوان الدكتورة عاتكة الخزرجي «أنفاس السحر» مقدرا فيه ان الشاعرة لم تنجح « الى الاخذ بالعث الاحمق المتهافت من الكلام الذي يسمونه الشعر الحديث ... » (48) وكتب صالح جودت مقدمة ديوان الدكتور يوسف عزالدين مثنيا عليه انه « أقلع عن هذا اللعب غير المجدي ببحور الخليل » (49) .

ورغم ذلك يمكننا ان نزعم أن حاجة أنصار الجديد الى لم الصف وتوحيد الجهود أمس ، لانهم معرضون - لدى تناحرهم - أن ينهار جديدهم لا سيما اذا كان في بداية أمره ، ويمكننا ان نضرب مثلا على ذلك بردّ دريني خشبة على سيد قطب ، فقد شن (أستاذ جليل) حملة على الشعراء الشباب رد عليها خشبة ردا لم يرض به السيد قطب لان الشعراء الذين ورد اسمه بينهم في رد خشبة دون مستواه كما يزعم (50) ، مما اضطر الى ان يجيبه بقوله : « أخشى أن أكون قد أضعفت جبهة شعر الشباب بذكرك ، وان أكون بذلك قد مهدت لانتصار أستاذنا الجليل على أمثالك . ثم هل هذا

(46) تنظر الشعر 69 ، 4 شعراء من العراق يتحدثون ، ع 12 (حزيران 1969) : 84 ، ولعل وجود شاذل طاقية وكيل وزارة الاعلام انذاك هو الذي جعل المجلة ترحع عن اتهامها فتسوغه بتعرض اللجنة الى ضغوط .

(47) ينظر شفق : 1 .

(48) أنفاس السحر : ي .

(49) في ضمير الزمن : 30 .

(50) تنظر مجلة الرسالة ، حول شعراء الشباب ، سيد قطب ، ع

562 ، س 12 (10 أبريل | 1944) : 318 .

هو الذي يدبر له ؟ ألا يعرف من هو اسنادنا الجليل ! انه رجل يستطيع أن يفضي على الجهود التي بذلتوها يا معشر الشباب في سبيل تجديد الشعر العربي ، وها هو ذا قد أخذ يأتكم من نواحيكم الضعيفة التي تجلت احداها في كلمتك المتهافئة .. » (51) .

ونضرب مثلا آخر بقول غالي نسكري : « وبالرغم من تفكك عرى الخطوط الامامية لجبهة الشعر الحديث فان أملا جديدا لمع في الافق مع كانون الثاني (بار) عام 1964 حين صدر العدد الاول من مجله (الشعر) القاهرية . وكان لي شرف الاشتراك شخصيا في الاشراف على تحريرها .. واتي لاجد حرجا كبيرا في سرد التفاصيل الدقيقة التي أحاطت بمولد المجلة وسقوطها ... لهذا اکتفي بخط واحد عريض هو ان الامل الذي تجدد في ظهور (الشعر) كان مبعثه الايمان العميق بضرورة (الجبهة) اطارا منبريا لحركة الشعر الحديث ، وانه لم يثن الاوان بعد لان يستقل احد التيارات المشاركة في الجبهة » (52) .

ومن أساليب العمل المشترك أيضا نولى الموهوب المشهور من أنصار الجديد تقديم دواوين جماعه ، أو اعمالهم الادبيه التي تخدم الجديد ، فقد « نظم على طريقة الريحاني الاديب منير الحسامي فأصدر ديوانه (عرش الحب والجمال) وكتب مقدمته الريحاني سنة 1925 » (53) ، وسأل ميخائيل نعيمة ناشر « الغريال » ان يكلف العقاد بكتابة مقدمة له لانه يحس ان هناك قرابة بينه وبين العقاد ، وكان العقاد يحس برغبة في ذلك (54) فكتب تلك المقدمة (55) .

(51) مجلة الرسالة ، الى الاستاذ سيد قطب ، درينى خشبة ، ع 563 ،
س 12 (17 أبريل 1944) : 338 .
(52) شعرنا الحديث الى اين : 54-55 ، وتنظر الدعوة الى تحالف
جماعة الشعر الحديث في الكلمة ، مقدمة عن الشعر ... فاضل عباس هادي ،
ع 6 ، س 2 (تموز 1970) : 38 .
(53) امين الريحاني : 35 الهامش : 2 .
(54) ينظر سبعون 2 : 192 .
(55) ينظر الغريال : 6-13 .

وكتب المازني عن ديوان العقاد⁽⁵⁶⁾ ، وكتب العقاد مقدمة ديوان المازني⁽⁵⁷⁾ ، ومقدمة الجزء الثاني من ديوان شكري⁽⁵⁸⁾ وكتب الشابي مقدمة لديوان أبي شادي «الينبوع» محاولاً تنقية المدرسة الحديثة من شوائبها⁽⁵⁹⁾ ، والسياب مقدمة ديوان راضي مهدي السعيد «رياح الدروب»⁽⁶⁰⁾ .

على أن كتابة هذه المقدمات لا تعني - في كل الاحيان - ان الشاعر يريد ان يفيد من اسم مقدمته ، وانما هو يريد الاستئناس - في احيان كثيرة - برأي من يعرف هذا المذهب الجديد أملاً في أن تقلل المقدمة من استغراب الناس وتساؤلهم ، فقد صدر «الينبوع» لابي شادي ، بأكثر من مقدمة لان شاعره لا ينسى كيف قوبل ديوانه (أشعة وظلال) « ... بنقد كثير لتجرده النام عن كل تصدير وتعقيب »⁽⁶¹⁾ .

وإذن فتقديم انصار الجديد دواوين زملائهم موقف يمليه عليهم ما يريدونه لحركتهم من نجاح واستمرار ، وهذا التقديم يتيح لهم نقد الجوانب الضعيفة فيها وسد الطريق - من خلال هذا النقد - على خصومهم أن يشهروا بتلك الجوانب .

وإزاء ما لتوحيد الجهود من أهمية لدى الفريقين لا نستغرب أن نراهما يختصمان في كسب شاعر ناجح ، أهو ممن يعدون في القديم أم في الجديد ؟ ويمكننا أن نستشهد على ذلك بمحاولات أبي تمام أن يشعر البحثري انه واحد من أصحاب البديع فلا يبخل عليه بتعليمه فنونه

(56) ينظر حصاد الهشيم : 34-39 .

(57) ينظر مطالعات في الكتب والحياة : 409-432 .

(58) ينظر نفسه 433-446 .

(59) ينظر الينبوع ، الادب العربي في العصر الحاضر : ث .

(60) ينظر رياح الدروب : 5-7 ، مط المعرفة ، بغداد 1957 .

(61) الينبوع : ج .

ولا اسحسان شعره⁽⁶²⁾ ، وكان البحرى يدرك هذا فينسبه به في شعره
« ويحذو مذهبه . وينحو نحوه في البديع ، ويراها صاحباً واماماً ،
ويقدمه على نفسه ... »⁽⁶³⁾ على حين يحاول الآخرون ان يدخلوا في روع
البحرئ انه أشعر من أبى نسام⁽⁶⁴⁾ ، وليس بعيداً أن يكون وراء هذا
التفضيل الغض من شعر أبى تمام واغراقه في مذهب البديع ، وقد صنع
الآمدي - فيما بعد - شيئاً من هذا ، والا فلا أقل من شق صههما .

ونسشهد - في عصرنا الحاضر - على ذلك بمحاولة محمد محمود
رضوان ان يدرج قصيدة شاعر شاب هو علي شرف الدين نشرت تحست
عنوان « أن الطريق » في الشعر القديم ، لان النظر اليها على انها من الشعر
الجديد بسكن ان يسقط ما في يد أنصار القديم الذي كان يتزعمهم في مجلة
الرسالة (أ.ع) لا سيما انها كانت مصدرة بعبارة « ما رأي الاستاذ
الكبير (أ.ع) في هذا الطراز من شعر الشباب »⁽⁶⁵⁾ .

ونسشهد أيضاً بنضايق انصار الجديد من أن يكتب نزار قباني
- في بعض الاحيان - على طريقة الشطرين⁽⁶⁶⁾ ، وكأنهم يريدون لموهبته
الكبيرة أن نضاف الى رصيد الجديد في كل ما يدعو له ، وان نسقط ما في
يد أنصار القديم من حجة يحققها لهم نزار بإمكان استيعاب نظام الشطرين
هموم العصر .

ومن أهمية توحيد الجهود لدى الفريقين يمكننا أن ننظر الى هجوم
أنصار الجديد على الناكص منهم أو على من يخالونه كذلك ، لان في نكوصه

(62) ينظر الاغاني 21 : 48-49 .

(63) نفسه 21 : 39 .

(64) المصدر نفسه 21 : 29-40 .

(65) الرسالة ، ع 563 ، س 12 (17 ابريل ، 1944) : 337 .

(66) تنظر الشعر 69 ، مهرجان الشعر التاسع ، ع 2 (حزيران

1969) : 129 وقولها عن نزار : « ولعل نزار قباني كان خير من ادرك هذه
الخاصية لدى جمهورنا حين جاء الى المهرجان بقصيدة عمودية هجائية
مباشرة ، بدلا من ان يجيء بقصيدة اخرى » .

عن طريقتهم ما يهيج لانصار القديم أن ينقضوا على الجديد من خلاله .
ولنا في قول البياتي مقوما نازك الملائكة وكتابتها : « قضايا الشعر المعاصر »
الذي تحدثت فيه عن عيوب الشعر الحر : « أما كونها معلمة فأرفضه رفضا
قاطعاً فكتابتها (قضايا الشعر المعاصر) كتاب تافه ومتهافت يمتاز بالسطحية
والتسرع واطلاق الاحكام الميكانيكية ، ومن ثم فهو لا يصلح ان يكون
كتاباً مدرسياً . ورأيت ان نازك ليست مفكرة بقدر ما هي شاعرة ، ولكن
شاعريتها تنتهي عند شطآن معينة » (67) ، أقول : لنا في قوله هذا شاهد ،
والا فان من الظلم الفادح ان تقبل رأي البياتي فيمن مهدت الطريق الى
الشعر الحر بمقدمة ديوانها « شظايا ورماد » ، أما كيف يرفض البياتي لمن
تكتب مثل هذه المقدمة ان تكون معلمة فقي أسباب هذا الرفض ما ذكرناه
من انها تفت بكتابتها من عضد جماعة الشعر الحديث .

وإذا كان البياتي لم يفصح عن دوافعه الى مثل هذا الحكم فان يوسف
الخال أشار - غير عامد - الى سبب هجومه عليها « بما جاء في كتابها من
آراء ارتدادية متزمتة خانت (حركة الشعر الحر) التي تدعي اكتشافها » (68) .

وإن يكون لمثـ الصف ، وتوحيد الجهود بمثل هذه الاهمية فانه من
المتوقع أن نرى أحد الفريقين يحاول شق صف الاخر عن طريق تصيد هفواته
في أحكامه على شعر فريقه ، وتضخيمها ، كما صنع دريني خشبة في رده
حملات (أ.ع) على شعراء الشباب بقوله : « لقد أنكر الاستاذ جميع الشعر
العربي بعد البارودي وشوقي وحافظ ، وأشفق من الشعراء الشيوخ الاجلاء
الذين لا يزالون على قيد الحياة ، والذين يعتز بهم الشعر العربي ، والذين
لا ينكر الا ظالم أن منهم من لا يقل مرتبة عن البارودي وشوقي وحافظ ،

(67) الموقف الشعري الى ابن وحوار مع عبدالوهاب البياتي : 45 .
(68) شعر ، قضايا الشعر المعاصر ، يوسف الخال ، ع 24 ، س 6
(خريف | 1962) : 139 .

فرأى أن ينسلمهم بإشارة عطف ورحمة ورتاء ، عو ب انه بهذا اتقى
سخطهم « (69) .

ولا أكاد أشك في ان الكاتب لا يهمه كثيرا از مع عن شاعريه
هؤلاء « السيوخ الاجلاء » قدر ما يهمه ان يثيرهم صاحبهم (أ.ع)
وان يضمن نخليهم عنه - في الافل - ان لم يضمن . نهم عن محاولات
النساب في التجديد .

ومن مظاهر الصراع لجوء فريقيه الى « النسيان » سلوبا فيه ، كأن
ينحل أنصار القديم قصيدة لمجدد ، وهدفهم من و ن تنفيه الجديد
والتقليل من قيسته مرد . واثبات أنهم قادرون عليه لو روا به ، وانهم انما
يعرضون عنه لانه عجز مرة ثانية ، ووصولاً الى از جه لدى الآخرين
- بعد شيوعه - انه هو تقليد في الذوق ، وجري ور عالىد العصر . يدلنا
على ذلك ان محمد مصطفى حمام نظم قصيدة عـ سان محمود حسن
اسماعيل مطلعها :

رقص البدر على لحن الصخور يا سماء في جبال من يحور
« وبعث بها منسوية لمحمود . . . الى احدى الصحف التي كانت تهتم
بنشر شعره ، فنشرتها في صفحتها الاولى بعنوان (رقص البدر) للشاعر
الكبير محمود حسن اسماعيل « (70) .

ويلجأ أنصار الجديد الى مثل هذا الاسلوب ، وهم أوسع أفقا في
استعماله ، وأحد ذكاء ، ولعل مرد ذلك الى أن حاجتهم الى تثبيت الجديد
أمسّ من حاجة أنصار القديم في الدفاع عن قديم كفلت له القرون
ثباتا ورسوخا .

(69) الرسالة ، شعراء الشباب والاستاذ الجليل (ا.ع) ، ع 561 ،
س 12 (3 ايلول . 1944) : 298 .
(70) الديوان 3 : 45 .

فمن أساليب المجددين في « الشيطنة » ما روى عن محمد بن عمر انه
قال : « قال ابن الخثعمي الشاعر : جن أبو تمام في قوله :

تروح علينا كل يوم وتفتدي خطوب يكاد الدهر منهن يصرع
أبصرع الدهر ؟... فقلت له : هذا بشار يقول :

وما كنت الا كالزمان اذا صحا صحوت ، وان ماق الزمان أموق
فسكت ... ثم قلت له : وأبوك يقول :

ولين لي دهري باتباع جوده فكدت للين الدهر ان أعقد الدهرا

الدهر يعقد ؟... فسكت » (71) ، واذا كنت أشك في ان يكون ابن
الختعمي قد سكت بعد سماعه بيت بشار فانه لا يخالجنى شيء من ذلك
وأبوه يزج في المسألة ، بل ان زج أبيه في المسألة كان مما يضمن لابن عمر
ذلك ، وابن عمر يقصد - فيما يبدو - اليه قصدا ، والا فما معنى زجه لو لم
يكن ضمان سكوته بذكره ؟

ومنها أيضا ما كتبه دريني خشبة مناقشا العقاد في الشعر المرسل :
« التجربة وحدها هي التي تثبت صلاحية هذا الشعر أو فساده . وقد
عرضنا - وسنعرض نماذج من شعر الاستاذ أبي حديد - وهي نماذج
متوسطة ، من نظم رجل لم يشتهر بالشعر ، ولم يمارسه ممارسة المنقطعين
للنظم ، وهي مع ذلك لا تسف* الاسفاف الذي يجعلها تنبو في الذوق ...
فما بالك لو كان لدينا نماذج من هذا الشعر ، وعلى الاسس التي ابتكرها
أبو حديد ، من نظمك الشائق الممتاز ، او من نظم مطران ، أو محرم ، أو
الكاشف أو الجارم ، أو علي طه ، أو رامي ، أو ناجي ، أو الجبلاوي ،
أو شيبوب .. وبعد فأنا أعيد العقاد العظيم من أن يكون سببا في انصراف

(71) اخبار ابي تمام 247-248 .

شعرا كما عن محاربه عيام بجاربهم في الشعر المرسل ، بل أعيده هو من أن
يصر على الانصراف عن هذا الشعر « (72) » .

ولا ريب في ان مثل هذا الاسلوب يضمن له سكوت أبرز من يمكن
أن يسموا بوجه الشعر المرسل من الشعراء ، واذا كان حشر العقاد بينهم مما
يمكن أن يثير حفيظته ، فان في نعته اياه بالعظمة مفردا من بينهم ما يضمن
له سكوه أيضا .

وتبلغ الشيطنة ، بخسبة - وهو يدعو الى الشعر المرسل - أن يحمل
الاشياء أكثر مما نحتل كما فعل مع افتتاح الدكتور طه حسين لفصل
« ذو الجناحين » من كتابه « على هامش السيرة » ، اذ قال : « وقد لا يكون
انفاريء شاعرا فيعرف كيف يكون شعرا هذا الكلام الذي نقلناه من هامش
السيرة ... ولهذا فلا بأس من ان نعيد هذا الكلام نفسه في نظامه الشعري
الذي تعودده الناس :

أقبلت تسعى رويدا رويدا مثل ما يسعى النسيم العليل
لا يمس الارض وقع خطاها فهي كالروح سرى في الفضاء
فهذا اذن نظم الدكتور طه حسين من الشعر المرسل الذي أورده في
كتبه ... ونحن لا يسعنا الا ان نبدي أكبر اعجابنا بهذا المجهود المشترك
الذي ساهم به زعيم النهضة الادبية في مصر ، وعميد الادب العربي في الثورة
على القديم الذي ندعو الى الثورة عليه ... وبعد فأحسب ان الدكتور طه
قد أعلن رأيه الان بطريقة فعلية في الشعر المرسل ، وانه في جانبنا من قبل
أن نبدأ دعوتنا ... وبقيت ملاحظة ، فلقد كتب الدكتور طه شعره كأنه
نثر ... ولا شك ان غرضه من ذلك هو الا يئبه القاريء الى انه يقرأ شعرا
فينتفر خصوصا اذا علم انه يقرأ شعرا مرسلا ... » (73) .

(72) الرسالة ، الى الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، ع 542 ،
س 11 (22 نوفمبر 1943) : 939 .

(73) الرسالة ، الدكتور طه حسين والشعر المرسل ، ع 543 ، س 11
(29 نوفمبر 1943) : 949-950 .

ونحن لا تناقش في ان الذي كتبـه الدكتور طه حسين من الشعر المرسل ، ولكننا تناقش في كونه قصد الى ان يكتب شعراً مرسلًا قصداً ، ونحسب ان تأنقه في الاسلوب واحساسه المرهف بالموسيقى هو الذي جعل كلامه موزوناً هذا الوزن الدقيق ، فهل معنى هذا انه « أعلن رأيه الان بطريقة فعلية في الشعر المرسل » ؟

ان دريني خشبة يدرك - دون ريب - أنه لم يعلن رأيه بطريقة فعلية ، ولكن في اصراره على ان هذا هو رأي الدكتور طه ما يفسر له سكوت عميد الادب العربي - وقد كان له ذلك - ريثما يتم نجاح التجربة أو اخفاقها ، ففي الوقت الذي يمكن ان يحقق الدكتور طه - اذا نجحت التجربة ، وسكت عن أن يرد رأي خشبة - مجد التجديد ، لا سيما ان خشبة وصفة بأنه أعلن رأيه قبل ان يدعو خشبة نفسه الى هذا الشعر، في الوقت الذي يحقق فيه هذا المجد ، يبقى أمامه المجال مفتوحاً - فيما اذا أخفقت - وهوجم بجريرة خشبة - للرد على من يهاجمه .

وهكذا يكون في امكان دريني خشبة ان يستغل مكانة طه حسين واحترام الادباء اياه في دعوته .

ومن هذا الباب أيضا قول نزار قباني مخاطبا مارون عبود ، وقد أخذ عليه تحرره من الوزن التقليدي في بعض قصائده : « الذين عاشوا في عصر بيتوفن وموزارت ... والذين عاصروا توالستوي أو اليوتاركو دافنشي ، أو غوغان ... كل هؤلاء يعتبرون أنفسهم من رقيقي الاقدار ، ويوم يجيء الدور الينا ويسألنا سائل : وأنتم شعراء الفترة المتسدة من عام 1940 صعودا الى اليوم ، من هو هذا الكبير الذي كان يقيم (كذا) آتاركهم ، ويزن الريش النبات في أجنحتكم ...؟ يوم يواجها سائل بمثل هذا السؤال سنقول له بدون أدنى تردد : كتبنا شعرا في عصر مارون عبود ، وعلى محك هذه السنديانة الماردة برينا أقلامنا وتركنا أسماءنا » (74) .

(74) الشعر قنديل اخضر : 83-84 .

وليس من سلك في ان نزارا يدرك ان مثل هذا الخطاب لا يوجه
الا لرجل عصر أدبي يسم العصر بميسمه ، ربما لم نرزه بعد ، ويدرك ان
مارون ليس ذلك الرجل ، والا كان ساذجا في فهمه للنقد . ولكن مثل هذا
الاطراء مما يضمن له وقوف مارون - في مرة فادمة - الى جانبه - في الاقل -
ان لم يكن الى جانب التحرر من الوزن التقليدي .

ومنه أيضا تعليق مجلة الكلمة على ما كتبه طراد الكبيسي في مهاجمة
قصيدة النثر اجابة عن سؤالها ، فقد قالت المجلة : « از مجمل الآراء التي
أوردها الزميل طراد نسكل الضد من قصيدة النثر . ومن هذا ، فانه أخيرا .
كثر قصيدة نثر ، نشرها ، هنا ، بناءا (كذا) على صبه ، وهو يصرا ان
قصيدته هذه ليست قصيدة نثر » (75) .

ووجه « التميطنه » في هذا التعليق اصرار المجلة على تسمية ما كتبه
طراد بقصيدة نثر ، رغم اصراره هو على رفض هذا المصطلح ، وفعوله في العدد
نفسه منها : « ان ما يسمى في الادب العربي الحديث قصيدة نثر لا يعدو
كونه - في أفضله - نثرا شعريا أو شعرا منشورا » (76) ، ولكن المجلة تدرك
ان هذا الاصرار في تبني نثر الكاتب على انه قصيدة نثر يهييء - في الاقل -
للكتاب مجال التراجع عن رأيه ، والا فقيه ما يضعف من قيمة رأيه في
قصيدة النثر أمام الجمهور الذي لا يعرف عن القضية شيئا .

وإذا كانت مثل هذه المداورات مما يتخاطب به اثنان يريد أحدهما
جر الثاني الى جانبه ، فان منها ما يوجه - من طرف خفي - الى جمهور الشعر
برمته كقول القائل عن قصيدة النثر : « انها تفضح القاريء ، أمام
نفسه » (77) لان رفضها - بعد هذا القول - يعني أن من يرفضها ضعيف
لا يملك أن يواجه نفسه بالحقائق ، واذن فان رفضها لا يقوم على معيار فني

(75) الكلمة ، شوهد يجوب الامصار ، طراد الكبيسي ، ع 5 س 5

(ايلول 1973) : 14 .

(76) نفسه ، قصيدة النثر ليست هي الشكل الاحدث : 10 .

(77) نفسه ، قصيدة النثر وحركة الشعر المعاصر ، صلاح فائق : 7 .

قدر ما يقوم على جبن أصيل في النفس . وليس يهنا ان يكون الكاتب نجح في أداء مهمته أم لم ينجح قدر ما يهنا انه حاول ذلك .

وتضطرب المعايير النقدية في مرحلة من مراحل الصراع ، ومرد ذلك - فيما نظن - ان طبيعة النقد تكون لدى الصراع طبيعة تبشيرية لا تعنى بتحليل الاثر الفني قدر ما تعنى بالترويج له ، أو الغرض منه ، فمن اضطراب هذه المعايير في العصر العباسي موقفهم - على سبيل المثال - من قضية واحدة أثارها المحدثون⁽⁷⁸⁾ هي الغلو ، فقد اختلف فيها الناس « منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها ويراها الغاية القصوى في الجودة .. ومنهم من يعيها وينكرها ، ويراها عيباً وهجئة في الكلام ... »⁽⁷⁹⁾ ، ولا تحسبن هذا الخلاف ناشئاً من خلاف بين انصار القديم وأنصار الجديد ، فقد روى عن مسلم بن الوليد أنه وصف أبا ثؤاس بأنه « محيل ، ويصف المخلوقين بصفة الخالق »⁽⁸⁰⁾ مشيراً الى قوله :

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق⁽⁸¹⁾

وفد شكاً - في عصرنا الحاضر - أبو القاسم الشابي من هذا الاضطراب الذي « أدى الى بلبلة في فهم الشعر ، وضبط مقاييسه ، وموضوعه ، وغايته »⁽⁸²⁾ ، وعزاه الى الاتصال الوثيق بالادب الاجنبي⁽⁸³⁾ ، وشكاً أديب آخر من انه صار يرى الناقد « لا يعدو أحد رجلين : رجل يكيل المدح في

(78) في العمدة 2 : 59-60 « وزعم بعض المتعصبين ان الذي كثر هذا الباب (يعنى الغلو) أبو تمام ... » وعلى ان القول مردود ، ولم يعبله ابن رشيقي ، الا انه يمكن ان يدلنا على ربط بين مذهب اصحاب البديع والغلو ، علما ان ابن المعتز جعله من فنون البديع ، ينظر البديع : 65-68 .

(79) نفسه : 2 : 50 ، ينظر الوساطه : 420 .

(80) الموشح : 402-403 .

(81) نفسه : 403 .

(82) | (83) ينبوع : ص .

كرم وسحاء . واحر يرمي بالسنائم والهجاء اللادع المؤلم في غير محرج
ولا استحياء» (84) . وشكوى هذا الاديب يمكن ان ندلنا على ما اسيناء
بالطبيعة التبسيرية في النقد الذي يرافق الصراع ، فمد جاءت تكواه عقب
الضجة التي أحدثها صدور ديواني الشاعرين علي محمود طه : « الملاح
النائه » و ابراهيم ناجي « وراء الغمام » (85) .

ومما يزيد في أمر اضطراب مقاييس النقد سوءا ان الصراع لا يعدم
دخول من هو طاريء عليه ، حليته ، وكان ذلك من طبيعته أيضا ، فقد شكوا
الصولي من بعض الجهلة الذين يصحفون على أبي تمام ثم يعيونه بما لم
يقله (86) ، وابتلي مذهب البديع بمثل أبي العذافر (87) ، وابتليت حركة
الشعر الحر « بطائفة من النظامين والانصار المقلدين . . . » (88) ، و « كثر
المتطفلون على الشعر ، وكثر العبث والتخبط فيه » (89) .

ولا بد أن تنجم عن مثل هذه الحال شكوى من قلة اهتمام الناس
بالشعر ، ربما يكون مبعثها - في نظر الناس - غياب الشعر نفسه . واذا
كنا لا نستطيع استجلاء هذه الشكوى في العصر العباسي ، لقلّة أخبار
شعرائه التي بين أيدينا ، فاننا نستطيع ان نراها - في عصرنا الحاضر - ماثلة
في قول أحد الادباء : « ترى هل تأخر الشعر قلم يعد يجاري حاجة الناس
ويعبّر عن مشاعرهم ، فهو من أجل هذا لا يثيرهم ؟ . . أم اختلفت المقاييس ،
وتبدلت القيم فساء . من أجل هذا - التفاهم بين الشعر وبين (كذا)

(84) (85) الرسالة ، مهمة الناقد ، نظمي خليل ، ع 57 ، س 2
(6 اغسطس 1934) : 1299 .

(86) ينظر اخبار ابي تمام : 56 .

(87) نظر الورقة : 5 .

(88) الاداب ، قرأت العدد الماضي من الاداب ، احمد ابو سعد ، ع 4 ،

س 5 (نيسان 1957) : 62 .

(89) فنون الادب المعاصر في سورية (1870-1970) : 393 .

الناس ؟...» (90) ، وفي نسأؤل توفيق الحكيم عما اذا كان « العصر الحديث لم يوفق بعد الى الطابع الشعري الذي يناسبه ويمثله » (91) ، وفي حديث أديب آخر عن « أزمة الشعر في العصر الحديث » (92) .

ومضي الزمن يكون - عادة - في صالح الجديد ، وذلك أمر طبيعي ، لان اعتناق آبة فكرة ينسر بها مبدعها يمر بسراحل يحددها المختصون بخمس هي : « الادراك . الاهتمام ، التقييم ، المحاولة . واخيرا الاعتناء » (93) فضلا عن أن الذين يتلقون الفكرة لا يتساوون في مستواهم الثقافي ، ولا في مستوى ادراكهم ، ولا في ظروفهم الخاصة والعامة (94) .

ولنا ان نضرب مثلا على أهمية مضي الزمن في اعتناق الجديد بموقف نزار قباني عام 1953 من القافية - على سبيل المثال - الذي يرى ان طبيعته الشعرية « وطبيعة أي فرد عربي لا تستطيع ان تفرض وجود بيت لا ينتهي بقافية » (95) وبموقفه منها بعد أقل من عشر سنوات ، اذ يصفها بانها « اللافطة الحمراء التي تصرخ بالشاعر (قف) حين يكون في ذروة اندفاعه وانسيابه ، فتقطع انفاسه ، وتسكب الثلج على وقوده المشتعل ... » (96) .

ونضرب مثلا اخر بموقف علي الحلبي من القضية نفسها عام 1955 ، اذ

-
- (90) الادب ، داء الشعر ، صدر الدين شرف الدين ، ح 5 ، س 14 (مايو 1955) : 72 .
- (91) الرسائل (اللبنانية) ، الشعر ووفيق الحكيم ، ع 1 . س 3 (كانون الثاني 1957) : 63 .
- (92) نفسه ، أزمة الشعر في العصر الحديث ، نسيب الاختيار ، ع 3 ، س 3 (آذار 1957) : 6-7 ، وتنظر جريدة البلد ، أزمة الشعر الحديث ، الدكتورة سهير القلماوي ، ع 419 (4-10-1965) : 3 .
- (93) الافكار المسنحثة : 30 .
- (94) ينظر في العوامل التي تتحكم بتبني الفكرة الجديدة ، المصدر نفسه : 214-229 .
- (95) مجلة الاداب ، الشعر العربي بين التقييد والتحرير ، جواب نزار قباني ، ع 8 ، س 1 (آب 1953) : 24 .
- (96) الشفر قنديل أخضر : 37 .

كان « من اولئك الذين يعبدون الميزان الشعري ، ويحترمون القافية » (97) ويرى « ان الوزن الشعري والقافية هما شرطا الشاعر العربي » (98) ، وبكتابه الشعر الحر بعد سنتين من ذلك التاريخ (99) .

ولست القضية لدى نزار ولديه دليلا على تناقض قدر ما هي دليل على تطور بنقضية طبيعة الصراع نفسها ، فهي نظور من آراء الفريقين بمرور الزمن ، ولنا ان نضرب مثلا من رواد الجديد بالسياب في موقفين من القضية نفسها ، ناد كان يرى عام 1956 ان « الثورة الحديثة على القافية تساهي مع الثورة على نظام البيت » (100) عاد عام 1961 يقول : « أنا من اعداء النفلت من القافية » (101) .

ويهنا من كل هذه المواقف ان نخلص الى ان حركة التجديد تؤثر في القديم ، فقد أثر مذهب البديع في شعر أبي علي البصير على الرغم من انه « كان لا يرضى أبا نواس ، ولا مسلم بن الوليد ، ولا من كان في طريقتها من الشعراء » (102) . وكتب أحمد شوقي المسرحية الشعرية ، ولا بد انه تأثر بتأكيد انصار الجديد خلو الشعر العربي من الشعر القصصي والتمثيلي (103) فأتجاهه الى المسرح وان كان بدؤه « فرنسي الاصل الا ان تدعيمه وتأنيده جاء من قبل المجددين .. » (104) ، وكتب بشارة الخوري شعرا قصصيا

(97) (98) من رسالة ارسلها الى الدكتور داود سلوم منشورة في تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين : 106 . (99) تنظر قصيدته (رسالة من دمشق) في سمس البعث والفداء : 83-81 .

(100) دراسات عربية ، حديث مع الشاعر ندر ساكر السياب ، ع 2 : س 11 (كانون الثاني 1975) : 124 . (101) رسائل السياب : 108 . (102) الموضح : 434 ، وينظر في تأثر شعر البصر بمذهب البديع ، الشعر في الكوفة منذ اواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث : 280 ، 281 . 283 . 285 . (103) ينظر الياذة هوميروس : 101 . (104) الهلال ، عدد خاص بشوقي ، اثر الثقافة الغربية في سمر شوقي ، العوضى الوكيل ، ع 11 ، س 76 (نوفمبر 1968) : 192 .

ايضا (105) ، وتأثرت المدرسة المحافظة في السودان - رغم صلابتها في المحافظة - بحركة التجديد (106) .

ولعل ما يدلنا على تأثير الجديد في القديم ما حاوله عزالدين الامين من اثبات ان في الشعر المعاصر المكتوب على نظام الشطرين ما في شعر التفعيلة من خصائص حسنة ، مثلا لذلك الشعر بيتارة الخوري ، ونزار قباني ، وعبدالباسط الصوي ، ونازك الملائكة ، وسليمان العيسى . وهاشم الرفاعي ، وسعد دعبيس ، وعبد بدوي (107) ، وما حاوله ايضا سعد دعبيس من اثبات المسألة نفسها (108) .

وبعد فلعل هذا التأثير من خير ما يعطيه الصراع للشعر ، فسن خلال الصراع تخلق مفهومات نقدية جديدة ، وتنضج أخرى ، فيخلق الشاعر الشاعر .

واذا كانت هذه المظاهر ، كما قررنا في بداية الفصل ، الصق بالحوار المتزن ، والهدوء في التفكير ، فانها تختلط ، في احيان كثيرة ، بالحماسة والتعصب وما اليهما مما يستحق فصلا خاصا هو الفصل التالي .

-
- (105) ينظر شعر الاخطل الصغير ، هند وأمها : 199-201 ، المسلول 234-241 ، عروه وعفراء 269-277 .
- (106) تنظر الاديب : نهضة الشعر في السودان ، احسان عباس ، ج 1 ، س 13 (يناير 1954) : 42 .
- (107) ينظر نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر : 102-123 .
- (108) ينظر حوار مع الشعر الحر : 43-71 .

الفصل الخامس

اخلاق فريق الصراع

أخلاق فريق الصراع

وتعني بـ « الأخلاق » ما يصاحب الصراع من أساليب في الرد يفترض ان تكون بعيدة عنه بوجهيها : السليبي والايجابي ، مراعاة للموضوعية التي ينبغي ان تسود ، ولكنها تبنى لصيفة به . على انها - فيما يبدو - ليست وقفا على الصراع ، ولا هي من مستلزماته او نتائج وحده ، وانما هي مركوزة في طباع نقر من هذا الفريق او ذلك يمكن ان نسنثار بالصراع ، مثلما تهنج بالخصومة او المناقتة او المناقسة ، وكأنها عون - ولا يهنا ان يكون منجدا او خادلا - على تثبيت رأي ، او دفاع عن حجة . أقول هذا وفي ذهني هدوء مطران فياسا الى العقاد⁽¹⁾ ، ورزانه السياب - في الاحوال الاعيادية - لدى مقارنته بالبياتي . ولا أدري اذا كان لثقة الشاعر بموهبته ، وقوة حجته من أثر في ذلك ؟ كما لا أعلم ما للمصالح الني يحققها احد طرفي الصراع - لدى انحسامه الى جانبه - او التي يحسرها - لدى انحسامه الى جانب خصمه - من دخل .

وفد يكون في تأكيد ما للمصالح من أثر في حدة الصراع غلو لولا ما نعلم من حديث الاصبهاني عن الخصومة التي دارت على تنعر أبي تمام ، اذ يقول : « وفي عصرنا هذا من يتعصب له فبفرط ، حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه . ويطوون محاسنه ،

(1) يقول العقاد في رسالة بعنها الى صديق له - نقلت في معارك العقاد الادبية 19-20 في 31 يناير 1922 - انه قصد بحدة هجومه على تنوقي الى ان يثير زوبعة من شأنها ان تغير من ذوق الجمهور ، وانه لن يقصر قلمه على هذه الحدة . ولكن العقاد - كما هو معروف - لم يستطع التخلي عن حدته في أغلب المعارك التي خاضها .

ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك ، ليقول الجاهل بهم : انهم لم يبلغوا علم هذا وتسييزه الا بأدب فاضل ، وعلم ثاقب . وهذا ما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس ، وطلب معانيهم سببا للترفع ، وطلبا للرياسة » (2) .

ولكن من الظلم الفادح - رغم هذا - ان تتهم كل من يتعصب من فريق الصراع بذلك ، والا كنا اغفلنا جانبا مهما من دوافع هذا التعصب ، واعني به ما يمت الى الاخلاص لقضية الشعر بسبب وما يمت الى التربية بوشيجة ، والمزاج بآصرة (3) . زد على ذلك ان ما يجعل من « اخلاق فريق الصراع » ظاهرة تجد لها مكانا بارزا في مثل هذه الدراسة ، بقايا القيم البدوية في المجتمع العربي ، اذ اتنا لم نستطع - الا قلة نادرة - الى الان ان نفصل - لدى مناقشاتنا - بين الرأي وصاحبه ، وبين خطل رأي وكرامة من يعتنقه ، حتى لكأن رد أي قول هو - بالضرورة - تجريح بمنزلة القائل به ، وان لم يكن كذلك . فاذا ادركنا هذا ، ادركنا بسهولة ويسر سرا من أسرار احتدام الصراع واسفاهه في أحيان كثيرة .

ولعل من المفيد ان نشير - هنا - الى اتنا لم نستطع - ونحن نستعرض حركات التجديد التي أثارت صراعا في الشعر العربي - ان تلقى نبعة انحراف الصراع عن مداره الاساس الى مدار خلقي ، على عاتق احد فريق الصراع ، كأن نرى ان المجددين هم الذين يبدأون ذلك دائما ، او العكس . ففي الوقت الذي رأبنا خصوم ابي تمام والمنتبي وأبي نواس وبشار - فيما وصل الينا - هم الذين يلجأون غالبا الى السخرية منهم ، والتعصب ضدهم ، وهجائهم ، رأينا جماعة الديوان هم الذين بدأوا شوقي بذلك . على ان من طبيعة الاشياء ان تكون الحماسة مما يصاحب اي صراع في

(2) الاغانى 16 : 383 ، وينظر اخبار ابي تمام : 28 .
(3) ينظر في مزاج المازني - على سبيل المثال - في طفولته ، ومرافقة هذا المزاج اياه في نقده شعر حافظ ابراهيم ، محاضرات عن ابراهيم المازني : 29 .

بدايته ، وان انصار القديم هم الذين تتلبس بهم هذه الحماسة عادة لاسباب منها :

ان المجددين يكون من صالحهم الهدوء في عرض وجهات نظرهم ، وحججهم ، لان ذلك اجدى في قبول هذه الحجج مرة ، ولانهم لا يمتكون - وهم في بداية أمرهم - رصيذا أديبا يؤهلهم للسخرية من القديم ، والنيل من قيمته، والتنديد بأنصاره ومتبايعيه مرة أخرى. هذا الى اننا كنا رأينا انصار القديم يكتفون في بداية ظهور الجديد بالرفض المطلق الذي لا بد ان ينطوى - بنا انه مطلق لم يدعم بحجة ، وان دعم بحجة واهية - على شيء من الحماسة والتعصب . ومن طبيعة الامور - بعدئذ - اذا صار الامر لاجابة ، وحسب الجديد ان اقدامه نكاد تثبت ، ان يرد المجددون على انصار القديم باسلحتهم نفسها .

وأول ما يصادفنا - ونحن نبحت في اخلاق الصراع - هو تعصب انصار القديم لرأيهم وحماستهم فيما يتبنونه من شعر ، ورفضهم المطلق لسواه ، فقد روي عن الاصمعي انه قال : « حضرنا مأدبة ومعنا أبو محرز خلف الاحمر ، وحضرها ابن منذر فقال لخلف الاحمر : يا ابا محرز ، ان يكن النابغة ، وامرؤ القيس ، وزهير ، قد ماتوا ، فهذه أشعارهم مخلدة فقس شعري الى شعرهم ، واحكم فيها بالحق ، فغضب خلف ، ثم أخذ صحيفة مملوءة مرقا فرمى بها عليه ، فملأه ، فقام ابن منذر مغضبا ، واطنه هجاء بعد ذلك » (4) . واذا كان لنا ان نستشف من أخبار خلف معرفة في خلقه ، يضاف اليها علم بالشعر جم يمكن ان يبعث على الغرور (5) مما يدفعه الى ان يقف من ابن منذر هذا الموقف ، لا سيما ان جو الحادثة بأكمله ربما يضيق عن بحث أمور الشعر ، ويدلنا على احدي اثنتين في ابن منذر :

(4) الاغاني 18 : 174 ، وينظر الموضح : 453 ، وينظر موقف ابن الاعرابي من شعر ابي تمام في اخبار ابن تمام : 175-176 .
(5) ينظر في اخبار خلف الاحمر ، نور القبس المختصر من المقتبس : 75-72 ، ويلاحظ بصورة خاصة خبره مع اليزيدي ، ثم مع بشار .

إما على سذاجة في طبعه ، أو على صيق بنفور رواة الشعر عن سماع شعره ، وتهربهم من لقائه بحيث فكر انه ربما لا يلقي خلفا ، ولا يظفر برأيه في غير مكان هذه المأدبة ، أقول : اذا كان في كل ذلك ما يحصل خلف الاحمر ان يفف من ابن مناذر ذلك الموفف ، فان اخرين من انصار القديم ربما كانوا ينصتون لأصحاب الجديد ، وفي نفوسهم ان هذا الجديد لا يمكن ان يرقى الى منزلة القديم ، يدلنا على ذلك ما روي عن ابن الأعرابي من انه كان يقول : « انما اشعار هؤلاء المحدثين - مثل ابي نواس وغيره - مثل الريحان يشم يوما وبذوي فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا » وما روي عنه ايضا من انه « أنشده رجل شعرا لابي نواس احسن فيه فسكت • فقال له الرجل : أما هذا من أحسن الشعر ؟ ••• فقال : بلى ، ولكن القديم أحب اليّ » (6) •

ويمكننا ان نستشهد على الرفض المطلق للجديد - في عصرنا الحاضر - بموقف العقاد في المجلس الاعلى للفنون والآداب بمصر من صلاح عبدالصبور حين أحال شعره الى لجنة للنشر التي يرى انها مختصة به (7) ، ويقول عزيز أباظة : « هذا الكلام الذي لا رباط له ولا ضوابط ، والذي يسمونه الشعر الحر ، او الشعر الحديث ، ليس هو عملا لشاعر ، وذلك لانه لا وزن له ، ولا موسيقية فيه ، ولا قافية له يستقر عندها ، فهو شيء قد يكون صدره عشر كلمات ، وعجزه كلمة ، او كلمتين ، وقد تقوم النقاط مقام الكلمات ، وقد يستغنى عن الكلمات كذلك بخطوط افقية ، او عرضية مصحوبة بعلامات استفهام وتعجب • وعلم ذلك عند علام الغيوب ، فاذا

(6) الموشح : 384 ، وينظر فيه ايضا : 408 رأي اسحاق الموصلي بأبي نواس •

(7) البحث عن معنى : 137 ، وينظر قضايا جديده في أدبنا الحديث : 88 واعتراض العقاد - كما يقول احمد عبدالمعطي حجازي في ديوانه أوراس 49 : « على اشتراك بعض الشعراء المجددين في مهرجان الشعر بدمشق •• وهدد بالانسحاب من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب احتجاجا على اشتراكهم =

احتوى هذا الكلام مضمونا فيه جودة ، او معنى فيه حسن ، فهو اذن قد يرتفع الى مقام الشعر المنشور او النثر المشعور « (8) .

وتقف فئة من انصار الجديد والمجددين - حين يسيح جديدهم في الناس او يكاد - موقف تلك الفئة من انصار القديم نفسه في الرفض المطلق لما يرونه مخالفا لدعوتهم في الشعر ، فلا نستغرب - عندئذ - ان يقال عن المتنبي انه « ليس شاعرا .. وان في شعره رنينا وقعقة ، واسلوبه خطابي » (9) وان يقال في شعر الجواهري واضرا به ممن يلتزمون عروض الخليل : « ان هذا الشعر لا قيمة له على الاطلاق ، ولا قيمة تاريخية له على الاطلاق ايضا ، لانه لا يحمل ولا يستبطن تجارب ونضالات (كذا) وعذابات

في المهرجان » . ويدخل في سياق رفض انصار القديم المطلق للجديد ما رواه فوزي خليل عطوي في الرسالة (اللبنانية) ع 9 ، 10 ، س 3 (تشرين الاول 1957) : 34 من اباء احمد الصافي الجففي ان يبحث معه فضيلة الشعر الحديث بنوع عام ، والمنثور منه بنوع خاص ، فقد ترفع الصافي - كما يقول عطوي - عن بحث ذلك ، وطلب اليه ان يترفع هو ايضا عن بحث هذه القضية ، وما اجاب به بدوى الجبل جريدة الاخبار الدمشقية اذ سألته عن رأيه في الشعر الحديث فقال : « انا افهم الشعر الذي نظمه شوقي وحافظ ومطران وبتساره الخوري وعلى محمود طه وامين نخلة ومهدي الجواهري .. وامثالهم ، الشعر العربي كما افهمه هو الديباجة العربية الصحيحة التي تتسع لكل خيال وكل معنى بأجمل زينه وأروع حلة هذا هو الشعر الرفيع كما اراه ، ولذلك انا لست من انصار الشعر الجديد المتحرر من الوزن والفافية ، ولا ارى انه ينسجم مع طابع الشعر العربي ، اذ لكل ادب طابعه . هذه موجه سنتنتهي حتما ... » مجلة الاداب ، ع 4 ، س 4 (نيسان 1956) بدوى الجبل والشعر العربي الحديث : 70 .

(8) البحوث والمحاضرات ، لغة الشاعر : 276 (بحث القاه في مؤتمر الدورة 32 ببغداد سنة 1385 هـ - 1965 م) ويبدو ان رأي اباطة هذا يسبق هذا التاريخ ، فقد اشار اليه طه حسين في كتابه (من ادبنا المعاصر : 32) المطبوع اول مرة عام 1958 .

(9) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : 5-6 .

(كذا) انساننا المعاصر . انه شعر العنتريات ، والشعارات «⁽¹⁰⁾ ، وان توصف الروماتيكية في الشعر العربي بانها مرض ، والرمزية في بعض قصائد « رندلي » لسعيد عقل بانها تحريك قدرات بليدة⁽¹¹⁾ ، وما الى ذلك من الاوصاف والنعوت التي لا تدل على حس نقدي نزيه قدر ما تدل على التعصب والتعميم وما يجرانه من أحكام مرتجلة .

وجلي ان مثل هذا التعصب لا يمكن ان يكون قائما على أساس متين ، او مستندا الى دعامة من دراسة متأنية عميقة ، وانما هو - فيما يبدو - مغالطة او انطباع لا يريد صاحبه ان يتعمق فيه فيغيره أو أن يظل عنده ، وهو مشفوع باسباب وجيهة هيأتها له تلك الدراسة . وجلي ايضا أن هذه الحال لا يمكن ان تدوم ، وانها - اذا دامت - لا يمكن ان تقنع احدا . وعليه ، لا بد من وقفة طويلة لنفر آخر من هذا الفريق او ذاك عند تتاح نظيرة يتحراه محاولا ان يخرج منه بنتائج تدعم رأيه . وينبغي لنا - هنا - ان نلاحظ ان هذه الوقفات الطوال تكون بعد شيوع الجديد ، واستحسان الناس كثيرا او قليلا منه .

ومن هنا نرى ان بحوث انصار القديم في الجديد لا تكاد تخرج عن اثبات ما ذهب اليه أبو عمرو بن العلاء حين سئل عن جاء بعد ذي الرمة

(10) الموقف الشعري الى اين وحوار مع عبدالوهاب البياتي : 47 ، وينظر رأي النويهي في مجلة الشعر ، ع 8 ، س 1 (1964) ، ثورة الشكل وثورة المضمون في الشعر المنطلق : 12 ، اذ يقول عن الشعراء الذين كتبوا بعد شوقي على الطريقة التقليدية انهم : « لم يصدروا الا جملا موسيقية شوهاء خالية تمام الخلو من أي نبض حي او مقارب للحياة » !!

(11) مجلة شعر ، ع 26 ، س 7 (ربيع 1963) ، شعر جديد في نثر جديد ، كميل سعادة : 110 ، 112 ، وعلى اننا لم نطلع على نص لانصار أبي تمام يرفضون فيه القديم ، الا ان في قول الاصبهاني في الاغاني | 16 : 383 « وفي عصرنا هذا من يتعصب له (أي لابي تمام) فيفرط ، حتى يفضله على كل سالف وخالف ... » ما يشير الى مرحلة من مراحل الرفض لا ndery مداها ، رغم اننا نعلم ان غياب الفوارق الجوهرية بين عصر ابي تمام والعصور التي سبقته في فهم الشعر والحياة - في الاقل - لا يدعو الى هذا الرفض .

من السعراء ، فقال : « كلُّ على غيرهم ، ان فالوا حسنا فقد سبقوا اليه ، وان فالوا فيجا من عندهم » (12) . فهي نسعى الى اثبات هذه المفولة عن طريق ارجاع ما لدى هذا المجدد او ذلك من جيد السعر الى من هم قبله من الشعراء ، منهه اياه بالسرفه مرة . وبالأتر مرة اخرى ، وما الى ذلك . فقد روي عن محمد بن جابر الازدي - وكان يعصب لأبي تمام - انه قال : « انسدت دعبل بن علي شعرا لأبي سام ولم أعلسه أته له ، ثم قلت له : كيف نراه ؟ قال : احسن من عافية بعد يأس ، فقلت : انه لا يبي تمام ، فقال : لعله سرفه » (13) . ويهمننا من سوق هذا الخبر ان التعصب على شعر ليس من مطعن في فيه يمكن ان يدفع بدهاة الى اتهامه بالسرفه ، وان ذلك من جيلة الاسباب التي تسوق تقرا من انصار القديم الباحثين الى عقد أبواب في سرفات المجددين . فقد نعى القاضي الجرجاني على احمد بن ابي طاهر واحمد ابن عمار ما أخرجاه من سرفات أبي سام . وما تبعه مهلهل بن يسوت على أبي نواس . اد رأى ان ما ادعوا انه من السرفه لم يكن - لولا التعصب - كذلك (14) بل إن ابن أبي طاهر بلغ من التعصب على أبي تمام مبلغا عقد معه الامدي - رغم ميله على أبي تمام - بابا بحث فيه « ما نسبه ابن ابي طاهر الى السرق ، ولبس بمسروق ، لانه مما بشارك الناس فيه من المعاني ، ويجري على ألسنتهم » (15) .

(12) الاغاني 18 : 9 .

(13) المصدر نفسه 16 : 388 ، وينظر في الموشح : 336-434 راي ابي علي البصير في ابي نواس وقوله فيه « . . واجود شعره في الخمر والطرده . واحسن ما فيهما مسروق . . . » وقد حاول ان يدعم رايه بأمله .

(14) ينظر الوساطة : 209-214 .

(15) الموارنة 1 : 120 . ويسطر دفاع الامدي عن ابي تمام فيما انهمه به ابو علي محمد بن العلاء السجستاني 1 : 133-134 . وينبغي ان نضيف هنا الى التعصب في الغلو بأمر السرقات حب التظاهر بالعلم ، والا فان ابن ابي طاهر قد فعل مع البحري ما فعله مع ابي تمام : ينظر في ذلك الموازيه 1 : 276 .

وآتهم علي الشرقي بالسرقة من الخيام وحافظ وسعدي ، رغم أن بعض متهميه يقولون : إنه لا يعرف الفارسية ، وقيل في تثيت اتهامه ان « ... بعض الفرس ... يترجم له هذه المعاني فيأخذها ليفرغها في قالب عربي » (16) ، وآتهم ابراهيم ناجي - وهو يومئذ من جماعة أبولو الذين يرون في العقاد خصسا - بالسرقة (17) ؛ كما آتهم السياب في قصيدته « حفار القبور » بالسرقة من قصيدة الجواهري : « حين » (18) .

علي أن هناك حقيقة نظنها مهنة ينبغي لنا ان نأخذها - ونحن نبحث في سرقات المجددين المعاصرين - بعين الاعتبار ، هي ان المجددين انفسهم اذ ينشقون فيما بينهم (19) بداعي المنافسة ، او السياسة ، او بغيرهما ، يتبادلون هذه التهم ، مما يخلق جوا عاما يمكن ان يفيد منه انصار القديم ، والا فان اتهام المعاصرين بالسرقة مما يحتاج الى اطلاع واسع على الاديين العربي والاجنبي ربما لا يتوفر انصار القديم على جانب منه .

ولم يكن المجددون وانصارهم يتقنون من انصار القديم موقفا خانعا ،

(16) مجلة الرابطة ، ع 4 ، س 1 ، 1974 : 49 ، حوار مع الاساذ صالح الجعفري ، ولم يذكر الجعفري اسم الشرقي صراحة ، ولكن الابيات التي اوردها على انها مسروقة هي للشرقي .

(17) معارك العقاد الادبية : 184-186 ، وورد معال العقاد الذي يتهم فبه ناجي بالسرقة ، ورد ايضا في جماعة ابولو : 490-491 منصوصا عن جريدة الجهاد - في كلا المصدرين - الصادرة في 12-6-1933 .

(18) تنظر جريدة الحرية ، ع 721 (31 تشرين الاول 1956) .

(19) من هذا القبيل انشقاق شكري عن جماعة الديوان ، واتهامه المازني بالسرقة ، ينظر في ذلك محاضرات عن ابراهيم المازني : 28 ، وما آتهم به حسين مردان في مقالات في النقد الادبي : 68 ، زملاءه البياتي ، والسياب ، وكاظم جواد ، وما آتهم به كاظم جواد في الاداب ، ع 7 ، س 2 (تموز 1954) ، اباريق مهشمة : 35 البياتي من انه يسرق من ناظم حكمت ، ونيرودا ، والجواهري ، ودي بوفار . وكذلك قول الجعفري في الشرقي ، اذ لم يكن الجعفري من انصار القديم ، ولكنه لا يميل الى الشرقي لانه متكبر ، (من حديث مع الجعفري مسجل محفوظ في مكتبتي) .

وانما كانت طائفة مهم تدافع عن هذه التهم مرة⁽²⁰⁾ ، وتانية تنهم انصار القديم بها مرة اخرى ، فقد ألف أبو ضياء بشر بن يحيى القيني كتابا ذكر فيه « سرقات البحري من أبي تمام »⁽²¹⁾ ، وقد نعى القاضي الجرجاني عليه نعبه فيه . وحاول البياتي ان ينسب الجواهري الى جملة من الشعراء العرب : المتنبى والمعري والصعاليك⁽²²⁾ .

واذ يفرغ ذو التعصب من ارجاع الحسن المبول الى ما هو أفدم منه ، زين له نعبه - حين يعسر عليه ان يجد لبيت حسن اخر أصلا قديما - ان يفهم الشعر كما يشاء هو لا كما يشاء ذوق المنصف ، فقد اضطر الامدي ان يلبس جبة الفقيه المتصدر للفتيا فيمن يجب ان يوصل من الارحام ، في سبيل تسفيه قول أبي تمام :

الودء للقربى ، ولكن عرفه للأبعد الاوطان دون الأقرب⁽²³⁾
وذهب نفر اخر من انصار القديم مع نعصبهم حين وقفوا عند قوله :
كأن بني نهبان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر
فقالوا : ان البيت هجاء لأل المتوفى⁽²⁴⁾ ، وكأن قبائل العرب لم تجر

(20) يمكننا ان نستشهد على ذلك بالصولي في دفاعه عن أبي تمام في اخبار أبي تمام : 53 ، وما رد به ابن جني على ابن وكيع ، اذ ألف - كما في معجم الادباء ، 5 : 31 - « كتاب النفض على ابن وكيع في شعر المتنبى وتخطئه » وقد كان ابن وكيع ألف كتابا في سرقات المتنبى ، وقال عنه ابن رسيق في العمدة 2 : 226 « انه قدم على أبي الطيب مقدمة لا يصح لاحد معها شعر الا الصدر الاول ان سلم ذلك لهم ، وسماه كتاب (المنصف) مثل ما سمي اللديغ سليما ... » .

(21) معجم الادباء 2 : 367-368 ولسنا نعرف ان كان القيني من انصار الجديد اولا ، ولكن في عنوان كتابه ما يشعر بالانتصار لابي تمام ، وينظر الجرجاني في الوساطة : 192 فقد تعرض لشيء من سرقات الفدامي .

(22) الموقف الشعري الى ابن : 46 .

(23) ينظر الموازنة 1 : 167 .

(24) ينظر اخبار أبي تمام : 125-126 ، ويلاحظ ان الامدي وقف في الموازنة 1 : 68-69 عند البيت فأشار الى سبق مريم بنت طارق او جرير الى معناه ، وكأنه يستحسنه .

على اختيار رجل فاضل من القبيلة رئيسا لها .

ووقف العوضي الوكيل وقد « اختلت المقاييس الادبية والمنية
اختلالا بينا استعلى به الزيف على الصحيح ، بحيث اصبح الامر يتطلب
عقاداً ومازانيا اخرين » (25) ممثلا دورهما معكوسا ، لان موقعه كان من
محمود حسن اسماعيل مجددا ، أقول وقف عند بيته القائل :

النيل حولك يجرى ، ما بشاطئه الا هوى لك طي الموج مستتر

خقال : « وتأمل الهوى الذي هو في الساطيء ، وبي طي الموج في وقت واحد ،
الا ترى ان هذا نخليط محموم ، وهذيان مختلط » (26) وكأن الموج لا
يلامس - بعرف الوكيل - شاطيء النيل ، بل كأن الشعر ينبغي ان يكون
ثرا ، والا عاد هذيانا وتخليط محموم . ووقف عند قول اسماعيل :

أعطني على الالهام واسمع تعبدي تر الدهر مسحورا بما ألهمت يدي
وفعة أدل على تعصبه من تلك ، اذ فهم منه انه « صور الشعر عملا يدويا
تلهمه اليد ، وهي صورة فيها من مسخ الشعر وبخس قيمته ما فيها » (27)
دون ان يحاول الربط بين الكتابة والشعر .

وتقتضي طبيعة الاشياء الا يكون أنصار الجديد بأقل نعصبا في نظرهم
الى نتاج من يناصرون القديم ، ويمكن لهذه القاعدة ان تضطرد لولا اننا لم
نطلع على نص يؤيد وجهة نظرنا في العصر العباسي ، فاذا صح انه لم يكن
هناك من نص يؤبدنا ، فان في موقف انصار الجديد المدافع ما يعلل ذلك ،
هذا الى ان الخروج على عمود الشعر لم يكن خروجا كليا يمكن ان يبدل من
زاوية النظر الى الشعر القديم . على اننا رأينا انصار الجديد يتسقطون اخطاء

(25) الديوان 3 : 7 .

(26) الديوان 3 : 17 .

(27) نفسه 3 : 17-18 .

القدامى واحالاهم دفاعا عن اخطاء الجديد واحالاته (28) .

أما في عصرنا الحاضر : فلما في موقف العقاد من شوقي مثل على ذلك ، فقد وقف عند بيت شوقي في رثاء مصطفى كامل :

مصر الاسيفة ريبها وصعيدها قبر أبر على عظامك حان

فقال : « مصر أيها القارىء - ولا نخطيء فحسبها القاهرة المعزية فانها مصر بريها وصعيدها - مصر كلها ، ما هي الا قبر واحد . فله در تاعرها يرثي رجلا احيا نهضة بلاده فيجعلها قبرا ، ولاي ضرورة . وليدل على ماذا ؟ لا شيء » (29) وتعصب العقاد ومغالطاته في فهمه البيت - كما اظن - وتوجيهه آياه هذه الوجهة ، واضحان ، والا فيهم يستبدل الشاعر كلمة « مصر » ولماذا لا يفهم العقاد من قوله : « قبر أبر » على انه كناية عن وفائها له جزاء ما أحيا من نهضتها ؟ فاذا صح هذا ، صح معه ان نستغرب سؤال العقاد واجابته : « ليدل على ماذا ؟ لا شيء » . ولنا في موقف حسين مردان من قصيدة الجواهري « اللاجئة في العيد » (30) ، ويوسف نمر دياب من ديوان مصطفى جمال الدين « عيناك واللحن والقديم » (31) أمثلة اخرى في التعصب ، وجنابته على الفهم .

ولنا ان نلاحظ ان ما يهيم الفريقتين من توجيه كل منهما نتاج نظيره وجهه يميلها التعصب ، من اتهام بالسرقة مرة واساءة فهم مرة اخرى هو ان

(28) ينظر الرساطة : 4 - 15 ، ويتنظر رأي المنبى في طائفة من التسعراء الجاهليين في الرسالة الموضحه | 78-85 . ويبدو ان انصار ابي تمام كانوا يسفطون اخطاء القدامى ، يدلنا على ذلك مخاطبة الامدى اياهم في الموارنة 1 : 50 بقوله : « وابو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحد من عدة ابيات يكون فيها مخطئا ومحिला . . . فكيف يكون ما اخذ على التسعراء من الوهم ، وقليل الغلط عدرا لمن لا تحصى معايبه ومواقع الخطأ في شعره ؟ . . . » .

(29) الديوان 2 : 147 .

(30) مقالات في النقد الادبي : 11-42 .

(31) مجلة الف باء ، ع 197 ، ص 5 (24 ايار 1972) ، عساك واللحن

والقديم : 46-47 .

يصل كل منهما الى نفي الشاعرية عن خصمه ، والا فالتقليل من قيمتها ،
وفد رأينا ذلك في موقف أبي سعيد الضرير وابي العميل الاعرابي من أبي
نسام ، إذ أسقطا - كما يقول الأمدي - شعره (32) ، وموقف دعبل منه إذ
سئل عنه فقال : « نلت شعره سرقة ، وثلثه غث ، وثلثه صالح » (33) ،
وبسوق ابن الاعرابي ممن عدد محاسن شعر أبي نواس ، إذ قال : « ان
فيه من الاساءة ما يعني على المحاسن ، وأي الناس اذا تخيرت كلامه لم تجد
له البيت والبيتين ؟ » (34) ، وبما انتهى اليه العوضي الوكيل من رأيي في
شعر محمود حسن اسماعيل بقوله : « ان شعر محمود حسن .. أهون
علينا وعلى الادب من أن نبذل فيه جهدا ، ولكننا نريد تبصرة الناشئة
والشداة في الادب ... » (35) ، وما قرره ذياب من « ان الشعر العربي في
شكله التقليدي قد استنفد امكاناته ، وان من يكتب بهذا الشكل الان
ومن قبل سنوات لا يمكن ان يعطي جديدا ... » (37) .

وعلى أية حال فان مثل هذه الاحكام تستند الى أساس أدبي ، وان
كان هذا الأساس بعيدا عن الموضوعية والهدوء ، ولم يكن الصراع ليستند
الى هذا الأساس في كل احواله ، فقد رأينا المجددين وأنصار القديم يتشبهون
- احيانا - بما هو خارج عن دائرة الادب اتصارا لمذهبهم ، فقد روي عن
أبي تمام انه « دخل ... على اسحاق بن ابراهيم (المصعبي) فأنشده ،
مدحا له ، وجاء اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى اسحاق مسلما عليه ، فلما
استؤذن له قال أبو تمام : حاجتي - ايها الامير - ان تأمر اسحاق ان يستمع
بعض قصائدي فيك ، فلما دخل قال له ذلك ، فجلس وأنشد ، عدة قصائد
فأقبل اسحاق على أبي تمام فقال : انت شاعر مجيد ، محسن ، كثير الاتكاء

(32) ينظر الموازنة 1 : 20 .

(33) اخبار ابي تمام : 244 .

(34) الموشح : 424 .

(35) الديوان 3 : 44 .

(36) ينظر مقالات في النقد الادبي : 14-15 .

(37) مجلة الف باء (العدد السابق) : 48 .

على نفسك . يريد انه يعمل المعاني ... » (38) . وواضح ان ابا تمام يتوسل
تجاه المصعبي في الحصول على رضى الموصللي عن شعره ، لانه يدرك جيدا
ان ادب المجاملة لا يبيح للموصللي ان يطعن بشاعر الامير في مجلسه ، والا
فان الموصللي « شديد العصبية للاوائل كثير الاتباع لهم » (39) ، وكان « لا
بعند يسار » (40) ولا يرضى مذهب أبي نواس ، فيتعصب عليه (41) ، بله
مذهب أبي تمام ، وكان « في كل احواله ينصر الاوائل » (42) ولم تكن
علاقته بابن الأعرابي ، واجراؤه عليه ثلاثمائة دينار في كل سنة (43) غير ذات
دلالة - فيما اظن - على توافق دوقيهما ، وتقارب منزعهما في فهم الشعر
ونفضل القديم منه على المحدث .

واذ يكون أبو تمام يدرك كل ذلك ، بل لعله يدرك ايضا ان الموصللي
لا يطيق سماع شعره ، يكون لطلبه من المصعبي ان يأمر الموصللي بسماعه
مغزى في التشبث بما هو خارج عن دائرة الشعر والادب .

ويتشبت المجددون - في عصرنا الحاضر - بالسياسة وما اليها في جمع
الانصار ، واسكات الخصوم ، واذا كنا لا نود ان نكرر ما اتهم به السياب
من أن « الذي رفعته يوما ما جهة معروفة في العراق » (44) ، وما قيل عن
نرويج هذه الجهة نفسها للبياتي (45) ، لان هذه الامور لا نسمعها - في
الغالب - الا من الخصوم ، فان هذا التشبث قد لاحظته الصافي النجفي على

1 (38) احبار ابي تمام : 221 .

(39) نفسه : 221 .

(40) الاغاني 3 : 155 .

(41) الموسع : 408 .

(42) نفسه : 408 .

(43) ينظر الاغاني 5 : 274 .

(44) جريدة السعبد (العدد الاسبوعي) ع 3876 في 6-7-1957 .

(45) ينظر الادب العربي المعاصر ، الالتزام والالتزام في الادب العربي

الحديث ، السياب : 248 ، وقد دار الدكتور علي جواد الطاهر حول التهمة
اذ تب عن « السياب الظاهره الحيه » في مجلة الاقلام ، ع 9 ، س 8

طائفة من اصحاب الشعر الجديد ممن « أخذوا يخدمون بالشعر مصلحتهم الخاصة حيث بدأوا ينظمون في النواحي التي تجلب اكبر عدد من المصنفين » (46) ، وهو واضح في تقسيم البياتي للادباء العرافيين الى من يسير منهم « في ركاب الرجعية والاستعمار » ومن هم « فئة طيبة المصادر ، حسنة النيات ، ولكنها قلقة حائرة في ما يجب ان تأخذ أو ندع ... » وفي وصفه جماعة الشعر الجديد بانها « الفئة الوحيدة التي بذلت كل سيء وضحت بكل شيء من أجل تغيير الواقع العربي » (47) . وفي قول سامي مهدي عن مجموعة عبدالخالق فريد (أحزان البنفسج) : « ليس لهذه المجموعة أية أهية صدرت أم لم تصدر . ولعل صدورها في هذه الفترة بالذات قد جعل منها مفارقة طريفة ذلك لان عبدالخالق ما زال ينتقل - ولو في الحلم - من حسناء الى حسناء ، بينما الناس على الجبهة يحملون السلاح » (48) . واذا كان سامي لم يصرح بما أثارته هذه المفارقة من دلالة

■ :
(1973) ، قضايا وادباء : 102 ، يقول اسنادنا الطاهر : « كان الساني بعيدا عن ان يدرك السياب في عالم الفن والوطنية والشهرة . ولعله كان أوعى لذلك من غيره ، لان هذا (الغير) لم يكن ليعبر المسألة أهمية ولم يكن ما يشغل نال عبدالوهاب من الظلم يشغل باله . واذا كان الشاعر الطالع أوعى بالحال : كان أوعى بكل شيء من وسائل وغايات ، ويصدر العدد التالي من الثقافة الجديدة في كانون الاول (1953) وتتقدم فه كلمة للبياتي عن (بابلو نبرودا) . . . وتقف (الثقافة) مؤقتا وتستأنف الصدور في نيسان 1954 ، وتجد فيها البياتي في قصيدة (المذبحة) وفيها علامات الانماء كلها ، وقد تكون سخلا ، ولكنها علامات على أي حال » وقد تابع يوسف الصائغ هذه المسألة متابعة دقيقة فانبتها على البياتي في حركة الشعر الحر في العراق : 174-182 .

(46) جريدة البلد ، ع 582 (25 نيسان 1966) ، ذكريات وملحات وصور من حياة وشعر الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي ، حارث طه الراوي : 6 .
(47) مجلة الاديب ، ج 3 ، س 13 (آذار 1954) ، البياتي والشعر العربي الحديث (مقابلة) : 72 .
(48) الف باء ، احزان البنفسج ، ع 1 ، س 1 (22 مارس 1968) :

.47

في ذهنه ، وهي - في أيسر وجوهها - تشير الى نخلف أنصار القديم عن القضايا الوطنية والقومية ، فان في أنصار الجديد من لم يجد حرجا في أن يقول : « ان عداء الرجعية لحركة التجديد في القيم الادبية - وهو جزء لا يتجزأ من عدائها لحركة التجديد في القيم الاجتماعية - لا بد وان (كذا) يربط بالنالي بالامبرالية وبالقوى التي ارتضت لنفسها ان تكون آله طيعة بيدها » (49) ، ويبلغ توجيه مثل هذه الاتهامات من النسيوع والكثرة بحيث صار من يقف بوجه نظرف المجددين يحتاط لنفسه مقدما بمصادرة هذه التهم قبل اطلاقها ، كأن يقول : « أقول هذا وأنا اعلم ان سوف يصنني بالبدعوة ، وعصر الانحطاط ... » (50) أو : « نعم ، فاني سأتهم بالرجعية الادبية - والسلفية الشعرية ، وعدم التجديد والتجاوز وما اليهما ... » (51) . ويهس - من هذا جسيما - أن نلاحظ ان قسوة هذه التهم تنع كثيرا من الادباء أن بدلوا بأرائهم احراارا فيما يذهبون اليه ، وفيما يقبلون أو يرفضون *

ولم يكن لانصار القديم ان يستغنوا عن مثل هذه الاساليب - وهم يرون دائرة التجديد نسح ، وجذوره تمتد - فقد حاولوا أن يثيروا بوجه أنصار الجديد أموراً شتى لا علاقة لها بتسعر أو أدب ، وكأنهم يقصدون من وراء ذلك الى تأليب الجمهور ضدهم ، فقد روي عن أبي عمرو الشيباني انه قال : « لو لا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث ، لاحتججنا بشعره ... » (52) ، وكان شعر الجاهليين والامويين خال من الرفث والمجون * وادعى آخرون

(49) محلة الكلمة ، مقدمة عن الشعر واتنتا عشرة قصيدة .. بقلم فاضل عباس هادي ع 6 ، س 2 (تموز 1930) : 36 .
(50) مجلة الكلمة ، قصيده النثر ليست هي الشكل الاحدث بقلم طراد الكبيسي ، ع 5 ، س 5 (ايلول 1973) : 12-13 .
(51) نفسه ، لا يوجد شيء اسمه قصيدة نثر بقلم خالد علي مصطفى : 20 ، وكان ا. ع وهو يكتب عن الشعر الجديد في الرسالة ، ع 556 ، س 12 (28 فبراير 1944) : 198 ، يخشى ان يرمى بالرجعية .
(52) طبقات الشعراء : 202 .

على أبي تمام « الكفر ، بل حققوه ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره ، وتقبيح حسنه ... » (53) ، واتهم آخرون المتنبي بالتهمة نفسها ليسقطوا شعره (54) ، وحاول العوضي الوكيل ان يلمح الى هذه الناحية في شعر محمود حسن اسماعيل حين نعى عليه « ما ران على مشاعره من أسداف أرته فاروق مثل الرحمن الرحيم ، والعياذ بالله ... » (55) . واستعمل انصار القديم في السودان في صراعهم مع انصار الجديد « أسلحة الدين واللغة والعروبة والوطنية » (56) وضرب الوكيل في صفحات « الديوان » على نعمة مديح محمود حسن اسماعيل للملك فاروق ، فلم يتحدث في كتابه كله الا عن ديوان واحد للناعر هو : (ديوان الملك) (57) . ولا بد ان يكون للوكيل - وهو ينش ماضي الشاعر ، وينشره على الناس عام 1968 بعد مرور أكثر من عشرين سنة على صدوره - هدف خاص ، هو غير النقد الادبي ، والا لكان في امكانه أن يبحث القضايا النقدية التي أثارها من خلال دواوين الشاعر الاخرى .

وكرر صالح جودت أكثر من مرة اتهامه للشعر الجديد بأنه « دعوة الى الشيوعية » (58) ، هذه التهمة التي شاعت بين أنصار القديم شيوعا (59) هيا لسعد دعبيس ان يقول : « ومن العبث أن يظن بعض الناس ان ضراوة المعركة الحالية بين النقاد المتعصبين للشعر الحر ومن يخالفونهم في الرأي مرجعها الى

(53) اخبار ابي تمام : 172 .

(54) الوساطة : 64 .

(55) الديوان 3 : 10 .

(56) التسعر الحديث في السودان : 184 ، وتنظر مجلة الاديب ، بهضة

التسعر في السودان بقلم احسان عباس ، ح 1 ، س 13 (يناير 1954) :

42 .

(57) الديوان 3 : 8-43 .

(58) ادباء ومواقف ، رجاء النقاش : 146 .

(59) تنظر المذكرة التي رفعتها لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية

الفنون والاداب في مصر سنة 1964 في قضايا ومواقف : 9-13 فهي نموذجية

في استعداد السلطة على الشعر الجديد ، وتوجيه الاتهامات له .

الصراع بين القديم والجديد ، فالواقع ان ضراوة المعركة مرجعها في الغالب الى السياسة والطائفية التسعوية « (60) ، لانه يشك في أن يكون « احتضان ... الفريق المنحرف من اليساريين والتسعويين لحركة الشعر الحر خالصا لوجه الفن ، والقيم الجمالية » (61) .

واذ يكون الصراع لجاجة وتهما متبادلة ونسبتا بوسائل أبعد ما تكون عن الادب يكون من مخلق هذا الصراع الكذب والافتئات وصولا الى اسكات الفريق الاخر واسقاط ما في يديه من حجة ، فقد روى احمد بن يحيى بن علي قال : « حدثني ابي قال : كان اسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ، ويضع منه ويذكر ان كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا ، فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول :

اذا كنت في كل الامور معانبا صديقك ، لم تلق الذي لا نعاتبه
... فقال لي اسحاق : اخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى ان شبيل ابن عزرة الضبي انسده هذه الايات للمتلمس ، وكان عالما بشعره لانهما جميعا من بني ضبيعة ، فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة انه قال لبشار : ان شبيلاً أخبره انها للمتلمس ، فقال : كذب والله شبيل ، هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هيرة فأعطاني عليه اربعين الفا » (62) ، واظن ان الاختلاق في قصة شبيل واضح ، فالقصد منه سلب بشار محاسن شعره ، وقد تنبسه الاصهاني الى ذلك فعقب على الخبر بقوله : « وقد صدق بشار » (63) . واذا كان لاحد ان يفسر الخبر بانه تعصب من شبيل لابن قبيلته فان تشبث الموصلي به مما يؤيدنا فيما نريد له من دلالة ، على اننا نستبعد ان يكون شبيل قد ادعاها للمتلمس . وقد ادعى دعبل ان ابا تمام في قصيدته :

كذا فلبجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(60) حوار مع الشعر الحر : 4 .

(61) نفسه : 5 .

(62) الاغانى ، 3 : 196-197 .

(63) نفسه | 3 : 197 .

قد سرق قصيدة مكنف بن أبي سلمى ، ورد الحسن بن وهب ان ليس في قصيدة مكنف « شيء مما في قصيدة أبي تمام ، ولكن دعبلًا خلط القصيدتين ، اذ كاتتا في وزن واحد ، وكاتتا مرثيتين ، ليكذب على أبي تمام » (64) ، فقد كان دعبل - كما يقول علي بن الجهم - « يكذب على أبي تمام ، وبضع عليه الاخبار » (65) ، وروي عن ابن أبي طاهر انه اختلق بيتا نسيه الى الأخطل ليتهم أبا تمام بسرقة (66) ، وادعى حجة قال: « حدثني ميمون ابن هارون قال : مر أبو تمام بسخت يقول لآخر : جئتك أمس فاحتجبت عني ، فقال له : السماء اذا احتجبت بالغيمة يرجى خيرها . فتبينت في وجه أبي تمام انه قد أخذ المعنى ، ليضمنه في شعره ، فما لبثنا الا اياما حتى اشددت قوله :

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ان السماء تُرجى حين تحتجب » (67)
 وعلى أن اختزان الشاعر ما يمر في حياته وما يشاهده وما يسمعه عدة مخيلته ، الا ان نسبة هذا القول الى مختئين مما يفضح التحامل في الرواية على أبي تمام ، فضلا عن ان الخبر كله يصور أبا تمام وكأن عدته في الشعر ان يصغي الى أقاويل الناس وما يدور بينهم من أحاديث ليضمنها في شعره ، وبعبارة اخرى فان الخبر يريد ان يوحي لنا ان شعر أبي تمام كله سرقة ، ولكن من سرقاته ما لا يهتدى اليه لانه احاديث يومية عابرة .

ولم يكن انصار الجديد ليقموا من هذا الافتيات موقف الصمت ، وانما انجروا اليه فافتأوا وكذبوا دفاعا عن جديدهم ، فقد روي عن الحسن ابن وهب انه عاتب دعبلًا في نسبته قصيدة أبي تمام : (كذا فليجل الخطب ...) الى مكنف قائلا له : « فهبه سرق هذه القصيدة كلها ، وقبلنا قولك فيه ، أسرق شعره كله ... ؟ » ، فأنزل دعبل واستحيا ، فقال له

(64) الاغانى 16 : 396 :

(65) اخبار أبي تمام : 199-201 ، وينظر الاغانى 23 : 115 .

(66) اخبار أبي تمام : 60 .

(67) الرسالة الموضحة : 157 .

الحسن : الندم نوبه ، وهذا الرجل فد توفي .. وفد مات الان فحسبك من ذكره . فقال له : اصدقك ما كان بيني وبينه شيء قط الا اني سأله ان ينزل لي عن شيء استحسنته من شعره فبخل عليّ به ، واما الان فأمسك عن ذكره ، فجعل الحسن يضحك من قوله واعترافه بما اعترف « (68) واذا كنا لا نرى عبارا في احتمال ان يعانِب ابن وهب دعبلا فاننا لا نصدق اعتراف دعبل ، ونحسبه ما اختلقه الحسن بن وهب أو أحد رجال الاسناد في الرواية : الحسن بن علي ، أو محمد بن موسى ، لان مثل هذا الاعتراف لا يصدر عن أشد الناس سذاجة ، واكثرهم غباوة ، واذا كان لاحد ان يعلل هذا الاعتراف ، بطع دعبل ما لدى الحسن بن وهب ، فان ما يمتعنا من قبول ذلك هو ما نستشفه من معرفة في خلقه يدلنا عليها انه كثير الخصومة (69) .

واذا كان لهذا الخير ان يختلف في تكذيبه فلا أظن ان احدا يختلف في تكذيب ما رواه الصولي ، اذ قال : « حدني احمد بن موسى ، قال : اخبرني أبو العمر الانصاري ، عن عمر بن أبي قتيبة ، قال : رأيت أبا تمام في النوم فقلت : لم ابتدأت بقولك : (كذا فليجل الخطب وليفدح الامر) فقال لي : ترك الناس يتا قبل هذا ، انما قلت :

حرام لعين ان يجف لها شفر وان نطعم التغميض ما أمتع الدهر

كذا فليجل الخطب » (70)

والا فانه من المضحك ان نضيف البيت الى ديوان أبي تمام اعتمادا على منام لا ندرى اذا كان يصححه معبرو الرؤيا ام لا ؟ أما الذي اضطر اصحاب أبي تمام الى اختلاق هذا المنام فهو ما لقيته القصيدة بصورة عامة من اهتمام

(68) الاغانى 23 : 115-116 ، ووردت الرواية بشكل آخر فيه

16 : 398 .

(69) دعبل بن علي الخراعى شاعر آل البيت : 23 .

(70) اخبار ابي تمام : 264-265 ، وينظر المونسج : 467 .

يدلنا عليه ادعاء دعبل أنها مسروقة (71) وما لقيه مطلعها بصورة خاصة ، فقد قيل انه « يلزم ابا تمام ان يأتي بمحمد بن حميد مقتولا ثم يقول : كذا فليجل الخطب ... » (72) ، اذ يبدو ان من اختلق الرواية ، ونحل ابا تمام بيتا لم يقله ، قد عجز عن ان يقنع مناظره ، بل قل مناظره بصحة مطلع القصيدة ، فاضاف اليها مطالعا من عنكته .

وعلى أن تتبع الافتيات والكذب في العصر الحاضر من الصعوبة بـمكان ، لانها مما ينسج في الاحاديث الشفوية ، والمجالس الخاصة ، الا اتنا - مع ذلك - يمكن ان نلمح ضجر العقاد من الكذب عليه في قوله عن يخالفونه في رأيه بشوقي : انهم « لا يزيدون على الصياح والاستهوال ، ثم الصياح والاستهوال ... يا خلق الله تعالوا فانظروا من يقول : ان شوقيا لم يكن بشاعر عظيم . وهذا كل ما يقال ، وهذا كل ما يعاد ، ولا مناقشة لرأي ، ولا استشهاد بمثال ، ومنهم من يقولني ما لم أقل ، ويخرج صارخا في خلق الله ... » (73) .

ويمكننا ان نستشهد على الافتيات والكذب بقول العوضي الوكيل تعليقا على بيت محمود حسن اسماعيل من قصيدة يمدح بها الوزير سعد اللبان :

فسلي ضفاف السين غرس جهوده ينيك محراب الهدى وإمامته
اذ قال الوكيل : « فهو هنا أخذ بالرأي المرجوح في جواب الامر ... والرأي الراجح ان جزم المضارع لازم في جواب الامر ... قال الراوى : ان سعد اللبان تملل حينما سمع هذا المدح ، اذ واجه الشاعر بهذا الجهل النحوي العميق ، ذلك ان سعد اللبان ، رحمه الله ، منخرج في دار العلوم ، ومن

(71) ينظر اخبار ابي تمام : 199-201 .

(72) الموشح : 466-467 .

(73) مجلة الرسالة ، ع 361 ، س 8 (3 يونيه 1940) ، الخصومة

الادبية في الشرق : 923 .

أبناءها الاذكياء العلماء ، فتجهّم وجهه ، وانصرف الى الحديث في حفل تكريمه مع احد جيرانه دون الاستماع لهذا اللغو أو هذا الجهل ...» (74) وإذا كنا نصدق - بعد لأي - ان اللبان تملسل في مجلسه ، فاتنا لا نصدق انه « تجهّم وجهه ، وانصرف الى الحديث ... مع احد جيرانه ... » لان أدب المجاملة - في الاقل - وما للمجالس من آداب في حسن الاصغاء يمنعانه من ذلك ، فضلا عن ان اللبان وهو من ابناء دار العلوم « الاذكياء العلماء » يعرف ان الضرورة تبيح للشاعر ان يأخذ برأي مرجوح .

ولنا ان نلاحظ ان الكذب انما يشهر سلاحا لدى الفريقين ، لان الخبر الغريب المكذوب مما يشيع لدى الابعدين قبل الاقربين حبا بغرابته دون تبين مصدره ، كما هي طبيعة الناس في تناقل الاخبار ، وتداولها في مجالسهم الخاصة .

ويتشبث كلا الفريقين بالضعيف من نتاج نظيره ، واذ يتم له هذا نراه يلجأ الى التشهير به مرة ، ولو عن طريق رصد الجوائز (75) ، والى السخرية منه مرة ثانية ، والسخرية - في مثل هذا المقام - اكثر شيوعا ، وهي في نقد القدامى مثل ما هي عليه في نقد المعاصرين (76) .

(74) الديوان 3 : 42 .

(75) تنظر الرسالة ، ع 568 ، س 12 (22 مايو 1944) ، جائزه ادبية ، حبيب زحلاوي : 439 ، والمصدر نفسه ايضا ع 570 ، س 12 (5 يونيو 1944) ، جائزة الزحلاوي : 479 ، وما حاوله (أ.ع) في العدد نفسه من حشر قصيدة محمود حسن اسماعيل (من خريف الربيع) ضمن هذا السياق .

(76) ينظر - على سبيل المثال - الموازنة 1 : 263-264 ، 443 ، 517 ، والكشف عن مساويء المتنبي : 45 ، 47 ، 48-49 ، 51 ، 68-69 ، والرسالة الموضحة : 104 ، والعمدة 1 : 302 ، ومجلة الرسالة ع 617 ، س 13 (30 أبريل 1945) ، الى الاستاذ حبيب زحلاوي ، شريف الفبيج : 459-460 ، والمصدر نفسه ع 540 ، س 11 (8 نوفمبر 1943) ، الشعر المرسل وشعراؤنا الذين حاولوه ، دريني خشبة : 890 ، والعصبة ع 8 ، 9 ، س 12 (تشرين الاول والثاني 1952) ، جرب الادب ، يوسف اسعد غانم : 701 ، وسخرية العقاد من شوقي في « الديوان » مما لا نجد حاجة للاستشهاد عليها ، فهي تكاد تكون شاخصة في اغلب صفحاته .

واد يبلغ الصراع هذا الدرك من الاسفاف واللجاجة ، فانه يمكن ان يؤدي الى عداوة شخصية تصحب معها كل ما سنصحبه العداوة من انتقاص قييه المعادى بذكر مسائل ثانوية لا علاقة لها بالشعر من قريب أو بعيد (77) ، وبالهجاء (78) ، وما تستصحبه من فطبيعة (79) ربما تؤدي الى كيد الخصم بوسائل شتى لا نستطيع الوقوف عليها ، ولكن يمكن ان يدلنا على شيء منها ما روى عن اسحاق الموصلي من انه حين اختلف مع الاصمعي ، وكان الاصمعي يرى فيه محدنا رغم ما رأينا من تعصبه على المحدثين : « هجاء .. وثلبه وكشف للرشييد معاييه ، واخبره بقلّة شكره ، وبخله ، وضعة نفسه ، وان الصنيعة لا تزكو عنده ، ووصف له أبا عبيدة معمر ابن المثنى بالثقة والصدق والساحة والعلم ، وفعل مثل ذلك للفضل ابن الربيع . واستعان به حتى وضع مرتبة الاصمعي واسقطه عندهم ، واقفدوا الى ابي عبيدة من استقدمه » (80) . ويمكن ان يدلنا على شيء منها ايضا ما حسبه المازني - وقد نقله وزير المعارف حنمت باشا من مدرسة الى اخرى أقل منها منزلة - من أن « نقده لحافظ ابراهيم صفي وزير المعارف وجليسه قد كان سبب هذا النقل الاتقامي ... » (81) وفي مثل هذه الحال ينسى فريقا الصراع ما اختصما من أجله ويستحيل الامر لديهما قضية شخصية .

ان اخلاق فربقي الصراع لا تدخل في الفن الشعري ، وان من يخوضون فيها لم يهتموا بالقضية الاساسية المصطرع فيها ، واذا كان من يتأمل تلك

(77) ينظر اخبار ابي تمام : 246 .

(78) ينظر نفسه . 242 ، ففيه بعض ما هجى به أبو تمام ، وهجاء دعبل لابي تمام في الشعر والتعراء 2 : 851 ، وهجاء احمد عبدالمعطي حجازي للعقاد في اوراس : 49-50 .

(79) دبت الفطيعه بن ابي شادى والعقاد بسبب قيام جماعة ابولو ، ينظر معارك العقاد الادبية : 167-168 ، وقد مرت بنا فطيعه دعبل وابي تمام وتهاجيهما ، وروى لي الجعفري ان الفطيعه دبت بينه وبين الشيخ كاظم السو.اني - وهو من اسد انصار القديم في الحنف - بسبب الصراع .

(80) الاغابي 5 : 386 .

(81) محاضرات عن ابراهيم المازني : 19 .

الحال ، تبدو له وكأن القضية قد ضاعت في خضمها ، فان الامر لم يكن كذلك ، وان هذه القضية تتطور عبر الصراع ، وتنضج ، حتى تبدو أمرا مسسا به . وهذا ما سنعرض له في الفصل التالي .

الفصل السادس

قضايا الصراع الفنية

قضايا الصراع الفنية

وتقصد بقضايا الصراع ما يخوض فيه فريقاه من مسائل في الشعر من حيث هو فن له قواعد وأصول مقررة تعارف عليها النقاد في عصر من العصور ، ولا يهمننا ان يكون كثير من هذه الاصول قد فقد اليوم قدسيته وجلاله ، وان يكون الصراع فيه - لدى المعتدلين الذين يعون روح العصر - ضربا من التخلف ، والبحث العقيم الذي لا طائل وراءه .

فضرورة وجود القافية الموحدة في القصيد ، على سبيل المثال ، أمر مقرر ، مفروغ منه خلال القرن الاول للهجرة ، وما سبقه ، ولكنه لم يعد مقفرا بظهور المزدوج والمسطط والموشح ، وضرورة وجودها موحدة وغير موحدة راسخة في الاذهان خلال عصر النهضة ولكنها لم تعد كذلك بعد شيوع الشعر الحر ، وهكذا .

ومن هذا المنطلق ، وأعني به بحث هذه المسائل محددة باطارها الزمني ، نحاول هنا ان نعرض الى قضايا الصراع الفنية المشتركة بين العصور ، وهي في رأينا ، قضية واحدة تفرعت عنها قضايا اخرى بدت وكأنها قائمة بذواتها . اذ ليس يخذعنا ان رأينا انصار القديم في « تاريخ الصراع » يؤاخذون الشعر الجديد بأنه ملحون ، وخارج عن طريقة العرب ، ومحيل ، واستعاراته قبيحة ، وغامض ، مما يوحي بأن كل مؤاخضة من هاتيك المؤاخذات قادرة على أن تستقل بنفسها سببا ونتيجة ، ولم يكن الامر كذلك ولن يكون . فمسألة اللحن قضية ذات علاقة بتأثير العصر في اللغة ، والخروج

عن طريقة العرب نتيجة من نتائج استعمال مجازات جديدة نسير عصرا أدبياً ما
مما سبفه من عصور ، وطبيعي - بعد هذا - ان يترتب على البحث عن تلك
المجازات الجديدة . فبح الاستعارة ، والاحالة ، والغموض .

وإذن ففضية الصراع الفنية الأساسية هي : اللغة والعلاقات اللغوية
المجازية وما يترتب عليها .

ومن يبحث في فضية اللغة فلا بد له ان يلاحظ أن « حرص أهل السنة
والمعتزلة وغيرهم من المتكلمين على تدعيم تأويلاتهم للمجاز القرآني بالرجوع
إلى لغة العرب والسعر القديم ، قد ساعد على تدعيم فكرة قداسة اللغة
نفسها ، واحترام نقاليتها المجازية إلى أقصى درجة ... » (1) مما يخلق
دوفا لغويا محافظا يزيد في محافظته ان اللغة الجاهلية - كما رأينا - ارتبطت
بطائفة من علوم العربية ارتباطا جعل « غاية رواة الأشعار .. كل شعر فيه
غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ... وغاية رواة الأخبار ...
كل شعر فيه الشاهد والمثل » (2) .

ومعنى ذلك ان هذا الارتباط قد اخرج الشعر عن جوهره فنا ، وأضاف
إليه مهسات ليست من وكده ، ولا هي مما يضيف إليه قيمة فنية حقيقية ،
فقد ترتب على ذوق الرواة أن صار الاغراب في اللغة - وهو سمة طبيعية من
سمات الشعر الجاهلي والاموي - وكأنه غاية في ذاته (3) مما يغري قرا من
الشعراء باحتذاء الاوائل ، ويسوقهم إلى تقليدهم ، طمعا برضاهم مرة ،

(1) الصور الفنية في التراث النفاذي والبلاغي : 172 .

(2) البيان والتبيين 4 : 24 .

(3) فال الخفاجي في سر الفصاحة : 61 وهو يتحدث عن الاغراب :
« وقد رأيت انا جماعة يتعمدون هذا ، فعلت لهم : ان سررتكم بمعرفتكم
وحشي اللغة فيجب ان تفتنوا بسوء حظكم من ابلاغة » وموقف الخفاجي
طبيعي ، لانه ابن القرن الخامس ، اما ولع بعض معاصريه بالغريب فيمكن
ان يدلنا على مدى تمكن مفهوم الرواة للغة الشعر من نفوس بعض الشعراء .

ونعالمًا عليهم مرذ أخرى (4) ، فقد روي عن اسحاق الموصلي - وهو محدث - انه « كان ... يقول الشعر على السن الاعراب ، وينشده للاعراب ، وكان يعايب بذلك اصحابه ، ويفرب عليهم به » (5) ، وروي عنه ايضا انه « تتبّه بذى الرمة ، وقال على لسانه شعرا ، وغنى فيه ، ونسبه اليه ، فلم يشكك أحد سعه أنه له » (6) .

وبخيل الينا ان موقف الرواة خلق جوا عاما يطالب الشاعر بالغريب من اللغة ، بدلنا على ذلك ما روي عن اسحاق بن ثابت العطار من انه قال : « كنا كثيرا ما نقول للسيد (الحميري) : ما لك لا نستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ ... » (7) . فاذا ادركنا ان شيوع شعر الشاعر وناقله مرهونان برضى الرواة ، أدركنا سر بحث الشعراء عن رضاهم ، واهتمامهم به ، فمن يعرض عن الغريب ينهم بانه لا علم له باللغة (8) . وتلك تهمة تقتضي الرواة ان يعرضوا عن شعره .

ولم يقدر لهذه الحال ان تستمر ، فقد كان في تعصب الرواة على الشعراء المحدثين ما يقود نقرا من الشعراء الى التمرد على مفهوم لغة الشعر لديهم ، فيصفه بانه « عي ... وتكلف » (9) ويكون من نتائج ذلك ان هذا النمر - وقد يئس من استشهاد الرواة بشعره - لم يعد ينظر الى اللغة ، كما يراد منه ، كيانا مقدسا مستقلا يطلب لذاته وانما هي أداة من أدوات التوليد .

ولا بد للتوليد في الشعر ، ولاسيما ما يتخذ البديع مذهبا منه ، ان

(4) قال ابن رسيق في العمدة 2 : 252 « وكذلك ابو الطيب كان ياتي بالمستغرب ليدل على معرفته » .
(5) الاغانى 5 : 320 .
(6) نفسه 5 : 390 .
(7) نفسه 7 : 247-248 ، وينظر الصناعتين : 67 .
(8) ينظر راي الاصمعي بمروان بن ابي حفصة في الموشح : 391 .
(9) الصناعتين : 67 .

يقتضي في جانب من جوانبه الشعراء لغة نخرج قليلا او كثيرا عنى ما يريد
النقاد واللغويون لها من فصاحة ، فقد أخذوا على أبي تمام قوله :

جلّيت ، والموت مبد حر صفحته وقد تفرعن في أفعاله الاجل

فقالوا عن « تفرعن » انه « معنى في غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ
العامية » (10) ، فكان لهذا الموقف ان ينبه الازهان الى ما بين الصناعة وما
يعتور اللغة ، من صلة جعلت المرزوقي يربط بين الطبع المهذب بالرواية
وحلاوة اللفظ (11) . وكان له أن يُنضج بمرور الزمن ، مفهومين في نقد
اللغة ، أولهما : ان اللفظة لا يصح لها الحكم بالجودة والرداءة ، فهي
« تروفك ، وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في
موضع اخر ... » (12) . وثانيهما ان اللفظة لا يمكن تقويمها مجردة دون
النظر الى ما تؤديه من معنى ، مما جعل النقاد ينقلون نظرياتهم الى ميدان
يُفترض فيه ان يُعنى بطاقة اللغة الايحائية في القصيدة ، ولكن هذا لم يحدث
- مع الاسف - وظل البحث في جانب من جوانب هذا الميدان وكأن الغرض
منه تنبيه الشعراء الى عدم جواز الاخذ بدلالات الالفاظ في عصرهم ،
ووجوب اخذ دلالاتها من الشعر القديم ، فقد اخذ الامدي على أبي تمام
قوله في وصف الفرس :

ما مقرب يختال في أشطانه ملاّن من صلف به وتلهوق

اذ قال : « ملاّن من صلف به يريد : التيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في

(10) الموازنة 1 : 227 ، وتنظر مؤاخذه الخفاجي عليه وعلى المنبى في سر

الفصاحة : 63-65 .

(11) ينظر شرح ديوان الحماسة . 1 : 12 .

(12) دلائل الاعجاز : 33 ، وينظر سر الفصاحة : 85 فعلى الرغم من

اهتمام الخفاجي الكبير بفصاحة اللفظة المفردة وتعداده شروطها فقد قال :

« ومع هذا البيان كله فالفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع

المختار . . » وينظر المثل السائر 1 : 210 فرغم اهتمام ابن الاثير ايضا

باختيار اللفظة المفردة فقد رأى ضرورة « نظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها

لئلا يجيء الكلام قلقتا فافرا عن مواضعه » .

هذه اللفظة ، فاما العرب فانها لا تستعملها على هذا المعنى ، وانما تقول :
قد صلفت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده .. والصلف الذي لا خير
عنده ... فهذا معنى الصلف في كلامهم ، وعلى هذا ذم أبو تمام الفرس
من حيث اراد ان يمدحه « (13) وظل جانب اخر من بحث ذلك الميدان يقوم
على المعاضلة بين اللفظ والمعنى ، وكأنهما فضيتان منفصلتان ، يتعصب فريق
فيه للفظ ، واخر للمعنى (14) .

واذا كان اصحاب البديع مضطرين الى استعمال العامي من اللغة مثل
اصطرارهم الى استعمال غريبها ووحشيها في سبيل عقد مطابقة او تجنيس ،
فان طائفة من الشعراء المطبوعين اولعوا باستعمال الفاظ يراها العارفون
بنفد الشعر وتسميزه سوقية ، مما يدلنا على ان العامة ظهرت - في المجتمع
العباسي - طبقة لها شأنها ، واذ يكون « أبرز صفات العامة الجهل
والفقر » (15) . وتكون اصولهم البشرية « متعددة ، فهم اخلاط من العرب ،
والفرس ، والترک ، والديلم ، والنبط ... » (16) مما يترتب عليه - في
الاقل - جهل بالفخم من اللغة ، فانه يتهدى لنا ، حينذاك ، ان نفهم ولع اولئك
الشعراء ، لاسيما في الاغراض غير التقليدية ، بالسهل المتداول من الالفاظ ،
حتى ان سلكاً الخاسر ، حين يعيب ابا العتاهية بان الفاظ بعض قصائده
سوقية ، نرى ابا العتاهية يجيبه : « والله ما يرغبني فيها الا الذي زهدك
فيها » (17) .

(13) الموازنة 1 : 234 .

(14) من انصار اللفظ الجاحظ في البيان والتبيين 1 : 75-76 ،
والعسكري في الصناعتين : 63-64 ، ومن انصار المعنى ابن جني في الخصائص
1 : 215-221 ، وعبدالفاهر الجرجاني في اسرار البلاغة : 8 ، واضطرب
ابن الاسر فنصر المعنى مرة في المثل السائر 2 : 69 ، وعدل بنه وبين اللفظ
مرة اخرى في 2 : 21 .

(15) (16) العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري : 15 ، 17 ، وقد
استند الباحث في اطلاق صفة الجهل عليهم الى ابن دريد ، وهو من علماء
القرن الثالث الذين امتدت حياتهم الى اوائل القرن الرابع اذ توفي سنة
321 هـ .

(17) الاغانى 4 : 95 .

ومال الذوق التقليدي نفسه في القرن الثالث الى سهولة اللغة ، فقد روي عن البحري انه قال : « كنت أمدح المتوكل مقوّمًا لفظي ، غيرَ مرسلٍ نفسي ، فقال لي الفتح - وكان والله ، ما علمت ، قويّ الادب ، حسن المعرفة بالشعر - : لس بك حاجة في مدح أمير المؤمنين الى مثل هذا ، ليس كلامك حتى يفهم فانه بلد ما يفهم ، فعلمت انه نصحني » (18) .

وفي هذا ما يفسر لنا جانبًا من جوانب رواج شعر أبي العبر الهاشمي ، وأبي العنيس الصيمري - وهو شعر أقرب الى هلهلة النسيج ، والعامي من الالفاظ - في بلاط المتوكل نفسه (19) .

ومها يكن من أمر ، فان اجتهاد الشعراء في قرب لغة الشعر من حياتهم ، سواء أكان هؤلاء الشعراء من المطبوعين أم من أصحاب البديع ، ظل اجتهادا غير معترف به ، وظل النقاد يرون انه يجب ان يكون « للشعراء الفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولا ان يستعمل غيرها » (20) محاولين التوفيق بين اختيار هذه اللغة وافهام العامة ، توفيقا يميل باللغة الى السماحة والسهولة ، والرشاقة واللفظ ، بحيث ترتفع عن السوقي الساقط ، وتنحط عن الغريب الوحشي (21) .

واذ يقوم مذهب البديع - فيما يقوم - على الاستعارة والتشخيص ، فقد لفت نظر النقاد الذين يقوم تصورهم للغة الشعرية « على تقديس أوضاع اللغة القديمة التي جاء القرآن معبرا عن الايمان بأفضل أساليبها » (22) ، أقول : لفت نظرهم خروج أبي تمام على ما يشترطون من قرب بين المستعار والمستعار له ، خروجا أراه ان « للدهر أخذعا ، ويذا تقطع من الزند ، وكأنه يصرع وجعله يشرق بالكرام ، ويفكر ويتسم ، وان الايام

(18) اخبار البحري : 86-87 .

(19) ينظر اسعار اولاد الخلفاء 323-325 .

(20) العمدة 1 : 107 .

(21) ينظر الوساطة : 24 .

(22) الصورة الفنية : 173 .

بون له ، والرمز أبلق ، وجعل للسح يدا ، ولقصائده مزامير . . . وجعل
المحد ما يجور عليه الخرف ، وان له جسدا وكبدا ، وجعل لصروف النوى
د . . . وللامن فرسا . . . » (23) ، فكان خلاصة رأيهم فيه انه « يريد البديع
فخرج الى منحاز » (24) .

ولم يسلم أبو الطيب المنبني من هذه النهمة ، فقد أخذ عليه نقاده ما
أخذوا على أبي سام من بعد الاستعارة ، فعابوا عليه انه « جعل للطيب ،
والبيض . واليلب فلوبا ، وللزمان فؤادا » (25) .

ويلاحظ على هؤلاء النقاد ، انهم لم ينظروا الى هذه الاستعارات مرتبطة
بجربه الشاعر . وبعدها النفسي ، وعلاقة هذا البعد بمخيلته ، وانما نظروا
اليها وفي اذهانهم مقياس استقي من الشعر العربي في عصره الجاهلي
والاموي . ومن القرآن الكريم ، ينبغي ان يخضع له كل شعر ، خلاصته ان
الاستعارة مجرد صناعة « توجب بلاغة بيان بالحقيقة غير نائبة منابها ، لان
الحقيقة لو قام مقامها لكانت الحقيقة اولى بها من الاستعارة » (26) .

ومعنى هذا المقياس أن الاستعارة - في الاساس - حلية يلجأ اليها
الشاعر في تجويد شعره ، وليست هي من عناصره الاولى التي يقوم عليها
الخيال الذي لا يكون الشعر بدونه شعرا . ومعنى ذلك ايضا انه لا ينبغي
للتعريف ان يعدو النثر الا بمقدار ما يمليه الوزن وبقضيته الثقافية من طرائق
في الاداء اهدى اليها الاقدمون ، ولا يجوز للمتأخرين تجاوزها الا بمقدار
ما ينقاس عليها .

واذ يكون النثر مما يخضع للعقل في فهمه ، وتحديد معانيه ، فقد اخذ
انصار القديم ، من هذا المنطلق ، على المحدثين بصورة عامة ، وعلى أبي

(23) الموازنة 1 : 249-250 .

(24) الموشح : 465 .

(25) الوساطة : 429 .

(26) الرسالة الموضحة : 92 .

تمام ، بصورة خاصة ، انهم يُحيلون في شعرهم ، ومعنى الاحالة عندهم - كما يبدو لنا - ان يكون المعنى مما لا يستطيع العقل ان يحيط به فيقبله . وهي عندهم رتبة من رتب الغلو⁽²⁷⁾ ، يفرق بينها وبينه ان الغلو يُخرَجُ بـ « كاد ، ويكاد » على حين لا تخرج الاحالة بهما ، وهم يضربون للاحالة مثلا بقول بكر بن النطاح :

نمشي على الخز من تنعمها فنشتكي رجلها من النزف
لو مرَّ هارون في عساكره ما رفعت طرفها من السجف⁽²⁸⁾
وبقول أبي تمام :

أفيّ تنظم قول الزور والفند وأنت أنزر من لا شيء في العدد⁽²⁹⁾

وكأنهم لا ينظرون الى ما توحيه الالفاظ بتركيبها من معنى وانما الى دلالاتها الحرفية ، فاذ يكون الخز ناعما رقيقا ، فانه ينبغي ، عندهم ، الا يكون هناك ما هو أرق منه ، واذ يكون اللاشيء معناه العدم ، فانه ينبغي ، عندهم ايضا ، الا يكون ما هو دونه رتبة في الوجود ، على حين انهم لو تجاوزوا هذه الدلالات الحرفية الى ما هو وراءها لما عسر عليهم ان يقولوا : ان ابن النطاح وصف حبيته بالركة فأفرط بجعلها ارق من الخز ، وان ابا تمام هجا خصمه فرأى - إمعاناً في انتقاص قدره - انه دون العدم مكانة مبالغة منه في خفض مكاتته .

ومن العجيب ان يتقيد خصوم ابي تمام ، بوجه خاص ، بالمعنى الحرفي لدلالات الالفاظ في شعره تقيدا مستقي - كما رأينا - من مقياس تشري ، ثم يؤكدون وجوب التفريق بين الشعر والنثر بقبولهم قول دعبل الخزاعي فيه يعيبه : « ما جعله الله من الشعراء ، بل شعره بالخطب والكلام المنشور

(27) ينظر نقد النثر : 79 ، والصناعتين : 376 .

(28) ينظر الموشح : 456 .

(29) ينظر نفسه : 493 .

أشبهه منه بالشعر» (30) إذ ان من أمارات تأثير الخطابة في الشعر اعتماده - مثلها - القياس الخادع (31) اعتمادا يعشيه « رونقا من الصدق باحتجاج تَحْتَلَّ ، وقياسٍ تُصْنَعُ فيه وتُعْمَلُ .. مثاله قول ابي تمام :
لا تكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي .. » (32)
ما يسيه البلاغيون بحسن التعليل ، ومعنى هذا ان موقفهم من أبي تمام شاعرا مزدوج لا يقوم على نظرة متكاملة ، فهم يرفضون احالته لانها لا تنسجم مع النظر العقلي ، ولا يقبلون حسن تعليله لانه ينسجم مع ذلك النظر العقلي الذي حكوه في فبول المبالغة فرفضوها بهدي منه .

وبالمقياس الثري نفسه عابوا على أبي تمام « غموض المعاني ، ودقتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج » (33) . وحين بحثوا في اسباب الغموض لديه عزوا ذلك الى سوء النسخ كما في قوله :
خان الصفاء أخ " خان الزمان " أخاً عنه ، فلم يتخوّن جسمه الكمد
اذ « انه يريد : خان الصفاء اخ خان الزمان أخا من اجله اذ لم يتخون جسمه الكمد » (*) وهذا المعنى مما لا يؤديه تركيب البيت في سهولة ويسر .
وعزوه ايضا الى ولعه بالفلسفة والمعاني الفلسفية كما في قوله :

قسمت لي وقاسمني بلسطا ن من السحر مقلتا « عبدوس »
فالقسيم القسام عن لحظات منهما يختلسن حب النفوس
فالذي قاسمت بلحظ اذا الليلى تمطى من الكرى المنفوس (34)
وقالوا : ان معانيه تغمض لما فيها من اشارات ، ورموز مستقتاتين من

(30) الموازنة 1 : 19 .

(31) الصورة الفنية : 91 ، وينظر في تأثير الخطابه في الشعر تاريخ

النقد الادبي عند العرب : 16-17 .

(32) اسرار البلاغة : 245 .

(33) الموازنة 1 : 6 .

(*) الموازنة (ط 2) 1 : 295 .

(34) ينظر الوساطة : 68 ، والابيات ليست موجودة في ديوانه ، وبهنا

منها انها وسواها اوحى بتأثير الفلسفة في شعره .

ثقافته الشعرية الواسعة ، واطلاعه على الاخبار ، وحوادث التاريخ كما في قوله :

إن كان « مسعود » سقى أطلالهم سبلَ الشؤونِ فليست من « مسعودٍ »
« يعني مسعود أخا ذي الرمة . . لانه كان ينهي ذا الرمة عن البكاء على
الديار . . فأراد أبو تمام : ان كان مسعود الذي انكر على ذي الرمة البكاء ،
ونهاه عنه قد رأى ان البكاء أحسن بعد ان كان عنده غدير حسن فليست
منه » (35) .

وبحثوا في جانب اخر من غموضه ما أسموه الخطأ في المعاني ، ومنشأ
هذا الخطأ لديه - كما يبدو - توهمه دلالات جديدة للالفاظ هي غير ما
عرفه العرب الاقدمون ، ولا ندرى اذا كان ذلك وهما يختص به وحده أو
هو مما يشاركه فيه عصره ، كما في قوله :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ، ودبورها أثلاثا

فهو يتوهم ان الصبا ربيع اخرى غير القبول والدبور ، في حين ان العرب
يقولون ان الصبا هي القبول (36) ومنشأ الغموض ان هذا المعنى الجديد
للصبا ، او القبول ، الذي ذهب اليه ابو تمام ، لم يستقر بعد في الاذهان
ستقرارا تاما . مما يبعث على التساؤل والاتهام بالغموض .

ويلاحظ على نقاد أبي تمام انهم بحثوا في الغموض لديه ، وكأنهم
يقصدون به مصطلحا : آيات المعاني التي تحتاج الى استخراج وتدقيق
نظر ، وتفصي - بعد هذا التدقيق - الى معنى واضح محدد يمكن ان يؤدي
بالنثر . ومما يدلنا على ذلك ما رد به ابن الاثير على أبي اسحاق الصابي
الذي يفرق بين الكتابة والشعر بقوله : « ان طريق الاحسان في منشور الكلام
بخالف طريق الاحسان في منظومه ، لان الترسل هو ما وضع معناه . . .

(35) الموازنة 1 : 277 .

(36) ينظر الموازنة 1 : 152-153 .

وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته الفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض ، فلم يعطك غرضه الا بعد مطالمة . . . » (37) فيرد عليه ابن الاثير بقوله : « أما قوله : ان الترسل هو ما وضع معناه ، والشعر ما غمض معناه ، فان هذه دعوى لا مستند لها ، بل الاحسن في الامرين معا ، انما هو الوضوح والبيان . . . » (38) ، ومعنى قول ابن الاثير انه ينبغي الا ينظر للشعر نظرة خاصة به ، تقوم على ما فيه من قيم جمالية ، وانما على ما يراد منه من تحقيق وظيفته في الافهام كما هي حال النثر ، ومعنى هذا ايضا ان ما يخرج على شرط الافهام من الشعر لا يخرج بنفسه ، وانما بعلّة طارئة عليه هي سوء النسخ ، والفلسفة وسواهما . وما هو الا ان تزول هذه العلل حتى يعود الى طبيعته في الوضوح .

وإذن فقد بحث هؤلاء النقاد في الغموض لديه ، وكأنهم يبحثون في آيات المعاني ، على حين ، يخيل الينا أن معاصريه حين انكروا عليه انه « لا يقول ما يفهم » (39) كان يدور في اذهانهم أشياء مما بحثها تحت باب الغموض اولئك النقاد ، وأشياء أخرى مما لم يبحثوها تحته ، وانما بحثوا بعضها في باب « قبح الاستعارة » وأمثلتها متعائلة مشهورة ، وبعضها اخر تحت باب الاحالة . وهذان البابان - في رأينا - هما اللذان كانا يستحقان ان يوليا الاهمية في بحث الغموض ، وليس آيات المعاني ، لان مدار الشعر عليهما في غموضه ، وليس على تحصيل المعنى الواضح المحدد بعد كسد خاطر ، وإطالة التأمل .

ولم يكن المتنبّي بأحسن حالا منه - في غموضه - لدى نقاده ، فقد

(37) المثل السائر 4 : 6-7 .

(38) نفسه 4 : 8 .

(39) الموازنة 1 : 21 ، ومن المفيد الاستئناس بمقال علي الشوك ، ابو تمام سريليا في مجلة الاديب المعاصر ع 15 ، س 4 (كانون الثاني 1976) : 117-131 .

عزوا الغبوض لديه الى التعقيد مرة⁽⁴⁰⁾ ، والى الفلسفة مرة اخرى⁽⁴¹⁾ ، ولم يبحثوه في استعاراته واحالاته ، وانما اكتفوا برمي الغامض منها بالتبجح دون محاولة منهم ان يقفوا على اسرارها ، وابعادها النفسية لدى الشاعر .
واذا كان في مطالبتنا ما يوحي باننا نطالبهم بأكثر مما يحتملون ، فعاذرنا في ذلك اننا رأينا الفلاسفة العرب قد بحثوا التخيل في الشعر بحثا كان يمكن ان يفيدوا منه ، ويضيفوا اليه ما يتمتعون به من سلامة في الذوق ، وادامة في النظر ، وقدرة على الموازنة .



ولم يكده يخرج شعراء عصر النهضة ممثلين بالبارودي والسيد حيدر الحلبي ، واليازجي والشاذلي خزندار ومن اليهم على ما تواضع عليه الشعراء العباسيون في فهم اللغة الشعرية وما ينبغي ان تكون عليه المفردة فيها ، وفي الاستئناس الى مفهومات نقاد المحدثين في الاستعارة ، وضرورة تجنب القبيح منها . وما كان لهم ان يكونوا على غير ذلك ، وهم يتخذون من الشعر العباسي اماما يقلدونه .

وقدر للمهجر الشمالي بصورة عامة ، ولجبران بوجه خاص ، موقف اخر ، فقد كان لايمان جبران بالصدق الفني ، ونبذ التقليد ، ولتأكيد ضرورة ان يستمد الشاعر من حياته النفسية تجاربه لا ممن تقدمه من الشعراء⁽⁴²⁾ - وكل ذلك مما يعزى الى تأثير الثقافة الاجنبية فيه - اقول : كان لكل ذلك ان يميزه بلغة جديدة تنتسب اليه « هي مما غربلته الاذن ، وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله السنة الناس في افراحهم وأحزانهم »⁽⁴³⁾ ، فلا تتحرج من « استخدام بعض الالفاظ العامية التي لا

(40) ينظر الوساطة : 98 وما بعدها .

(41) ينظر نفسه : 182 .

(42) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران : 560-562 .

(43) بلاغة العرب في القرن العشرين : 52 ، والقول لجبران .

مقابل لها في اللغة الفصحى « (44) ، وقد دافع نعيمة عن استعمال جبران كلمة
« نحسب » بدل « اسحسب » (45) .

ومما يؤكد سيادة مذهب جبران في لغة الشعر انك لا تكاد تجد في
كل شعر ابي ماضي من الكلمات التي تحتاج فيها الى المعجم الا عددا يسيرا
جاء متناورا لا يكاد يبين في شعره مثل : السخات ، والوخد ، والذميل ،
والاهساج . والقثير ، والفرصاد ، والصرود ، والعسكر المجر ، والديبي ،
والزبي ، والخدم (46) .

وهكذا فدر للمهجر ان يسمرد على ان يكون « آله في يد اللغة يتكيف
بها ، ولا بكيفها » (47) ، وان يتنبه الى ان « لمفردات اللغة التي نصوغ منها
مشوراننا ومنظوماتنا صفات عجيبة ، وميزات غريبة فلكل كلمة معنى وروح ،
ولكل كلمة رنة ، ولكل كلمة صبغة او لون ، والمجيد من الكتاب والشعراء
من اذا شاء الافصاح عن عاطفة او فكر جمع بين مفردات يتولد من ارتباط
معانيها معنى جلبي ، ومن اندماج الوانها صورة واضحة جميلة ، ومن تألف
رناها لحن رقيق شجي » (48) .

ولعل الاهتمام بالمعنى الجلي هو الذي ساق شعراء المهجر الى التساهل
في أمر اللغة والتخلي عن بعض قيودها ، فكانت جماعة المهجر ، بصورة عامة ،
« تهتم بالفكرة اكثر مما تهتم بالثوب الذي تضيفه على تلك الفكرة » (49)
ولكن هذا الاهتمام لم يمنع الشاعر المهجري من العناية باللغة من حيث
موسيقاها ، فقد خرجت لديه اللغة عن ان تكون رمزا جامدا لمعنى الى كونها

(44) الشعر العربي في المهجر الامريكي : 32 .

(45) ينظر الغريال : 98 .

(46) ينظر ديوان ايليا ابي ماضي (شاعر المهجر الاكبر) : 162 ، 233 ،
249 ، 258 ، 317 ، 416 ، 578 ، 598 ، 680 .

(47) الغريال : 94 .

(48) نفسه : 73 .

(49) ديوان ايليا ابي ماضي ، زهير مرزا : 45 .

أداة من أدوات موسيقى القصيدة ، يمكن أن تؤدي مفردة من مفرداتها في جملة ما لا تؤديه في جملة أخرى ، وصارت قيمة المفردة مرهونة بما نضفيه على السياق من حيوية أو بما نكتسبه منه ، فلم يعد الشاعر المهجري ينظر الى المفردة من حيث هي لان « الالفاظ في كتب اللغة هي مواد كالادهنة والحجارة ، مواد يابسة مركونة كالحطب صامتا كالقبور ، ولا نكلم قبل ان تنتقل من الظلمة الى النور ، من مضاجعها في كتب اللغة الى وظائفها في دولة الفن حيث يخضر يبسها ، ويمرع جذبها » (50) وهذا الرأي في اللغة يذكرنا برأي عبدالقاهر الجرجاني الذي مر بنا مع شيء من التوسع . ومهما يكن فان المهجر مال الى استعمال « . . . الالفاظ المألوفة . . . التي تستطيع في الغالب ان تستنفذ أحساس الشاعر . . . » (51) .

وفي المشرق العربي مالت اللغة ، بصورة عامة ، ايضا الى التخلص من التقعر (52) ، فكانت لغة « شوقي مثلا لغة حية ، لم تشتمل - الا نادرا - على كلمات بائدة او عتيقة » (53) وتعمد الزهاوي ان تكون لغته « سهلة يقتنصها كيفما عرضت له . . . وربما جنحت هذه السهولة الى المستوى الذي لا يبعدها عن حديث الناس في تخاطبهم واجتماعهم » (54) ، وكان الرصافي ، والصابي النجفي مثله في سهولة لغتهما (55) .

ويفرق المهجريين عن المشاركة في التصوير ان اولئك اعتمدوا « ظلال

(50) العصبه ، ع 9 ، 10 ، س 11 (ايلول وتشرين الاول 1951) : 768 ، وردة وحجارة ، يوسف اسعد غانم .
(51) في الميزان الجديد : 78 .

(52) يستثنى من هذا الحكم عبدالمحسن الكاظمي ، فقد كانت لغته - كما لاحظ الدكتور السامرائي - في لغة الشعر : 6 بدوية ، وخلييل مطران فهو لم يدرك - كما لاحظت الجيوسي في الشعر العربي تطوره ومستقبله : 22 - ان التجديد في الشعر انما يصيب اللغة الشعرية قبل اي عنصر اخر .
(53) الشعر العربي تطوره ومستقبله : 22 .
(54) لغة الشعر : 47 .
(55) ينظر نفسه : 71 84-85 .

المادة ، ومجاز المعنويات الذهبية » (56) مثل نسج الرياح وشاحا للنوم لدى نعيمة ، وانسياب النهر مثل اللوعة الخرساء في صدر الكريم لدى شكر الله الجبر ، ووصف الابتسامة في لمعانها بانها كالامل البعيد لدى فرحات ، ووصف الغدير المتمهل بانه مثل الفضيلة في صته لدى الشيخ سعيد اليازجي (57) ، على حين بقي التصوير لدى المشاركة - في اغلبه - حسيا يعتمد في الاستعارة والتشبيه العلاقات الخارجية سواء ارتبطت بالنفس ام لم ترتبط . فشوقي ، وهو أمهر من عددنا من المشاركة في التصوير ، يستعين في عدد غير قليل من صورته « بالمبالغة التي يتذوقها عصره ، فتشغله عن الصورة نفسها ... » (58) .

ولم يخرج جماعة الديوان على المشاركة في لغتهم وصورهم ، الا فيما ندر ، فانت لا تعدم ان تجد في مفردات شكري ما هو مثل : الابدان ، وطخيان ، والنهاء ، والتصريد ، والوذيلة ، والبقية ، والمدر ، والصعر ، والواقق (59) وما الى ذلك مما هو كثير في ديوانه ، ولا تعدم ان تجد ايضا في ديوان العقاد ما هو مثل : المشاش ، ومدره ، وعرامة ، ومائق ، والهيشم ، وقشاعم ، وقرن ، ورقان ، وادهان ، وأوهاق ، وارغان ، والدساتين ، وجران ، والذميل والارقال ، والزرياب ، والثبج ، والوذيلة ، واللهدم ، وشطون ، واللحظ الشفون (60) وما الى ذلك .

اما صورهما فهي مما لا يكاد يخرج كثيراً عما ألفه العصر العباسي مما هو لدى شكري مثل : اراقة العزاء ، وازاهير الردى ، وزهر الضجر . وعيون النجم ، وشياطين الحقد ، وأوتار الاشجان ، وكر الحوادث ، وضريح

(56) الشعر العربي في المهجر الامريكي : 50 .

(57) نفسه : 51 .

(58) الاداب ، ع 11 ، س 6 (تشرين الثاني 1958) : 16 ، محاولة

لدراسة اللوحة في الشوقيات ، الدكتور علي جواد الطاهر .

(59) ينظر ديوان شكري : 508 ، 511 ، 513 ، 519 ، 530 ، 530 ، 555 .

(60) ينظر ديوان العقاد : 26 ، 34 ، 37 ، 40 ، 42 ، 45 ، 46 ،

58 ، 61 ، 71 ، 73 ، 85 ، 90 ، 282 ، 289 .

النور . وروح الدهر⁽⁶¹⁾ ، وما هو - لدى العقاد - مثل : طيف الزمان ،
ووتائع النور . وسحالة الفبر : وسمر الريح : ونوم الصحراء ، ونسج
الدجى . وبث الضياء ، وعيني البدر ، وخراب القلب ، وجور الصبح على
الظلاء . وسبب الفؤاد⁽⁶²⁾ ، وما الى ذلك .

واسفر جماعة أبولو على أن وظيفة اللغة هي الايحاء⁽⁶³⁾ ، فكانت
صورهم حالة غامضة يجع بين اجزائها البعد النفسي . واهتمامهم بهذا
البعد . لا سا جرى عليه المؤلفون من الاستعارة والتنسيه ، هو الذي اتار
انصار القديم بوجههم فانكروا كهوف الحياة ، وقيثارة الحياة ، والفضاء
الجمود ، ولهيب الاثين ، وجان الخيال ، وعصير الشجون لدى
الصيرفي⁽⁶⁴⁾ ، وعجبوا من الهول الواجم ، وركام الفناء لدى سيد
فطب⁽⁶⁵⁾ ، وكبرياء الهموم لدى ناجي⁽⁶⁶⁾ ، وما الى ذلك لدى سواهم .
ولكن نافذهم لم ينبهوا ، الى ان الموهوبين من هذه الجماعة هم مثل
زميلهم علي محمود طه المهندس ، لا يدرك سر جمال شعرهم « بالتحليل
المنطقي . وانما يحس اذا استطعنا ان نسمو الى الجو الذي يخلقه ويخلق
فيه . . وهو لا يرصف الفاظا ، وانما يجيد استخدام المعجم الشعري الذي
يخلق الجو ، لنخلق فيه »⁽⁶⁷⁾ ، على ان هذا الجو لم يعد من يولع بالتصوير

(61) ينظر ديوان سكري : 214 ، 227 ، 228 ، 244 ، 246 ، 266 ،
443 ، 449 ، 495 .

(62) سطر ديوان الععاد : 35 ، 41 ، 63 ، 73 ، 91 ، 96 ، 149 ، 152 ، 153

(63) ينظر جماعة أبولو : 401-419 .

(64) تنظر مجلة الرسالة ، ع 70 ، س 2 (5 نوفمبر 1934) : 1838-
1839 ، الالحن الضائعة ، محمود الخفيف .

(65) ينظر نفسه ، ع 101 ، س 3 (10 يونيو 1935) : 959-960 ،
الشاطيء المجهول ، محمود الخفيف .

(66) ينظر نفسه ، ع 158 ، س 4 (13 يوليو 1936) : 1142 ،
شعراء الموسم في الميزان ، عباس حسان خضر .
(67) قضايا جديدة في ادبنا الحديث : 103 .

الغريب حبا بغرابته دون ان يوحى به شيئا كما في قول محمود حسن
اسماعيل :

الدوح نشوان ! فاخشع^{٦٨} إن مرت به فضيفه الباطشان : الليل والقدر (68)
فهي صورة لا توحى بشيء ، فنحن نفهم نشوة الدوح يعنيه الليل ، ولكن
ما معنى « القدر » في البيت ، ثم اذا كان القدر باطشا ابدا ، فلم يكون
الليل كذلك ؟ انها صورة - في رأينا - مضطربة ساق الشاعر اليها سحر
الالفاظ لا ايقاؤها . ولم يعدم هذا الجو ايضا من ينساق الى جرس
الالفاظ دون الاهتمام بما توحىه ، كما في قول احمد مخيمر :

اني لاصفي ثم أصفي ذاهلا لصراخ قلبك ، وهو في جنبيك
وكأنه فيشارة يلهو بها صب حزين جن بين يديك (69)

فالصورة - في رأينا - مضطربة ايضا ، فهو اذ شبه قلبها - في صراخه -
بالقيثارة ، لا تدري لم جعل الصب الحزين المجنون لا سواء يلهو بها ،
ويخيل اليك انه اراد بجنونه ان يضفي على أنغام القيثارة ما هو أقرب الى
الصراخ ، ويمنعك من ذلك انه جن بين يديها مما يصوره حيبا اليها ، حيبه
اليه ، وإذن فكونه بين يديها مما ينفي عنها صراخ القلب . وعلى أية حال
فاننا لا نحمد لانتسنا ان تعامل الشعر بهذا الفهم الضيق ، ولكن من حفنا
ان نستوحى شيئا منه ، فلم نستطع .

وبمكننا ان نلمح في هذا الجو مفردات بعينها تشيع في شعر هذه
الجماعة منها ما يمت الى الطبيعة بسبب مثل : السماء ، الازهار ، الروض ،
الندى ، الحقول ، القمر ، الشمس ، الغيوم وما الى ذلك ، وما يمت الى النفس
بسبب اخر مثل : الحزن ، الاسى ، الاشجان ، الوجوم ، الكآبة ، الحبور ،
وما الى ذلك مما هو لصيق بمذهبهم العام .

(68) ابن المفر : 89 .

(69) مجلة ابولو ، ع 7 ، مح 2 (مارس 1934) : 600 ، حريته .

واذ ظهرت حركة الشعر الحر ، كان لا يد لها - وهي تبحث دواعي ظهورها في الفن الشعري نفسه - من ان تتسقط عيوب اللغة في الشعر الذي سبقها ، فإلا انجو الادبي ، لتكون ولادتها مشروعة نابعة من حاجة حقيقية للتغيير . او يراد لها ان تبدو كذلك ، فلاحظت نازك الملائكة ان اللغة ابتليت ؛ بيال من الذين يجيدون التحنيط ، وصنع التماثيل ، فصنعوا من ألفاظها (نسخا) جاهزة ، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم « (70) . ولم تكن ملاحظتها - فيما يبدو - موجهة الى جماعة ابولو ، فهي لا تختلف - الا في الوضوح - كثيرا عما لاحظته نعيمة - من قبل - في « ضفادع الادب » (71) .

من انها حين تبيح للاديب المرفه ان يخرق قاعدة «نسا ، ويضيف معنى هناك ، ونطالبه - بطبيعة التطور - ان يغير المعجم اللفظي الشائع في عصره (72) ، لا تكاد تخرج عما قال به نعيمة من « ان اللغة في أدق تراكيبها ليست سوى مستودع رموز ترمز بها الى أفكارنا وعواطفنا ، وانه يحسن بنا الاحتفاظ بهذه الرموز مازلنا قاصرين عن استبدالها بأدق منها ، وان بعض هذه الرموز يصبح على مرور الايام طلاسما ، فالاجدر نبذه ، وان الشعراء والكتاب هم واضعو هذه الرموز وهم اولياؤها ، وانه اذا غير شاعر او كاتب رمزا من رموزكم المألوفة ، او جاءكم برمز جديد فليس في ذلك ما يدعو الى الفلق والخوف ، لانكم اذا احببتم الجديد ستحتفظون به - في النجاة ام سخطوا « (73) اقول : ان نازك لا تكاد تخرج عما قال به نعيمة ، وكل ما بينهما من خلاف انها تطالب بهذا التمييز مطالبة ، وان نعيمة - الشاعر مسوقا اليه بحكم تطور الحياة ، ويطلب من الاخرين الا يعرضوا عليه من وجهة نظر نحوية ، او لغوية وانما من زاوية فنية .

والنسخ الجاهزة التي تحدثت عنها نازك هي اللغة الشعرية التي درج

(70) سخطا ورماذ : 7 .

(71) ينظر الغربال : 94 ، 100 .

(72) ينظر سخطا ورماذ : 8-9 .

(73) الغربال : 106 .

عليها انصار القديم ، ولكن نازك لم تستطع ، رغم دعوتها ، ان تتخلي عن لغة الشعر القديم وان تكن تختل عن نسخته الجاهزة ، فلا تعدم ان تجد لديها مفردات مثل : الصلد ، وتغلس ، ووجيب ، وانقبو ، وأبايد ، ووهون ، والرتاج الموصل ، وجديب الشعاب⁽⁷⁴⁾ ، وما الى ذلك .

ولا تمنعنا هذه الملاحظة ان نقول ان الشعراء الذين ورثوا لغة الشعر القديم ورثوا السلس المألوف منها ، ولم يخفلوا بالمهجور منها الا نادرا جدا .

وفي محاولة استجلاء لغة حركة الشعر الحر لا نستطيع ان نعمم حكما ، وانما نحس نلاحظ ان هناك نيارات ثلاثة توزعت هذه الحركة هي :

نيار ائبقت من فهم رواد حركة الشعر الحر للغة ، وهو فهم لا يختلف كثيرا عن فهم المهجريين ، ولكنه مرتبط بالتراث الشعري العربي ، ويتمثل هذا التيار في شعر السياب ، ونازك الملائكة⁽⁷⁵⁾ ، وأدونيس ، فهو والسياب في الطليعة من « ورثة القاموس الكلاسيكي ، وان اكسبوه تألقا وحرارة ، واختاروا كلماتهم ناصعة جديدة غير مستهلكة »⁽⁷⁶⁾ .

ويلاحظ على لغة هؤلاء ، رغم ارتباطها بالتراث ، انها لم تقف عند حدوده ، وانما استعانت على التجديد بالخروج على قواعد هذه اللغة مرة ، وباستعمال كلمات دارجة مرة اخرى ، فالسياب لا يبالي ان يأخذ مفرداته احيانا من العامية الدارجة⁽⁷⁷⁾ ، ونازك تخرج على ما يتواضع عليه اللغويون مرات ليست قليلة⁽⁷⁸⁾ . وكأن الواقعية الجديدة الني احتضنت الشعر الحر بما تقتضيه من سحق « الميوعة الرومانتيكية ، وأدب الابراج العاجية ،

(74) ينظر تظاايا ورماد : 34 ، 37 ، 49 ، 56 ، 85 ، 129 .

(75) ينظر في لغة السياب ، الشعر الحر في العراق : 324-331 ، وب

لغة نازك ، لغة الشعر : 155-198 .

(76) الشعر العربي تطوره ومستقبله : 47 .

(77) ينظر لغة الشعر : 239 .

(78) ينظر لغة الشعر : 161 ، 169 ، 172 ، 174 ، 189 ، 190 .

وجمود الكلاسيكية» (79) هي التي أنرت في تلك الناحية من شعرهم .
ومن الواقعية الجديد انبثق تيار لغوي آخر يقوم على « استخدام
التساعر الجديد لكثير من الاجواء والتعابير والمصطلحات الشعبية ، والتبسيط
في استخدام الاساليب اللغوية الى حد النسيج العادي البسيط ... » (80)
ويتل هذا التيار بلند الحيدري ، وحسن مردان ، وموسى النقدي ، ونزار
فباني ، وعبدالصبور ، والبياتي . وفي ضوء من هذا التيار يمكن ان نفهم
انهم بعض هؤلاء بالترية (81) ، وقيام دعوة الدكتور محمد النويهي في الاخذ
بالحديث البومي لغة للشعر - مقلدا اليوت - أقول : نفهم قيام دعونه تلك على
شعر صلاح عبدالصبور دون سواء (82) .

اما التيار الثالث ، فهو ما يمكن ان نسميه بالتجريد اللغوي ، وهو
تيار ينقل من المدرسة الرمزية الاوربية مرة ، ومن الدادائيين مرة اخرى ، فهذا
التيار يرى ان الشعر « خارج المضمون والافكار وخارج شكله معا ، هو
هذا الفعل ، فعل اللقط والتوهم ، فعل العلاقة الخطرة ، هو الجلسة اللغوية
النسرية المصيبة السابقة بقليل لمضمونها » (83) ، ولسنا ببعترضين على هذه
الجلسة اللغوية التي توحى بشيء ، ولكننا نقف ضدها - حين لا تريد ان
نقول شيئا - فتكون هذه الجلسة « ضد اللغة ، ضد الالفاظ لحساب الحروف
(فالشاعر) يهذى على احدى طرق الدادائيين ، ينافسق لبياض الصفحة ،

(79) الاداب ، ع 6 ، س 2 (حزيران 1954) : 69 تعليقان للسياب .

(80) نفسه ، ع 1 ، س 3 (كانون الثاني 1955) : 21 . الشعر العربي

الحديث ، محمود أمين العالم .

(81) وينظر ع 7 ، س 2 (نموز 1954) . 33 ، أباريق مهشمة ، كاظم

جواد .

(82) ينظر قضية الشعر الجديد : 109 ، 110-111 ، 112-115 . على

ان الدكتور النويهي - فيما نرى - لم بتعمق المسألة اذ جعل الاقتراب من لغة
الحديث اليومي مسألة مرتبطة بالشعر الحر وانها من خصائصه ، على حين
يرى انها من خصائص الواقعية .

(83) شعر ، ع 28 ، س 7 (خريف 1963) ، اللغة الشعرية في فلب

العالم ، شوقي ابي سفرا : 92 .

يتلاعب بإمكانات الطباعة» (84) ، وكأنه يعلن - من خلال ذلك كله - عجز اللغة عن أن توصل شيئاً أو أن تنقل شيئاً .

وعد شاع هذا التيار - خلال الستينات - في لبنان ممثلاً بالياس عوض ، وانسي الحاج ، وعصام محفوظ وسواهم ممن ينتمون الى مفهومات مجلة « شعر » في الوطن العربي ، وفي ظن اصحابه ان التمسك الجديد « استنفد ... كل طاقات اللغة الفصيحة ، وان عشرين سنة من ردّة الفعل لالف سنة من تطرف اسلافنا في التمسك بالنسكليات والمظاهر السطحية الخارجية ليست شيئاً في مرحلة الثورة ، والنهوض ، واعادة البناء ... » (85) ومعنى هذا المنطق المنفلع الغاضب - وتلك اهـون صفة فيه - ان العبث باللغة ليس من عاية فنية وراءه ، ولكنه رد على عبث القرون المظلمة باللغة ، وهو رد عابت ايضاً وان كان يتشج بالثورة ، ويتعكز على النهوض ، ويلوح باعادة البناء ، ولا يتحرج - امعانا في النقمة - ان يسوه المفهومات وينستر على هذا التشوه بالتفلسف الذي يعتمد التلاعب باللغة اكثر مما يعتمد الفكر (86) .

وعلى أية حال فان هذا التيار فيه من التزق والسذاجة ، ولا اقول الخبث ، اكثر مما فيه من المعاناة الفنية ، وحسبنا ان نكون مجلة « شعر »

(84) شعر ، ع 31 ، 32 س 8 (صيف ، حريف 1964) . مآزق ماوراء اللغة ، انسي الحاج : ١٢٩ .
(85) نفسه ، ع 24 ، س 6 (حريف 1962) ، قضايا الشعر المعاصر ، يوسف الخال : 150 .

(86) من هذه التشويهات - على سبيل المثال - تعريف غالي سكري للواقعيه في المصدر نفسه ، ع 28 ، س 7 (حريف 1963) ، قضيه بلا ساعر : 97 اذ يقول : « ... ومن ثم تسمى الواقعيه - بالضبط - هي البعد عن الواقع » ، وتعريف كميل سعادة للالتزام في الادب ، في المصدر نفسه ، ع 26 ، س 7 (ربيع 1963) ، شعر جديد في سر جديد : 113 ، اذ يقول : بانه حوار بين الشاعر والحياة ، واضاءة زوايا « من كيان الاسان تحت نير انتصارات لم تؤنسن بعد ، كل هذا وهو لا يدري ، وربما صعب عليك كثيرا ان تدري . ولعله هنا يكون الالتزام في الادب » .

مغموزة في اخلاصها لفضية الشعر ، والثورة معا ، موجّهة - من هذا المنطلق - لتشويه مفهومات الواقعية الاشتراكية ومحاربتها ، وايجاد بديل عنها .

واذ نخلص من هذه التيارات الى تصنيف الشعراء في مسارها ، فانه يحسن بنا ان ننبه الى ان التجريب ظاهرة في لغة الشعر الجديد متلما هي ظاهرة في بنائه . فقد شاع في شعر البياتي - اواخر الستينات - مصطلحات المتصوفه من الشعراء (87) ، ومعجماتهم الشعرية ، وشاع ذلك - من قبل - في شعر أدونيس معتمدا مواقف « النفرّي » بصورة ملحوظة في ديوانه : التحولات (88) ، وكان دهشة الشعراء بهذا الجانب او ذلك من التراث - بعد انقطاع عنه - مما يدفعهم الى ذلك .

ومهما يكن من أمر فاننا نستطيع ان نزعّم ان القدر الجامع بين ثلاثة التيارات هو اثاره الدهشة ، « فحيثما قشل الشعر في استثاره هذا النشاط الانساني العجيب في كيانك ، فصدمتك لفظة او ايقاع لم تتوقعه ، ثم لم يشر دهشتك فاقطع بان الشعر قد فشل ، وكن من ذلك على يقين » (89) ، ويتوصل المجددون الى هذه الدهشة عن طريق تحطيم ما درجت عليه الصورة القديمة ، سواء أكانت استعارة أم تشبيها أم نعتا ، من قرب وتناسب بين طرفي التشبيه او الاستعارة . وعلى ان طائفة غير قليلة من شعر الرواد قد

(87) ينظر ديوان البياتي ، قصائد حب على بوابات العالم السبع :

24-9 ، 89-106 .

(88) ينظر ديوان ادونيس ، كتاب التحولات والهجرة في اقاليم الليل

والنهار : 9-24 ، 209-259 .

(89) الاداب ، ع 2 ، س 2 (حزيان 1954) : 95 من قيم الشعر

العراقي الحديث ، محيي الدين اسماعيل . وقد ظل هذا المفهوم قائما في وظيفة الصورة ، يدلنا على ذلك قول عصام محفوظ في مجلة شعر ، ع 31-32 ، س 8 (صيف 1964) : 119 خطرات حول التجربة الشعرية : « والشاعر هو اشد الوسائط في مقاومة سيطرة الجمود على اللغة ، ويعود جزء كبير من غموض الشعر الحديث الى هذه اللغة المدهشة التي يعيد الشاعر بها الصلة الطبيعية بين اللغة الماضية والعالم الجديد الذي يتفتح » .

أخفت في إثارة هذه الدهشة ، فلم تخرج عن إطار الصور التقليدية (90) كما
في قول البياتي :

« المجد للشعراء والكتاب ، أحباب الحياة / الخائضين : اليوم ، معركة
المصير / والضارين يد الطغاة » (91) .
وقول كاظم جواد :

« حيث الصغار الحالمون بالغد الوديع / مشردون في صحارى الموت
والصقيع / على انتظار كاتنظار الجذب للرييح » (92) ، وسواهما ، إلا أن
التيار الغالب هو محاولة الشعراء إثارتها كما في قول السياب :

« ... أسمع من سوارعها الحزينة / ورق البراعم وهو يكبر أو
يمص ندى الصباح / والنسغ في الشجرات بهمس ... » (93) .
وكما في قول صلاح عبد الصبور :

« وفدا في ليلة سيف / ولجا من باب القلب كما يلج الضيف » (94) .
وقول نازك الملائكة :

« في سواد الشارع المظلم والصمت الاصم / ... / حيث يرخي شجر
لدفل أساه فوق وجه الأرض ظلا » (95) .
وقول سعدى يوسف :

« شجيرة أنت / معتمة للية الأزهار / ألمس في أوراقها صوتي » (96) .
فالصور التي رسمها هؤلاء الشعراء ، وهي تقوم لدى السياب وسعدى

(90) بنظر الشعر الحر في العراف : 363-355 ، وقد رصد الصانع
في بحثه هذا رسدا جيدا أنماط الصورة لدى الرواد .
(91) المجد للأطفال والريتون ، قصيدة بالاسم نفسه : 12-11 .
(92) من أغاني الحريه ، دير ياسين : 145 .
(93) ديوان بدر شاكر السياب ، مرجى غيلان : 326 .
(94) أقول لكم ، أغنية خضراء : 26 .
(95) تنظايا ورماد ، الخيط المشدود في شجرة السرو : 185 .
(96) نهايات الشمال الأفريقي ، البصلبان الخمسة : 178 .

على خلط مجالات الحواس ، وكأنهم يتأثرون بنماذج رمزية ، فالسياب
يسمى « ورق البراعم وهو يكبر » وسعدى يلمس صوته في اوراق
الشجيرة ، وتقوم لدى عبدالصبور ونازك على جدة الاستعارة مما يبعث
الدهشة ، غرابة وألفة في آن واحد . فنحن نستغرب مثل هذه الصور
وندهش لها لما فيها من جدة وعمق ، ولكننا سرعان ما نألفها لما فيها من حياة
ناضجة موحية .

ولنا ان نلاحظ على هذه الصور لدى اولئك الشعراء انها جاءت وكأنها
عفوية لم يقصد اليها الشاعر ، وان نلاحظ ايضا انها استحالت لدى اخرين
هدفا قائما بذاته مما يجعلها مضحكة بدل ان تكون مدهشة موحية كما في
قول محمد عفيفي مطر :

« شربت مرق الاحذية المنقوعة / في الخوف والنحيب / أكلت ما
يخبزه الاسفلت / في جوفه من حنطة التعذيب » (97) .
ف « مرق الاحذية » و « خبز الاسفلت » و « حنطة التعذيب » لا تبعد
كثيرا عن قول ابي العذافر الذي مر بنا :

باض الهوى في قوادي وفرسخ التذكار

ودفع استحالة الصورة هدفا يقصد اليه الشعراء بعضهم الى رسم
صور سريالية كما في قول صلاح عبدالصبور :

« ويهبط السأم / يغسلهم من رأسهم الى القدم / طهارة بيضاء تنبت
القبور في مغاور الندم » (98) .

وكما في قول محمد عفيفي مطر :

« أيها النهر انتظري / واتخذ جمجمتي عشا ... » (99) .

وفي مثل هذه الصور وسواها يكون من الطبيعي ان يتهم الشعراء

(97) كتاب الارض والدم ، عذابات سرية : 99 .

(98) اقول لكم ، الظل والصليب : 81-83 .

(99) كتاب الارض والدم ، مناجيات الى النهر : 61 .

الحديث ، في هذه الناحية ، بالغموض ، ويزيد من شيوع التهمة ان بعض قصائده - خاصة لدى شعراء النثر - تتخذ من هذا الغموض غاية كما في قول نسوقي ابي شقرا :

« ولدت من حبة • ركضت في صحن اثري / في حذائي مسمار ، وفي دوبي شوكة • هذه ممتلكاتي • أفتح التسمية والقناني / اتزلج في كل الجغرافيا / في عنق زرافة اصطاف ... » (100) .
وكما في قول انسي الحاج :

« انت المدعوة ، لك قدمان في الصدى ، وفندق أعمى ، وحذاء يطلق بصت • التمثال ببندىء والخلوة تخض الشهوة : تضافرت واصبحت النبع والنهر والبحر والعشب والرقاد ... » (101) .

ويلاحظ على لغة الشعر الحديث - رغم انكاره ان يكون للشعر لغة خاصة به - ان هناك مفردات يعينها تشيع فيه ، ولا يكاد الشعراء يتجاوزونها مثل : الرحم ، والافخاذ ، والبول ، والمضاجعة ، والزنا ، والصمت ، والموت ، والخوف ، والمنفى ، والدود ، والكبت ، والسلطان ، والمجان ، والتتار ، والمغول ، والروم ، والمجوس⁽¹⁰²⁾ ، والشجر ، والمسافة ، والماء ، والعشق ، والجسد ، والحلم ، والمرايا ، والنبوة ، والحضور ، والغياب ، وسواها (103) .

وعلى أنا نعرف ان من اسرار شيوع هذه الالفاظ ارتباطها بمذاهب فكرية ، فالفاظ الجنس والبول وما اليها مما يرتبط بالوجودية ، والسلطان والتتار ، والمغول ، والروم مما يرتبط بالمذاهب الفكرية التقدمية ، ونعرف أنها اكتسبت - في الاستعمال - دلالات رمزية جديدة عليها ، الا ان هذا لا

(100) مجلة شعر ، ع 26 ، س 7 (صيف 1963) : 18 ، حجر

في سروال .

(101) نفسه ، ع 26 ، س 7 (ربيع 1963) : 13 ، ماموت وشعقتات .

(102) ينظر هذا الشعر الحديث : 152-163 .

(103) ينظر في الشعر العراقي الجديد : 31-32 .

يمنعنا ان نقول : ان شيوعها على درجة كبيرة في قصائد الشعراء ، ودورانها على السنتهم مما يدل على ان هناك تيارا تقليديا جديدا ينتظم الشعر الحديث يقلد فيه سغار المواهب الشعراء الكبار وان هذا التيار لا يدل على اصالة في التجربة . او معاناة في الاكتشاف .

الختمة

قامت الدراسة على بحث مناحي الصراع بين القديم والجديد ، معتمدة شواهد من مختلف عصور الادب العربي ، وكان مما يعني فصولها وما تقرره من احكام ان تجد - في احيان كثيرة - هذه الشواهد متناهية مرة ، ومتطابقة مرة اخرى .

وقد نوزعت هذه الدراسة سنة فصول يسبقها تمهيد في مسيرة الشعر العربي ، وقد أبان هذا التمهيد تطور الشعر من العصر الجاهلي الى العصر الحاضر متحريرا ان يربط بين تطور المجتمع وتطور الشعر نفسه .

وعقد الفصل الاول لتاريخ الصراع في الشعر العربي فتحدث عن مصطلح الصراع حديثا وجزيا يفرق بينه وبين اية حركة نقدية اخرى ، ثم عرض الى الشعر الاموي ، وموقف بعض اللغويين والنحاة من الشعراء الامويين ، متخلصا الى ان كل ذلك لم يكن من الصراع في شيء ، ووقف بعد ذلك عند الصراع الذي دار على الشعراء العباسيين المحدثين مسميا - في تلك الوقفه - انصار الجديد ، وانصار القديم ، والمنصفين ، وملخصا القضايا التي اخذها انصار القديم على المحدثين . وقد اتبع الفصل هذا المنهج نفسه في وقفته عند الصراع الذي اثاره أبو تمام ، والذي اثاره المتنبى ، والصراع الذي اثاره «الديوان» وما أثارته جماعة «أبولو» رابطا بينها وبين «الديوان» وما أثارته حركة الشعر الحر .

واستجلى الفصل الثاني «دواعي الصراع واسباب حدته» فخلص الى ان قيام اي صراع حقيقي يقتضي وعيا مشتركا بين المجدد ومجتمعه ، شرط الا يؤدي بهما هذا الوعي الى تجانس ثقافي . وان تنصب حركة التجديد على

الاعراض التقليدية في الشعر ، وان يتبناها شاعر بالمعنى السائد في عصره ، وان يدور كل ذلك في بيئة ادبية حساسة ، وخلص ايضا الى ما للمصالح من أثر في حدة الصراع ، وما لاختلاف طبيعتي النظر لدى فريق الصراع ايضا من أثر فيها .

وعرض الفصل الثالث الى حجج فريق الصراع ، فدرس الموقف من التقليد ، ومن الثقافة الاجنبية ، وحضارات الامم الاخرى ، ثم الغموض في الشعر ، وموقف الشاعر من الجمهور ثم الشاعر والالتزام ، وما الى ذلك من امور تتردد على ألسنة فريق الصراع هدفها ان يخلق موقفا متكاملا في القضايا الفنية ينسجم مع التجديد .

ووقف الفصل الرابع عند «مظاهر الصراع» وما يتبعه فريقه من اساليب وهما بدليان بأرائهما فلاحظ عليهما اهتمامهما بالقديم وتشبيهما به كلاً حسب ما يخدمه ، وشدة عنايتهما بتوحيد الجهود ، ولمّ الصف ، ثم اتباعهما «المداورة» في كسب الخصوم ومحاولة كل منهما خرق صف نظيره . وأشار بعد ذلك الى ان من مظاهر الصراع ايضا تلبيل المقاييس النقدية ، في مرحلة من مرحلة . والى شكوى الاخرين من غياب الشعر الحقيقي نتيجة لذلك .

وانعقد الفصل الخامس على « اخلاق فريق الصراع » ، من تعصب ، وحماسة ، واتهام كل منهما الحسن المقبول من شعر نظيره بالسرقة ، وما يؤدي اليه التعصب من سوء الفهم في النظر الى الشعر ، ومن توسل بوسائل خارجة عن دائرة الشعر في تثبيت الموقف ، من كذب وافتئات وما الى ذلك ، وأشار - بعد كل ذلك - الى منصفين يظهران في كل صراع يناون عن اللجوء الى مثل هذه الاساليب .

ودرس الفصل السادس قضية فنية هي قضية اللغة والعلاقات اللغوية المجازية ، فعرض الى تطور القضية عرضا تاريخيا ، فبحث من خلال هذه

القضية لغة الشعر ، والاستعارة والتشبيه ، والوصف ، وما الى ذلك مما ينطبق عليه مصطلح « الصورة » .

وللباحث ان يلاحظ على الصراع في الشعر العربي ، وقد انتهى البحث فيه ، انه صراع في المظهر لم يمتد بعيدا ، وانه لم يثر قضية فكرية عميقة ، ولم يستند الى قضية فكرية : لا يستثنى من ذلك حتى حركة الشعر الحديث ، رغم ما تحاول ان تظهر به من عمق في الفكر ، وامعان في منسكلات الوجود ، اذ اتخذت هذه الحركة من القضايا الفكرية غطاء للتورة على الشكل وعلى اللغة ، ولم تتخذ منها هما حقيقيا قائما بذاته ، يظهر من خلال الشعر نفسه ظهورا غير مفتعل ، أو من خلال نوع ادبي اخر يعلن عجز الشعر عن تحمله .

وله ان يلاحظ ايضا ان حركات التجديد بدت وكأنها منفصلة عما سبقها فاذا كان ابو تمام على صلة وثيقة بشعر المحدثين ، فان جماعة ابولو لم يكونوا على الصلة نفسها بهم ، ولم يكن جماعة الشعر الحر على اتصال بما دعا اليه مطران . ومعنى ذلك ان كل حركة تجديدية كانت تقترح حلا لما تتصوره من أزمة الشعر ، وكأنها تظن اخفاق كل الحركات التي سبقتها في ان تكون قد وضعت نواة لهذا الحل يمكن ان ترعى فثمر . ولقد يكون هذا الحديث بطرا لو لم تكن حركات التجديد تلتقي في اقتراح الحلول ، فقد كان من المسكن ان يفيد الزهاوي في تجربة الشعر المرسل من سابقه رزق الله حسون ، وان يفيد العقاد ، وهو يعنى التفكك على شعر شوقي ، من مطران ، وان يفيد حركة الشعر الحر من هؤلاء جميعا .

وعليه ، لا يتخرج الباحث ان يدعو الى الافادة في التجديد من تراثنا القريب مثل افادتنا من تراثنا القديم ، لا على سبيل مناجزة انصار القديم ، ولكن على سبيل الافادة من مواطن الاخفاق والنجاح ، والافانه من المستغرب حقا ان يجد هذا البحث في طائفة غير قليلة من فصوله شواهد متشابهة ، وظواهر مشتركة ، كاتنا مدعاة تأمل يوشك ان يكون قلقا .

ووجه القلق ان هذا التشابه قد يوحي - فيما يوحيه - ان المجتمع العربي قائم على الثبات في القيم ، فهو مجتمع جامد يكون الثبات فيه هو القاعدة ، والتحول عنها او خرقها هو الاستثناء . وهذه النتيجة نفسها هي التي رفضها كاتب هذا البحث حين رأى دارسا اخر قد انتهى اليها ، فحاول « الكتف عن سر هذا العداء الذي يكنه العربي . بعامة . لكل ابداع حتى لكأنه مفطور عليه » (1) . فرأى السر كامنا في « ان الثقافة العربية بشكلها الموروث السائد ذات مبنى ديني ... انها ثقافة اتباعية ، لا تؤكد الاتباع وحسب وانما ترفض الابداع وتدينه ... ان هذه الثقافة تحول ، بهذا الشكل الموروث السائد ، دون اي تقدم حقيقي » (2) . اما لماذا يرفض الدين الابداع ، فذلك ما جلاه ذلك الدارس على النحو الاتي اذ قال : « اذا كان الدين خاتمة المعرفة ، ونهاية الكمال . فذلك يعني انه لا يمكن ان ينشأ في المستقبل ما لا يكون متضمنا فيه . فالوحي تأسيس للزمن والتاريخ في آن ، أو هو بداية الزمن والتاريخ ، وهو لذلك ليس زمنيا ماضيا ، بل هو الزمان كله : الامس ، والان ، والغد ، والان والغد لا يكشفان عما يتجاوز الوحي ، بل انهما - على العكس يشهدان له . الان لحظة تذكير وكذلك الغد . فليس للمستقبل بُعدُ اكتشاف ، بل بعد حفظ واستعادة ، وليس عامل تغيير بل عامل تدير » (3) .

واذ رفض كاتب هذا البحث ان يكون العربي معاديا لكل ابداع ، ورفض كذلك السر في هذا العداء ، كانت تدور في ذهنه امور هي : ان بحثه قام على تشابه الشواهد وتمائلها في فصول بحثت مسائل هي الصق بالذات الانسانية باحثة عن مصالحتها ، منها بالتطور الفكري ، وانه لم يجد في « حجج فريقي الصراع » و « قضايا الصراع الفنية » ما يعزز

(1) الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب : 19 .

(2) نفسه : 32 .

(3) الثابت والمتحول : 36 .

هذا التسابه كثيرا ، لانهما فصلان يقومان على تطور المجتمع ، وتطور الفكر
القدبي لدى الادباء ، وفي هذا وحده ما ينفي ان يكون « محي التحول
مغلوبا ... لم يدخل ... في بنية المجتمع العربي بحيث يغير ويطور » (4) ،
ويدل على ان الثبات ... بفرض قيامه قاعدة في المجتمع العربي - لم يكن
من الصلابة بحيث لا ينفذ اليه التحول ، فقد كشفت لنا مظاهر الصراع
- فيما يخص الشعر - بجلاء مدى تأثير قيم الجديد في القديم ، ولو لم
يكن هذا التأثير كما نجلى لنا لما كانت بعض المفاهيم النقدية الجديدة لدينا
الان من المسلمات التي لا يناقش فيها اثنان . وهل يجرؤ احد ان يقرر ان
التعبير المباشر الصق بالفن الشعري من التعبير غير المباشر سواء أكان
بالصورة ام بالرمز ام بالقناع ؟ وهل يجرؤ أشد السلفين نزمنا ان يضع
أبا العتاهية شاعرا - كما كان يفعل القدامى - قبالة أبي نواس فيعقد بينهما
مقابلة اليوم ؟

نعم ان العربي يكن عداء للجديد فيبخل عليه ولو بالمناقشة في حالات
خاصة ، لم يستطع أن يجلوها ذلك الباحث لانه رفض دراسة البنية
الاقتصادية في المجتمع العربي - كما صرح في مقدمته - فلم يتها له ان
يربط بينها وبين صراع القديم والجديد في الحياة العربية كلا ، وليس في
الشعر العربي وحده . وعلى ان كاتب هذا البحث لا يدعي القيام بتلك
المهمة ، ولا قدرته عليها ، الا انه المح الى ان المجتمع العربي يرفض الجديد
حين يكون قائما على وعي فردي ، وليس على حركة وعي المجتمع ، وذلك
ما أسماه في « دواعي الصراع » بوجود توفر القدر المشترك من الوعي في
المجدد وفي مجتمعه ، وهو يحسب ان مناقشة المجتمع لابي جديد هو اعتراف
ضمني بأهميته واذا كانت هذه المناقشة قد بدت بزبي الرفض ، فانها ستخلع
عنها هذا الزبي حين تتأكد ان هذا الجديد مما ينسجم وبنيان المجتمع ،

(4) نفسه : 26 ، علما ان ادوننس يعمم حكمه على بنية المجتمع
العربي كله وليس على الجانب الثقافي فيه ، على انه يريد ان يصل من خلال
ذلك الى ثبات القيم الشعرية عند العرب .

وتلك - فيما نحسب - سمة اصالة لا تخلف كما حدث فعلا ،

وإذن فإن المجتمع العربي غير مطالب بقبول كل جديد لهائا وراء برينه ، دون حاجة حقيقية اليه نابغة من نظوره ، وحركة وعيه . وسنكون ممن يظلمه اذا طالبناه بذلك . ان فيول هذا المجسع بقصيدة السياب ورفضه نصيدة يوسف الخال لا يدل بالضرورة على عدائه لكل جديد قدر ما يدل على ان حركة التسعر الحر كانت نابغة من حركة تطور المجتمع ، وان التجريب فيها ، وجرها الى الهلوسة ، والعقم واللا جدوى ، لا يدل على أزمة يعاني منها المجتمع العربي ، فيجد صداها في مجلة « شعر » ، وانما يعاني منها يوسف الخال وحده .

وعلى هذا فان البحث العلمي لا يقتضينا ان نتهم المجتمع - إزاء هذه الظاهرة - بالتخلف ، وانما يقتضينا أن نصنف حركات التجديد المخففة والناجحة ، ونربط بين طبيعتها ونجاحها أو اخفاقها لنستطيع أن نستخلص فانونا في النجاح والاختفاق ، واذا كان هذا البحث وجد ان التجديد المرتبط بوعي فردي ، مخفق لا محالة ، فانه يفسح المجال للاخرين ان يقفوا عنده فيغنوه أو نقضوه . أما كيف يعرف المجدد ان دعوته مرتبطة به أو بمجتمعه فذلك ما يميز المبدع الأصيل من سواه ، وما كان لأصيل أن ينتظر « سمة تجدد » من أحد .

واذا فرغنا من ذلك فنحن مطالبون بتعليل ما يبدو من عنف في مقاومة الجديد ، ومرد ذلك - فيما أظن - الى ان أنموذجي الصراع في العصر العباسي والعصر الحاضر ، ارتبطا بنمو طبقة وسطى في المجتمع ، واذا كان نمو هذه الطبقة - في عصرنا الحاضر - حقيقة واضحة يقرها الباحثون ، فان نموها في المجتمع العباسي يمكن ان يدلنا عليه - فضلا عن تقرير الباحثين - ظهور اتجاه شعبي يمثله أبو العنبس الصيمر ، وأبو العبر الهاشمي ، والفضل بن هاشم بن جدير - وكل هؤلاء عاشوا في أواخر القرن الثاني والنصف الاول من القرن الثالث - فاذا سلمنا بان مرر سمات هذه

الطبقة ، أو فئة المثقفين منها ، النزوع الى الفردية ، ادركنا سر عنف الصراع وتشابه أساليبه وآمننا أن ذلك العنف مرتبط بفردية الطبقة لا بتخلف المجتمع .

ومما يزيد في عنف المقاومة - في رأينا - التقاليد البدوية ، لا الثقافة ذات المنحى الديني ، فالعربي لم يستطع أن يتخلى بعد قيام الاسلام عن فكرة الولاء للقبيلة ، فقد كانت النزعة القبلية واضحة في العصر الاموي ، يزيدا الخلفاء الامويون أنفسهم اشتعالا ، واذ أذل العصر العباسي الروح القبليه - فقد تحول الفرد العربي عنها الى ولاء جديد ، هو انولاء للمدينة . وما حديث المفاضلة بين المدن في مجالس الخلفاء ، وتعصب كل فريق لمدينته بسر خفي . وظلت فكرة الولاء قائمة في عصرنا الحاضر ، ولم تبدل الا الجهة التي منح هذا الولاء . فأنصار القديم يوالون أصحابهم ولاء بدويا ، ويتضامنون معهم تضامنا قبليا ، وأنصار الجديد يوالون أصحابهم أيضا بمثل ولاء أولئك بل ان هذا الولاء البدوي ليتلبس بمعتقي أكثر الفلسفات المعاصرة تحضرا .

وإذن فإن داء المجتمع العربي فيما يبدو اعليه من عنف متطرف هو في امتداد بداوة العصر الجاهلي ، لا في ثقافته ذات المنحى الديني ، ان كانت هذه الثقافة قائمة حقا .

* * *

وبعد ، فماذا قدمت هذه الدراسة من جديد الى الدراسات الادبية ؟
وإزاء الاجابة عن هذا السؤال ، بدا لكاتبها ان يسأل هو أيضا عن دراسة سبقته في هذا الموضوع ؟

ان الموضوع برمته - وأعوذ بالله من العرور - جديد لم يدرس ، واذا درس هذا الجانب منه أو ذلك ، فان أحسدا لم يربط بين ماضي الصراع وحاضرة - اذا جازت التسمية - كما فعلت هذه الدراسة ، وان أحدا لم يقيم الدليل على ما يبدو انه من البديهيات في الصراع لانه ظاهرة انسانية ، واذا كانت هناك جوانب قاصرة في هذه الدراسة - ولا بد منها - فانه ليسر كاتبها

• أن ينهض الآخرون باكمالها ، ويفرحه ان يكون فد نبه الى هذا الموضوع .
وفضلا عن ذلك وهذا ، فقد خالجت صاحب هذه الدراسة - وهو
يحب في مواطن منها - أمور قد يكون من المفيد التنبيه اليها .
فقد لفت نظره ، وهو يبحث في مظاهر الصراع ، واخلاق فريقيه ،
ويقرر أهمية ارتكاز الفريقين الى القديم ، مرة في التقليل من شأن الجديد ،
وأخرى في اثبات صلة الجديد به ، لفت نظره ان هذا الارتكاز يبلغ من
الأهمية بحيث لا يجد أنصار القديم ولا أنصار الجديد حرجا في ان ينحلوا
القديم - وأعني بهم الشعراء الجاهليين - أشعارهم نفيًا لتهمة الخروج عن
سنن العرب في الشعر مرة ، واثباتًا لمقولة ان الجديد لم يأت بجديد
مرة أخرى .

واذ لفت نظره هذا الامر بدا له ان يجرؤ على القول بأنه ينبغي للباحثين
في قضية الالتحال في الشعر الجاهلي ، ان يولوا مسألة الصراع بين القديم
والجديد في الشعر العربي أهمية ، فقد دأب الباحثون المعاصرون
- وهم يبحثون قضية الالتحال - على ترديد ما جاء به النقاد العرب من
أسبابها ، دون محاولة جادة للتعمق في دراستها ، وربط جانب من جوانبها
بالصراع بين القديم والجديد ، وبحاجة المجددين الى ان يدعموا خروجهم
على مذاهب العرب في الشعر بشواهد من الشعر القديم لا يتورعون ان
يحلوها الشعراء الجاهليين . واذا كان بعض الرواة قد تنبه الى شيء من
هذا فانه لم يتنبه الى السرفيه ، ولم يسأل عن يفيد من نحل امرئ القيس
يبه محسوا بالجناس المستكره مثلا ، ولم يتنبه أيضا الى مصلحة أنصار
القديم في أن ينحلوا القديم بعضا من أشعارهم التي تخرج قليلا أو كثيرا
عن مذاهب العرب المعروفة في الشعر .

لقد بحث الدكتور طه حسين أسباب الالتحال ، وهو يكاد يكون اكثر
الباحثين المعاصرين اهتماما بالقضية ، فوقف عند السياسة ، والدين ،

والقصص ، والنسوعية ، والرواة⁽⁵⁾ ، وكان ذكره الرواة بارقة أمل في ان يتنبه الى بعضهم للشعر القديم فيربط بيه وبين الاتحال ، ولكنه لم يتنبه الى ذلك ، ولم يزد على قوله : « ولعل أهم هذه المؤثرات التي عبثت بالادب العربي ، وجعلت حظه من الهزل عظيما : مجون الرواة ، واسرافهم في اللهو والعبث ، وانصرافهم عن أصول الدين وقواعد الاخلاق الى ما يآباه الدين وتنكره الاخلاق »⁽⁶⁾ . ولو وضع - رحمه الله - في حسابه مسألة الصراع بين القديم والجديد ، لاضاف الى مجونهم واسرافهم ، ورقة دينهم ، تعصبهم للقديم ومنابعتهم وانصرافهم الى تسفيه الجديد ولو من طريق نحل القدامى ما لم يقولوه .

ولفت نظر كاتب هذه الدراسة أيضا - وهو يبحث في أخلاق فريقتي الصراع - محاولة أنصار القديم ارجاع المقبول الحسن من الجديد الى الاوائل' وتعصبهم في ذلك ، وعقدتهم - في سبيل انجاح تلك المحاولة - أبوابا في السرقات الشعرية ، فود لو ان الباحثين في مشكلة السرقات في النقد الادبي أعادوا النظر في بحث هذه المشكلة ، عسى أن يهديهم البحث - هذه المرة - الى ان ابن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ - وهم يعتدونه أول من أشار اليها - ربما كان صدى لما يدور في عصره من صراع بين القديم والجديد ، والى ان أشارته الى سرقات الجاهليين يمكن ان تكون صدى أيضا لما برده انصار الجديد - وهم يدافعون عن أنفسهم - من أن السرق داء قديم لم يبرأ منه الجاهليون ولا الاسلاميون ، فيتهماً لهم - عند ذلك - ان يربطوا ابن سلام بعصره ، ولا يأخذوه ظاهرة خارقة ألم في كتابه بكل شيء .

ولو أعاد الباحثون المعاصرون النظر في بحث مشكلة السرقات لتهدأ لهم ان يعللوا مبالغة القدامى في أمرها وتقسيمهم اياها الى اغارة ، واحتذاء ، وسلخ وما الى ذلك . فقد وقف بعض المعاصرين عند هذه المبالغة ، ولقت

(5) ينظر في الادب الجاهلي : 116-177 .

(6) نفسه : 168 .

نظرهم دون ان يستطيعوا تعليها ، ولو كانوا عقدوا في مباحثهم فصلا في أثر الصراع ، وأثر أخلاق فريقه في بحث مشكلة السرقات لبدت لهم تلك المبالغة طبيعية ، لا تنفصل عن تعصب الفريقين •

وإذ ربط المعاصرون بين ما أثاره أبو نواس وما أنارنه المفاصلة بين أبي تمام والبحري من نشاط نقدي ، ونشاط في البحث في السرقات (7) بدا أن ذلك ايدان بالاقتراب من لب المشكلة وجوهرها ، ولكن هذا الايدان لم يتعد نفسه حين أخذوا الامر على انه مسألة أقرب الى ان تكون فردية • ولو بحثوا الامر من منظور الصراع لكانوا قد سلكوا الطريق التي ببغي أن يسلكوها فيه ، ولهم ، آنذاك ، ان يجدوا كثيرا مما يستغربون سهلا على الفهم ، ميسورا على الادراك •

وإذن فانا نستطيع ان نقرر أن قضية السرقات التي بحثها نقادنا القدامى كان قد أسهم الصراع في التنبه اليها ، وفي عقد مباحثها • واذا كان الباحثون قد توصلوا الى أن بحث قضية اللفظ والمعنى في النقد نشأ بوحى من الاعتزال ، فانا رأينا في « قضايا الصراع الفنية » ان للصراع أثرا في ذلك أيضا •

ولو تسنى للباحثين أن يقسموا الادباء الى طائفتين هما أنصار القديم وأنصار الجديد لفتح لهم ذلك أن ينظروا الى أخبارهم نظرة أخرى ، ولهم ذلك أيضا أن يفسروا كثيرا من تصرفاتهم التي تبدو عصية على التفسير ، ولسنا نزعم اننا اهتدينا الى شيء من ذلك ، ولكن حسينا ان تنبه الباحثين الى ان يضعوا مسألة الصراع - حين يبحثون حياة هذا الشاعر أو ذاك - في حسابهم ، ويضعوها في حسابهم أيضا حين ينقبون في أخبار هذا الناقد أو ذاك ، وحين ينقرون في صلات هذا الراوية أو غيره •

ولا أريد أن أغلو بأمر هذا التقسيم ، فاقترح أساسا آخر لدراسة الادب العربي ، ولكني لا أسمح لنفسي - في الاقل - وقد رأيت في أخلاق

(7) ينظر مشكلة السرقات في النقد العربي : 44 .

الصراع ما رأبت ، ان أخذ شعوية أبي نواس على علانها ، دون أن أضع
- في حسابي - نعصب الرواة للشعر القديم ، وما يمكن ان يكون لهذا
التعصب من رد فعل في نفسه ، ولا أسمح لها أن تأخذ زندفة بشار - وهو أبو
المحدثين - دون ندقيق • ولاصلة ابي تمام بالبحثري ورعاينه اياه على أن
مرجعها كونها شامبين من قبيلة واحدة •

وحسب هذه الدراسة أن تضع الاختلاف في المذهب الشعري ،
والصراع بين القديم والجديد ، زاوية من زوايا النظر المهمة في دراسة العصر
العباسي ، وعصرنا الحاضر ، والحركة الشعرية فيها •

الفهارس

فهرست الاعلام (*)

(أ)

- أناطة ، عزيز 71 ، 98 ، 138 ، 158 .
إبراهيم ، حافظ . 36 ، 63 ، 67 ، 97 ، 137 ، 142 ، 176
إبراهيم ، رضوان 70
إبراهيم بن المدير - 58 .
ابن أبي اسحاق . 50 ، 56 .
ابن أبي الأبيض 79 .
ابن أبي الثياب البغدادي : 60 .
ابن أبي سلمى ، زهير . 17 ، 18 ، 19 ، 20
ابن أبي الصلت ، أمية : 135 .
ابن أبي قطيفة ، عمر . 174
ابن الأثير : ضياء الدين . 190 ، 191
ابن الاعرابي : 8 ، 52 ، 55 ، 57 ، 136 ، 158 ، 167
ابن ثوانة 58 ، 84
ابن جنى 61 .
ابن الخثعمي : 144 .
ابن رزيق : 80 ، 106
ابن قتيبة : 51 ، 54
ابن القطاع : 61 .
ابن المقفع ، عبد الله 33
ابن منادر : 33 ، 52 ، 157 ، 158 .
ابن مهرويه . 58 .
ابن وكيع التنيسي . 60
أبو تمام (حبيب بن أوس) 5 ، 6 ، 8 ، 26 ، 37 ، 28 ، 57 ، 59 ، 60 ، 62 ، 64 ، 81 ،
84 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 126 ، 130 ، 132 ،
133 ، 135 ، 137 ، 140 ، 141 ، 144 ، 155 ، 156 ، 161 ،
163 ، 166 ، 167 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 184 ، 186 ،
188 ، 189 ، 190 ، 209 ، 217 .

(*) لم تثبت أسماء الاعلام الذين وردوا في الهوامش .

أبو حديد ، محمد فريد . 67 ، 144
 أبو الحسن الطرائفى . 61 .
 أبو سعد ، أحمد . 65 .
 أبو سعيد الضريير 166
 أبوشادى ، أحمد زكى 66 ، 76 ، 140
 أبو شكة ، الياس 42 ، 67 ، 119
 أبو شقرا ، شوقى . 70 ، 205 .
 أبو العبر الهاتمى : 186 ، 212
 أبو عبيدة : 26 ، 52 ، 54 ، 135 ، 171 ، 176
 أبو العتاهية : 23 ، 52 ، 54 ، 55 ، 57 ، 79 ، 211 .
 أبو العذافر 132 ، 149 ، 204
 أبو على الأصفر 53
 أبو على البصير : 53 ، 151 .
 أبو على الهبارى : 53 .
 أبو عمرو بن العلاء : 19 ، 21 ، 50 ، 127 ، 160 .
 أبو العميل : 166 .
 أبو العتيس الصيمرى : 186 ، 212 .
 أبو ماضى ، ايليا : 42 ، 98 ، 193 .
 أبو النجاة ، محمود : 67 .
 أبو نراس : 23 ، 25 ، 26 ، 52 ، 54 ، 55 ، 132 ، 133 ، 148 ، 151 ، 156 ، 158 ،
 . 167 ، 169 ، 211 .
 أبو هقان : 53 ، 57 .
 أبو الوفا ، محمود : 67 .
 أبايرى ، إبراهيم : 71 .
 الآمدى ، الحسن بن بشر : 59 ، 86 ، 87 ، 100 ، 128 ، 135 ، 163 ، 184 .
 الأحمد بن موسى : 173 .
 أحمد بن يحيى بن على : 171 .
 الأخطل : 172 .
 الأخطل الصغير ابشارة الخورى) : 36 ، 70 ، 151 .
 الأخفش : 54 ، 56 .
 أدونيس (على أحمد سعيد) : 9 ، 70 ، 96 ، 199 ، 202 .
 اسحاق بن ثابت العطار : 183 .
 اسماعيل ، عز الدين . 69 .

اسماعيل ، محيى الدين 69
اسماعيل ، مظهر 67
الأصفهاني ، أبو الفرج . 59 ، 132 ، 155 ، 171 .
الأصفهاني ، عبد الله بن عبد الرحمن : 62 .
الأصمعي : 19 ، 50 ، 51 ، 55 ، 127 ، 135 ، 176 .
الأعشى : 20 ، 135 ، 136
الافليلي : ابراهيم بن محمد : 61 .
امرؤ القيس : 17 ، 19 ، 127 ، 157 ، 214 .
أمين أحمد : 67 .
الأمين ، عز الدين : 71 ، 127 ، 157 ، 214 .
الأنصاري ، أبو الغمر : 173 .
ايزوب : 109 .

(ب)

البارودي ، محمود سامي : 31 ، 142 ، 192 .
بايرون : 41 .
البحترى . 57 ، 59 ، 64 ، 86 ، 137 ، 140 ، 141 ، 163 ، 186 ، 216 ، 218 .
بدوى الجبل (محمد سليمان الأحمد) : 70 ، 94 ، 134
بدوى ، عبده . 152
بسيو ، معين : 44 .
بشار بن برد : 26 ، 51 ، 52 ، 55 ، 56 ، 57 ، 131 ، 156 ، 171 ، 217 .
بشر بن يحيى القيني . 163 .
بكر بن الطاح : 188 .
بلوتارخ : 109 .
البهاء زهير : 97
بيتوفن . 146
البياني ، حسن . 69 .
البياتي ، حسن : 69
البياتي ، عبد الوهاب : 69 ، 93 ، 142 ، 155 ، 163 ، 167 ، 168 ، 200 ، 202 ، 203 .

(ت)

التكرلي ، نهاد : 69 .
توفيق ، أكرم . 69 .
تولستوري : 146 .

(ث)

ثعلب (أحمد بن يحيى) 59 ، 84 .

(ج)

الجاحظ (عمرو بن بحر) . 54

الجارم ، على . 144 .

جبرا ، جبرا إبراهيم 70

جبران ، جبران خليل . 42 ، 192

جبران ، يوسف : 70

الجبلاوى ، محمد طاهر 144 .

جحظة . 172 .

الجداوى ، حسن : 67 .

الجر ، شكر الله : 195 .

الجرجاني ، على عبد لاهزير . 28 ، 62 ، 133 ، 161 ، 163 .

جرير : 20 ، 50 .

جمال الدين ، مصطفى : 71 ، 129 ، 138 ، 165 .

الجمحي ، ابن سلام : 215 .

الجماز ، كاظم : 69 ، 203 .

الجواهري ، محمد مهدي . 43 ، 44 ، 70 ، 93 ، 94 ، 134 ، 138 ، 163 ، 165 .

جودت ، صالح : 71 ، 138 ، 170 .

جون ستورات ميل : 41 .

الجيوسي ، سلمى الخطراء : 70 .

(ج)

الخانمي ، محمد بن الحسن : 60 .

الحاج ، الياس : 70 .

الحاج أنسى : 45 ، 70 ، 201 .

حافظ الشيرازي : 162 .

الحسامي ، منير : 139 .

حسن سبالة : 67 .

الحسن بن علي : 173 .

الحسن بن وهب : 58 ، 172 - 173 .

حسون ، رزق الله : 80 ، 209 .

حسين ، طه : 68 ، 97 ، 98 ، 145 ، 14 .

حشمت باشا . 176 .

الحكيم ، توفيق 150
الحلى ، حيدر 192
الحلى ، على . 150 .
حمام ، محمد مصطفى . 143 .
الحميرى ، السيد . ١٨٣ .
الحيدرى ، بلند : 69 ، 114 ، 200 ،
الحيدرى ، صفاء : 69 .

(خ)

الخال ، يوسف : 45 ، 70 ، 142 ، 212 .
خالدى ، محمد . 70 .
خالص ، صلاح 72
الخزرجى ، عاتكة : 71 ، 138
خزندار الشاذلى : 192
خشبة ، درينى : 67 ، 138 ، 142 ، 144 ، 145 ، 146 .
خضرم ، عباس 'حسان' . 84 ، 87
الخطيب ، يوسف : 72
خلف بن أبى عمرو بن العلاء . 55 .
خلف الأحمر . 52 ، 55 ، 157 .
خورى ، رثيف : 69 .
الخطاط ، جلال : 70 ، 133 .

(د)

دعبل بن على : 57 ، 90 ، 137 ، 161 ، 166 ، 172 - 173 .
دعيس ، سعد . 152 ، 170
الدسوقى ، عمر : 71 .
ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) : 81

(د)

ذو الرمة . 20 ، 160 ، 183 .
ذياب ، يوسف نمر . 165 ، 166 .

(ر)

رامى ، أحمد : 144 .
رزوق ، رزوق فرج . 69 .
الرصافى ، معروف . 36 ، 43 ، 92 ، 194 .
منوان ، محمد محمود : 67 ، 141 .

- . الرضى (الشريف) 29 .
- . الرفاعى ، هاشم : 152 .
- . رفقة ، فؤاد : 45 .
- . رؤبة : 33 .
- . الريحانى ، أمين : 34 ، 77 - 87 ، 139 .

(ز)

- . زحلاوى ، حبيب : 67 .
- . زغلول ، سعد : 34 ، 95 .
- . زكى ، أحمد كمال : 69 - 70 .
- . الزاوى ، جميل صدقى : 34 ، 44 ، 129 ، 194 ، 209 .
- . الزين ، أحمد كمال : 67 - 70 .
- . الزهارى ، جميل صدقى : 34 ، 44 ، 129 ، 194 ، 209 .
- . الزين ، أحمد : 67 .
- . الزيات ، أحمد حسن : 68 .

(س)

- . سالمان ، أحمد محمد 67 .
- . السامرائى ، إبراهيم : 72 .
- . السجستانى ، أبو حاتم : 58 .
- . السجستانى ، محمد بن العلاء : 25 .
- . السحرتى ، مصطفى عبد اللطيف . 72 .
- . سعد بن محمد الأزدي : 60 .
- . سعدى (الشيرازى) : 162 .
- . سعيد ، حميد : 70 .
- . السعيد ، راضى مهدي : 69 ، 81 ، 140 .
- . سلوم ، داود : 72 .
- . سيويه : 56 .
- . السياب ، بدر شاكر : 6 ، 43 ، 69 ، 93 ، 131 ، 133 ، 140 ، 151 ، 162 ، 167 ، 203 .
- . سيد الأهل ، عبد العزيز : 70 .

(ش)

- . الشابى ، أبو القاسم : 42 ، 67 .
- . الشيبى ، محمد رضا : 36 .
- . الشديدى ، موفق : 70 .
- . الشرقاوى ، عبد الرحمن : 44 .

الشرقي ، الطيب 69
شكري ، عبد الرحمن 39 ، 40 ، 42 ، 63 ، 91 ، 140 ، 195
شكوى ، غالى . 70 ، 130 ، 139
شكسیر 109 .
شلى 41
شوقى ، أحمد . 37 ، 38 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 91 ، 95 ، 97 ، 134 ، 137 ، 142 ،
151 ، 156 ، 165 ، 174 ، 194 .
شوب ، خليل . 144 .

(ص)

الصانع ، توفيق . 45 ، 70
الصايبى ، أبو اسحاق : 190 ، 191
الصاحب بن عباد : 60
صالح ، الياس : 32 .
صعب ، صادق . 69 .
الصوقى ، عبد الياسط : 152 .
الصولى ، أبو بكر محمد بن يحيى . 59 .
الصيرفى ، حسنكامل : 67 .

(ض)

الضبعى ، شيل بن عزوة : 171 .

(ط)

طاقة ، شادل : 70 ، 138 .
الطاهر ، على جواد . 6 ، 13 ، 72 .
طرفه بن العبد : 20 .
الطرماح : 135 .
الطعمة ، صالح جواد : 69 .
الطنطاوى ، رفاعة . 32
الطوسى ، محمد بن حميد : 174
طوفان ، فدوى : 69 .

(ظ)

الظريفى ، حسين : 36 ، 67 .

(ع)

العالم ، محمود أمين : 69 ، 80 .
العباس بن الأحنف : 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 .

- عبد البديع ، لطفى : 72
عبد الجواد ، رمضان : 67 .
عبد الصبور ، صلاح : 44 ، 69 ، 127 ، 131 ، 158 ، 200 ، 203 ، 204 .
عبد الصمد بن المعذل : 89 - 90
عبد الواحد ، عبد الرازق : 72 .
عبود ، مارون : 146 .
عبيد بن الأبرص : 20 .
عبيد الله بن سليمان : 58 .
العتابي : 26 ، 131 .
عثمان حلمي : 67 .
العجاج : 23 .
عدوان ، ممدوح : 93 .
عدى بن زيد : 20 ، 135 .
العرجي : 20 .
العريض ، ابراهيم : 71 ، 128 .
عزام ، عيد الوهاب : 68 .
العزاوي ، فاضل : 70 ، 93 .
عز الدين ، يوسف : 128 ، 138 .
العسكري (الحسن بن عبد الله) : 127 .
عصابة الجرجرائي : 58 ، 91 .
عطوى ، فوزي خليل : 71 .
العقاد ، عباس محمود : 6 ، 8 ، 38 ، 39 ، 42 ، 62 ، 71 ، 91 ، 92 ، 64 - 95 ، 109 ،
126 ، 137 ، 139 ، 144 ، 155 ، 158 ، 162 ، 164 ، 165 ،
174 ، 195 ، 196 .
عقل ، سعيد : 160 .
على أحمد باكثير : 67 .
على بن الجهم : 90 .
على بن حمزة : 61 .
على ، الزبير : 69 .
عمارة بن عقيل : 58 .
العماري ، على : 9 ، 76 .
عمر ابن أبي نطيفة : 58 .
عمر بن شبة : 53 .

العميدى ، محمد بن أحمد 61
عنتره - 17 ، 18 ، 19
عون ، الياس : 201 .
عون بن محمد : 58
العيسى ، سليمان : 152 .

(غ)

غالى ، حفنى : 67
غريب ، روز : 69 .
غوغان 146

(ف)

فاتق ، صلاح . 70
فارس ، بتر : 67
فاروق (الملك) : 170
فرحات ، الياس . 195 .
القرزق : 19 ، 20
فرمان ، غائب طعمة . 70 .
فريد ، عبد الخالق . 176 .
الفضل بن الربيع : 176 .
الفضل بن هاشم بن جدير : 212 .
فضل اليزيدى : 58
الفيل ، عبسة : 51 .

(ق)

قبادو ، محمود : 31 .
القاسم بن اسماعيل . 58
قبانى ، نزار . 133 ، 141 ، 146 - 147 ، 150 ، 151 ، 152 ، 200
قدامة بن جعفر : 25
القرزاز ، مهدى . 71
قطب ، سيد : 138 ، 196 .
القلماوى ، سهير : 72
قنصل ، الياس : 70
القيسى ، زهير أحمد . 69 ، 81 .

(ك)

كارليل : 41 .

- . الكاشف ، أحمد : 144 .
- كامل ، مصطفى . 165
- . الكيسي ، طراد . 70 ، 147 .
- . كريم ، فوزى : 70 .
- . الكمالى ، شفيق : 72 .
- الكميت : 135

(ل)

- . لافونتين : 109 .
- . اللبان ، سعد : 174 – 175 .
- . لبكى ، صالح : 67 .
- . لييد : 18 .
- . لؤلؤة ، عبد الواحد : 70 .
- . ليونارد دافنشى . 146 .

(م)

- . المازنى ، ابراهيم عبد القادر . 42 ، 62 ، 63 ، 66 ، 91 ، 92 ، 137 ، 140 ، 164 ، 176 .
- . مبارك ، زكى . 67 .
- . الميرد ، محمد بن يزيد : 54 ، 59 .
- . المتلمس : 171 .
- . المتبى ، أحمد بن الحسين : 6 ، 7 ، 28 ، 29 ، 60 ، 60 – 63 ، 156 ، 159 ، 163 ، 170 ،
- . 187 ، 191 .
- . المتوكل : 186 .
- . مقال الواسطى : 58 .
- . مجذوب ، محمد : 69 .
- . محرم ، أحمد : 144 .
- . محفوظ ، عصام : 70 ، 201 .
- . محمد بن أحمد المغربى : 61 .
- . محمد بن جابر الازدى : 161 .
- . محمد بن حازم الباهلى : 58 .
- . محمد بن زياد : 54 .
- . محمد بن صالح بن بيهس : 53 .
- . محمد باشا عارف : 31 .
- . محمد بن عبد الملك الزيات : 58 .
- . محمد بن عبد الملك بن صالح : 57 .

- محمد على ناشا 30 ، 31 ، 32
محمد بن عمر 144
محمود البشيشي 68
محمود حسن اسماعيل 67 ، 85 ، 87 ، 143 ، 164 ، 166 ، 170 ، 174 ، 197
اختار ، عمر . 35
مخلد بن بكار الموصلي : 58
مخيمر ، أحمد . 67 ، 197
مردان ، حسين : 69 ، 92 ، 165 ، 200
المرزوقي : 59 .
مروان بن أبي حفصة : 51 - 52 .
مسلم بن الوليد : 26 ، 28 ، 52 ، 54 ، 57 ، 131 ، 132 - 133 ، 136 ، 137 ، 148 ، 151
مصطفى ، خالد على . 70 .
المصعبي ، اسحاق ابراهيم : 58 ، 166 - 167
مطر ، محمد عفيفي : 204
مطران ، خليل : 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 100 ، 107 ، 109 ، 144 ، 155 ، 209 .
مطلوب ، أحمد : 129 .
مطيع بن اياس : 24 .
المعداوي ، أنور : 71 .
المعري ، أبو العلاء 8 .
المعلوف ، رياض : 67 .
المعلوف ، شقيق 67 .
مفتاح ، رمزي : 67 .
المفضل الضبي : 52 - 53 .
الملائكة ، نارك : 44 ، 69 ، 112 ، 129 ، 134 ، 142 ، 152 ، 199 ، 203 .
مندور ، محمد : 38 ، 69
مهدي ، سامي . 70 ، 93 ، 167
مهلهل بن يموت : 161 .
المهندس ، علي محمود طه . 42 ، 67 ، 144 ، 149 ، 196
موزارت . 146 .
موسى ، شمس الدين . 70 .
الموصلي ، اسحاق بن ابراهيم . 53 ، 55 ، 58 ، 136 ، 166 ، 167 ، 171 ، 167 ، 183
(ن)
النابغتان (الذبياني والجددي) . 20
النابع البياني . 157 .

- نابليون : 30
 ناجي ، ابراهيم : 42 ، 66 ، 144 ، 196
 ناسيت : 109 .
 الناعوري ، عيس : 71 .
 النامي ، أبو العباس 60
 نجف ، محمد مهدي 13
 النجفي ، أحمد الصافي 70 ، 167 ، 194 .
 النشار ، عبد اللطيف : 67 .
 نعيمة ، ميخائيل : 39 ، 40 ، 42 ، 139 ، 193 ، 195 ، 198 .
 النقاش : رجاء : 69
 النقدي ، موسى 69 ، 81 .
 النمرى ، منصور : 26 .
 نور ، معاوية محمد : 67 ، 87 .
 النويهي ، محمد : 70 ، 81 ، 200 .
- (هـ)
- هارون بن علي : 53 .
 الهراوى ، محمد : 67
 الهمشري ، محمد عبد المعطى : 67 .
 هنداوى ، خليل : 71
 هيكل ، محمد حسين . 66 .
- (و)
- والت ويتمان : 34 .
 الوترى ، أكرم . 81 .
 الوكيل ، العوضى : 71 ، 138 ، 164 ، 166 ، 170 ، 174 .
 الوليد بن يزيد : 20 .
 ورود زورث : 41 .
- (ى)
- اليازجى ، ابراهيم : 31 ، 32 ، 192 .
 اليازجى ، سعيد . 32 .
 اليازجى ، كمال : 69
 يحيى بن زياد : 24 .
 يحيى بن علي المنجم : 53 .
 يزيد بن محمد المهلبى : 54 - 55
 يوسف ، سعدى 70 ، 203 ، 204 .
 يونس : 26

فهرست المصادر

- الإبانة عن سرقان المتنبى - أبو سعيد محمد بن احمد العميدي (ت
433 هـ) ، تح : ابراهيم الدسوقي ، مط دار المعارف بمصر 1961 .
- اخبار ابي تمام - ابو بكر محمد بن يحيى الصولي (ب 335 هـ او 336)
تح : خليل عساكر ومحمد عبده عرام . ونظير الاسلام الهندي ، مط
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1937 .
- اخبار البحتري - ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، تح : صالح
الاشتر ، ط 2 ، مط دار الفكر ، دمشق ، 1964 .
- احبار الشعراء ، ابو بكر بن يحيى الصولي . تح : هيورب دن . مط
الصاوي ، القاهرة ، 1934 .
- الادب العربي المعاصر ، اعمال مؤتمر روما ، مجموعه مؤلفين - منشورات
اضواء ، د. ت. (تاريخ انعقاد المؤتمر 1961) .
- الادب وفنونه ، دراسة وبعد - د. عزالدين اسماعيل . ط 1 ، مط
الاعتماد ، القاهرة ، 1955 .
- أدباء ومواقف - رجاء نقاش ، المكتبة العصرية . صيدا ، بيروت ،
د. ب.
- أدبا وأدباؤنا في المهاجر الامريكية - جورج صيدح ، ط 3 . دار العلم
للملايين ، بيروت ، 1964 .
- أساطير (شعر) - بدر شاكر السياب ، مط الفرى الحديدية ، النجف ،
1950 .
- اسرار البلاغة - عبدالعاهر الجرجاني (471 هـ) ، تح : رنتر ، مط
وزارة المعارف ، استانبول ، 1954 .
- أصوات غاضبة في الادب والنقد - رجاء النقاش ، منشورات دار الاداب ،
بيروت ، 1958 .
- اضواء على الادب العربي المعاصر - انور الجدي ، دار الكاتب العربي
للطباعه والنشر ، القاهرة ، 1968 .
- الاغاني - ابو الفرح علي بن الحسن الاصبهاني (356 هـ) ، ج 1 -
22 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- افاعى العردوس (شعر) - الياس أبو شبكة ، ط 3 ، دار الحضارة ،
بيروت ، 1962 .
- الافكار المستحدثة وكيف تنتشر - افريت م. روجرز ، ترجمه سامي
ناتد ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، منشورات عالم الكتب ،
د. ت.
- أقول لكم (شعر) - صلاح عبدالصبور ، المكتب التجاري ، بيروت ،
1961 .

- الياذة هوميروس - تعريب سليمان البستاني ، مط الهلال ، مصر ، 1904 .
- الياس ابو نسبكه وسعده - رزوف برج رروق . مط دار الكشاف ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، 1956 .
- أمالي المرتضى - الشريف علي بن الحسين المرتضى (346 هـ) ، تح : محمد أبي الفضل ابراهيم ، مط البابي الحلبي ، القاهرة ، 1954 .
- الامة العربية على الطريق الى وحدة الهدف ، تاريخ الامة العربية من الاحتلال العماني الى مؤتمر القمة العربي . (1514 - 1964) محمد فرج ، المط العالمية ، القاهرة . د.ت .
- أمين الريحاني - عيسى ميخائيل سابا ، مط دار المعارف ، مصر ، 1968 .
- انفاس السحر (شعر) - د. عاتكة الحزرجي ، مؤسسه فن الطباعة ، مصر ، 1963 (ت.م) .
- أوراس (شعر) - احمد عبدالمعطي حجازي ، دار العودة ، بيروت ، د.ت .
- الايقاع في الشعر العربي من البيت الى التفعيلة - مصطفى جمال الدين ، ط 2 . مط النعمان ، النجف ، 1974 .
- ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الاكبر (شعر) - أبو ماضي ، ط 2 ، المط التعاونية ، لبنان ، منشورات دار اليقظة في دمشق ، 1963 .
- ابن المفر (شعر) - محمود حسن اسماعيل ، ط 2 ، مكتبة الامل . الكويت ، 1968 .
- البحث عن الجذور - خالدة سعيد ، دار مجلة شعر ، بيروت ، 1960 .
- البحث عن معنسى - الدكتور عبدالواحد لؤلؤة ، مط الجمهورية . بغداد . منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1973 .
- بدر تباكر السياب ، دراسه في حياته وشعره - د. احسان عباس . ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972 .
- البديع - عبدالله بن المعتز (ت 296 هـ) ، تح : كراتشكوفسكي . دار الحكمة (أوفسيت) ، دمشق ، د.ت .
- البصائر والذخائر - أبو حيان التوحيدي (414 هـ ؟) تح : د. ابراهيم الكيلاني ، مط الانشاء ، دمشق ، د.ت .
- بلاغة العرب في القرن العشرين - محيي الدين رضا ، مصر ، 1924 .
- البند في الادب العربي - عبدالكريم الدجيلي ، مط المعارف ، بغداد ، 1959 .
- البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) تح : عبدالسلام محمد هارون ، ط 3 ، 1968 .

- تاريخ - 'الفه العربية - جرجي زيدان ، مراجعة : د. شوقي ضيف ، دار الهلال ، القاهرة ، 1957 .
- تاريخ الادب الابدلسي ، عصر الطوائف والمرابطين - د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1962 .
- تاريخ الادب العربي - كارل بروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار ، ط دار المعارف ، القاهرة ، 1961 .
- تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري - طه احمد ابراهيم ، دار الحكمة ، دمشق ، 1972 .
- تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر ، من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثامن الهجري - د. احسان عباس ، مط دار القلم ، بيروت ، منشورات دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، 1971 .
- تطور الشعر العربي الحديث في مصر 1900-1950 - د. ماهر حسن فهمي ، مط الرسالة ، مصر ، 1958 .
- تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين - د. داود سلوم ، مط المعارف ، بغداد ، 1959 .
- تطور النقد والفكر الادبي الحديث في مصر في الربع الاول من القرن العشرين - د. حلمي علي مرزوق ، دار المعارف ، مصر ، 1961 .
- التابت والتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب - أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، 1974 .
- ثورة الادب - د. محمد حسن هيكل ، مط السياسة ، مصر ، 1933 .
- جماعة ابولو وانرها في الشعر الحديث - عبدالعزيز الدسوقي ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1971 .
- الحالي والعاطل تنمة للحق امل الامل - د. عبدالرزاق محيي الدين ، مط الاداب ، النجف ، 1971 .
- حديث الاربعاء - د. طه حسين ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
- حركات التجديد في الادب العربي - مجموعة مؤلفين ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1975-1976 .
- حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي - س. موريه ، ترجمة سعد مصلوح ، مط المدني ، القاهرة ، منشورات عالم الكتب ، 1971 .
- حصاد الهشيم - ابراهيم عبدالقادر المازني ، ط 6 ، المط العصرية ، مصر ، د.ت. (تاريخ الطبعة الاولى 1924) .
- الحوار الادبي حول الشعر من بداية القرن العشرين الى قيام الحرب العالمية الثانية - د. محمد أبو الانوار ، دار الزيني للطباعة ، القاهرة ، منشورات مكتبة الشباب ، 1975 .
- حياة شوقي - احمد محفوظ ، مط مصر ، مصر ، د.ت.

- حياتي في الشعر ، صلاح عبدالصبور ، دار العودة ، بيروت ، 1969 .
- الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255 هـ) تح: عبدالسلام محمد هارون ، ط البابي الحلبي ، القاهرة ، 1938-1945 .
- الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني (392 هـ) تح: محمد علي النجار ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1952-1956 .
- دعبل بن علي الخزاعي ، شاعر آل البيت - د. عبدالكريم الاستر ، دار الفكر ، دمشق ، 1964 .
- دلائل الاعجاز في علم المعاني - عبدالقاهر الجرجاني (471 هـ) ، تصحيح ، محمد عبده ، ومحمد محمود الشنقيطي ، منشورات مكتبة القاهرة ، 1961 .
- الديوان في الادب والنقد ، الجزء الاول والثاني - العماد ، والمازني ، ط 3 ، مط دار الشعب ، القاهرة ، د.ت. (تاريخ الطبعة الاولى الاولى 1921) .
- الديوان كتاب في النقد والادب ، الجزء الثالث - العوسي الوكيل ، وادي النيل للدعاية والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1968 .
- ديوان ابي نواس ، الحسن بن هاني (195 هـ) ، تح: احمد عبدالمجيد الغزالي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1953 ، (ت.م) .
- ديوان بدر شاكر السياب - بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، 1971 .
- ديوان جميل صدقي الزهاوي ، ط دار العودة ، بيروت ، 1972 .
- ديوان الجواهري - محمد مهدي الجواهري ، تح: د. ابراهيم السامرائي ، د. مهدي المخزومي ، د. علي جواد الطاهر ، رشيد نكتاش ، مط الاديب ، بغداد ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1973-1975 .
- ديوان الخليل - خليل مطران ، ط 2 ، مط دار الهلال ، مصر ، 1949 (تاريخ الطبعة الاولى 1908) .
- ديوان عبدالرحمن تكري - عبدالرحمن تكري ، تقديم نفولا يوسف ، توزيع المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، 1960 .
- ديوان العقاد - عباس محمود العقاد ، مط وحدة الصيانة والانتاج ، اسوان ، مصر ، 1967 .
- ذكريات شباب - عبدالقادر الفط ، دار مصر للطباعة ، منشورات مكتبة مصر ، 1958 (ت.م) .
- رسائل السياب - بدر شاكر السياب ، جمع وتقديم ماجد صالح السامرائي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1975 .
- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره - أبو علي محمد

- ابن الحسن الحاتمي (388 هـ) ، تح : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت 1965 .
- الرومانيكية في الادب الانجليزي - ترجمه عبدالوهاب المسيري ومحمد علي زيد ، دار شوشة للطباعة ، القاهرة ، منشورات مؤسسة سجل العرب ، سلسلة (1000) كتاب ، 1964 .
- الريحانيات - امين الريحاني ، المط العلميه ، ط 2 ، بيروت ، 1923 .
- ساعات بين الكتب والناس - عباس محمود العقاد ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969 .
- سبعون ، حكاية عمر - ميخائيل نعيمة ، ط 4 ، مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ، بيروت ، 1971 .
- سحر الشعر - رفائيل بطي ، المط الرحمايه ، القاهرة ، 1922 .
- سر الفصاحة - أبو محمد عبدالله بن محمد ... بن سنان الخفاجي (446 هـ) ، تصحيح : عبدالمتعال الصعيدي ، مط محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة ، 1969 .
- شرح ديوان الحماسة - أبو علي احمد بن محمد .. المرزوقي (421 هـ) ، تح : احمد امين ، وعبدالسلام هارون ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1951-1953 .
- شظايا ورماد - نازك الملائكة ، دار العودة ، بيروت ، 1971 ، (تاريخ الطبعة الاولى 1949) .
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي - عباس محمود العقاد (1964) ، دار الهلال ، مصر ، 1972 .
- شعر الاخطل الصغير ، بتسارة الخوري ، مط دار المعارف ، لبنان ، 1961 .
- الشعر الحديث في السودان - د. محمد ابراهيم الشوش ، مط دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، 1962 .
- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958 - يوسف الصائغ ، رسالة ماجستير ، على الالة الكاتبة ، 1974 .
- الشعر العربي في العراف وبلاد العجم في العصر السلجوقي - د. علي جواد الطاهر ، ج 2 ، مط العاني ، بغداد ، 1961 .
- الشعر العربي في المهجر الامريكي - وديع ديب ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1955 .
- الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث - محمد حسين الأعرجي ، رسالة ماجستير ، على الالة الكاتبة ، 1973 .
- الشعر قنديل أخضر - نزار قباني ، ط 5 ، مطابع دار العلم للملايين ، بيروت ، منشورات نزار قباني ، 1973 .

- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - مصطفى عبداللطيف السحرتي ، مط المتطف والمطم ، مصر 1948 .
- شعرنا الحديث الى أين - غالي شكري ، دار المعارف ، مصر ، 1968 .
- الشعر والشعراء - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (276 هـ) ، تح : احمد محمد شاكر ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966 - 1967 .
- الشعر والمجتمع - مجموعة مؤلفين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، منشورات وراود الاعلام العراقية ، 1974 .
- الشعر والفكر المعاصر - مجموعة مؤلفين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1974 .
- سفق (شعر) - العوضي الوكيل ، دار الزيني للطباعة والنشر ، القاهرة 1959 .
- الصبح المنبي عن حسيه المنبي - الشيخ يوسف البديعي (1073 هـ) ، تح : مصطفى السقا واخرين ، دار المعارف ، مصر ، 1963 .
- الصراع الادبي بين القديم والجديد - علي العماري ، مط دار التأليف ، مصر ، منشورات دار الكتب الحديثة ، 1965 .
- كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر - ابو هلال الحسن بن عبدالله . . العسكري (395) ، تح : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل ابراهيم ، ط 2 ، مط البابي الحلبي ، القاهرة ، 1971 .
- الصورة الفنية في التراث النعدي والبلاغي - د. جابر احمد عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1974 .
- طبقات الشعراء - عبدالله بن المعتز (296) ، تح : عبدالسار احمد فراج ، دار المعارف ، مصر ، 1956 (ت.م) .
- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي (231 هـ) تح : محمود محمد شاكر ، ط 2 ، مط المدني ، القاهرة (ت.م) .
- العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري - بدري محمد فهد ، مط الارشاد ، بغداد ، 1967 .
- العصبية الفبلية وأثرها في الشعر الاموي - د. احسان النص ، المط التعاونية ، لبنان ، 1963 .
- العمدة في محاسن الشعر وادابه - ابو على الحسن بن رسيق الفيرواني (463 هـ ؟) ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط 1 ، مط حجازي ، القاهرة ، 1934 .
- عيار الشعر - محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (322 هـ) ، تح : د. ظه الحاجري ، و د. محمد زغلول سلام ، مط شركة فن الطباعة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1956 .
- القربال - ميخائيل نعيمة ، ط 1 ، المط العصرية ، مصر ، 1923 .

- فنون الادب المعاصر في سورية (1870-1970) - د. عمر الدقاق ، منشورات دار الشرق ، 1971 .
- في الادب الحديث - عمر الدسوقي ، ط 7 ، مط دار لبنان ، بيروت ، 1966 .
- في الادب العربي الحديث - مجموعة مؤلفين ، بيروت . 1954 (الشعر وقضيته - ابراهيم العريض ، منشور فيه) .
- في الادب العربي الحديث ، بحوث ومقالات - د. يوسف عزالدين ، ط 1 ، مط دار البصري ، بغداد ، 1967 .
- في الشعر العراقي الجديد - طراد الكبيسي - منشورات المكتبة المصرية ، بيروت - صيدا ، 1972 .
- في ضمير الزمن (شعر) - د. يوسف عزالدين ، ط 2 ، مط الرسالة ، مصر ، 1970 (تاريخ الطبعة الاولى 1950) .
- في الميزان الجديد - د. محمد مندور ، مط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، منشورات دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1973 .
- الفهرست - أبو الفرج محمد بن اسحاق (385هـ) ، مط الاستقامة ، القاهرة ، د.ت .
- قراءة لجدران زنانة وقصائد اخرى (شعر) - محمود امين العالم ، مط الاديب ، بغداد ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1972 .
- قضايا جديدة في ادبنا الحديث - د. محمد مندور (1965) ، دار الاداب ، بيروت ، 1958 .
- قضايا الشعر المعاصر - نازك الملائكة ، ط 2 مط دار التضامن ، بغداد ، منشورات مكتبة النهضة ، 1965 .
- قضايا ومواقف - د. عبد القادر القط ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1971 .
- قضية الشعر الجديد - د. محمد النويهي ، المط العالمية ، القاهرة ، منشورات معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ، 1972 .
- كتاب الارض والدم (الشعر) - محمد عفيفي مطر ، مط الاديب ، بغداد ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1972 .
- الكثف عن مساويء شعر المتنبي ، الصاحب أبو الفاسم اسماعيل ابن عباد (385 هـ) تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مط المعارف ، بغداد ، 1965 .
- لبنان الشاعر - صلاح لبكي ، مط المرسلين اللبنانيين ، بيروت ، منشورات دار الحكمة ، 1954 .
- لغة الشعر بين جيلين - د. ابراهيم السامرائي ، مط دار الثقافة ،

- بيروت ، د.ت .
- المثل النسائر في ادب الكاتب والشاعر - ضياء الدين ابن الانير (637 هـ)
تح: د. احمد الحوفي و د. بدوى طبانه ، مط الرسالة ، القاهرة ،
مكتبة نهضة مصر ، 1959-1962 .
- مجددون ومجترون - مارون عبود ، ط 2 ، مط الكريم ، جونية ، شر
دار الثقافة ، بيروت 1961 .
- المجد للاطفال والزيتون (شعر) - عبدالوهاب البياتي ، ط 2 ، مط
دار الكشاف ، بيروت ، 1958 .
- المجموعة الكاملة لمؤلفان جبران خليل جبران - تقديم : ميخائيل نعيمة ،
دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ، 1964 .
- محاضرات عن ابراهيم المارني - د. محمد مندور ، مط دار الهنا ،
مصر ، منشورات معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول
العربية ، 1954 .
- محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وانرها في الادب
الحديث - د. جميل صليبا ، المط الكمالية ، مصر ، منشورات معهد
الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، 1958 .
- محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي - د. محمد مندور مط
الرسالة ، مصر ، منشورات معهد الدراسات العربية العالية في جامعة
الدول العربية ، 1955-1958 .
- المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها - د. عبدالله الطيب المجذوب ،
الباي الطيبي ، القاهرة ، دار الفكر ، بيروت 1955-1970 .
- مطالعات في الكتب والحياة - عباس محمود العقاد ، ط 3 ، منشورات
دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1966 .
- مظاهر الشعبوية في الادب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،
د. محمد نبيه حجاب ، ط 1 ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1961 .
- المعارك الادبية في الشعر والنثر والثقافة واللفظة والقومية العربية -
انور الجندي ، مط الرسالة ، القاهرة ، د.ت .
- معارك العقاد الادبية - عامر العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ،
بيروت - صيدا ، 1971 (ت.م) .
- معالم في النقد العربي : الديوان ، الفريال ، الميزان - د. عبدالكريم
الاشتر ، منشورات دار الشرق ، بيروت 1974 .
- معجم الادباء (ارشاد الاريب ..) - ياقوت الحموي (626هـ) ، تح :
مرجليوث ، مط امين هندية ، القاهرة (اوفسيت مكتبة المثني ببغداد
عن ط 1 ، 2) .
- مقالات في النقد الادبي - حسين مردان ، المط انربية ، بغداد ، 1955 .
- مقدمة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون (808هـ) ، دار البيان ،

- من ادبا المعاصر — طه حسين (1973) . ط 2 . دار العلم للملايين ، بيروت ، 1966 .
- من اغاني الفأبة (شعر) — كاظم جواد . دار العلم للملايين ، بيروت ، 1960 .
- الموارنة بين شعر ابي تمام والبحتري — ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (370هـ) تح : السيد احمد صفر ، ط 1 . دار المعارف . مصر . 1965 .
- الموسج في مآخذ العلماء على الشعراء — ابو عبد الله محمد بن عمران . المرزباني (384 هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ، مط لجنة البيان العربي . نشر دار نهضة مصر ، 1965 .
- الموقف الشعري الى اين وحوار مع عبدالوهاب البياتي — مالك المطليبي ، مط دار الجمهورية ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقيه ، 1969 .
- نظرية الفن المتجدد وبتبيعتها على الشعر — عز الدين الامين ، ط 1 ، مط الاستغلال الكبرى ، نشر مكتبه وهبة ، القاهرة ، 1964 .
- النقد الادبي الحديث في العراق — د. احمد مطلوب ، مط الجبلاوي ، مصر . منشورات معهد الحوث والدراسات العربية في جامعة الدول العربية ، 1968 .
- النقد الادبي الحديث في لبنان — هاشم يعاق ، دار المعارف ، مصر ، 1968 .
- النقد المهجى عند العرب — د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت .
- نقد النثر — ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب (377هـ) تح : طه حسين وعبد الحميد العبادي ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة . 1933 .
- النقد والنقاد المعاصرون — د. محمد مندور ، مط نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت .
- نهايات الشمال الافريقي (شعر) — سعدي يوسف ، دار العوده ، بيروت ، 1972 .
- نور القبس المختصر من المقتبس — اختصره يوسف بن احمد اليعموري (673هـ) ، تح : رودلف زلهام ، المانيا ، فيسبادن ، 1964 .
- هذا الشعر الحديث — د. احمد سليمان الاحمد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1974 .
- الواضح في مشكلات شعر المتنبي — ابو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني (كان حيا في 410 هـ) ، تح : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، منشورات الدار

- التونسية . 1968 .
- الواقعية في الادب - عباس خضر ، ط دار الجمهورية ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والارساد العراقية ، 1966 .
- الورقة - محمد بن داود الجراح (296هـ) ، تح : د. عبدالوهاب عزام ، وعبدالستار احمد فراخ ، ط 2 ، مط دار المعارف ، مصر ، د.ت .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني (392هـ) تح : محمد أبي الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، ط 4 ، مط البابي الحلبي ، القاهرة ، 1966 .
- وفيات الاعيان - شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان (681هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مط السعادة ، القاهرة ، 1948 .
- ويكون التجاوز - محمد الجزائري ، مط الشعب ، بغداد ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1974 .
- الينبوع (ديوان) - احمد زكي ابو شادي ، لم يذكر اسم المطبعة ولا مكان الطبع ، 1934 .

الجرائد والمجلات(*)

بيروت	(مجلة)	الآداب
القاهرة	(مجلة)	ابولو
بيروت	(مجلة)	الاديب
بغداد	(مجلة)	الاديب العراقي
بغداد	(مجلة)	الاديب المعاصر
بغداد	(مجلة)	الاساذ
بغداد	(مجلة)	الاقلام
بغداد	(مجلة)	الف باء
بغداد	(جريدة)	البلد
بغداد	(مجلة)	التعاه الجديدة
بغداد	(مجلة)	التعاه الوطنية
بغداد	(جريدة)	التورة
بغداد	(جريدة)	الحرية
بيروت	(مجلة)	دراسات عربية
النجف	(مجلة)	الرابطه
القاهرة	(مجلة)	الرسالة
بيروت	(مجلة)	الرسالة
بغداد	(جريدة)	الشعب
بيروت	(مجلة)	شعر
القاهرة	(مجلة)	الشعر
بغداد	(مجلة)	الشعر ٦٩
بغداد	(جريدة)	طريق الشعب
سان باولو	(مجلة)	العصبة
المغرب	(جريدة)	العلم الثقافي
النجف ، بغداد	(مجلة)	الكلمة
القاهرة	(مجلة)	المجلة
القاهرة	(مجلة)	المفتطف
بغداد	(مجلة)	المورد

(*) اكتفينا هنا بذكر اسماء المجلات والجرائد وأماكن صدورها ، لان المقال وكتابه وسنة نشره قد ذكرت في ثنايا الكتاب ، عند الاستعمال .

فهرست الموضوعات

- المقدمة
13 - 5
- التمهيد (مسيرة الجديد في الشعر)
46 - 15
- الفصل الاول (تاريخ الصراع في الشعر العربي)
73 - 47
- مفهوم الصراع، الصراع في العصر الاموي ، الصراع على شعر المحدثين، خصوم المحدثين
أنصار المحدثين . المنصفون ، القضايا التي روج لها انصار القديم بأخذون بها المحدثين .
- المرحلة الثانية من الصراع في العصر العباسي على شعر أبي تمام . خصوم
أبي تمام وأنصاره ومنصفوه . القضايا الفنية التي اخذت عليه ، ثم الصراع
الذي دار على شعر المتنبي في القرن الرابع ، خصوم المتنبي وأنصاره . ومنصفوه
القضايا الفنية التي اخذت على شعره .
- الصراع الذي أثاره جماعة « الديوان » مآخذ « الديوان » على سوقي .
جماعة أبولو أنصارهم وخصومهم ومنصفوهم ، والقضايا الفنية التي
اخدها أنصار لقديم على شعرهم .
- الصراع على حركة الشعر الحر ، ثم أنصارها وخصومها ومنصفوها من
الشعراء والنقاد ، فالقضايا التي أخذت على هذه الحركة .
- الفصل الثاني (دواعي الصراع وأسباب حدته)
100 - 75
- منى يكون الصراع ، معنى التقليدية في الشعر والشاعر ، ميل الانسان
الطبيعي الى الماضي وأسبابه . عموض الجديد وعجز المحافظين عن اللحاق
بنجاربه ، اخاذ القضايا الشخصية من الصراع غطاء ، الخلافات السياسية ،
والفكرية . لماذا لم نثر الموشحات الاندلسية والشعر المهجري صراعا ؟
- الفصل الثالث (حجج فريقي الصراع)
122 - 101
- الفرق بين حجج المحافظين والمجددين ، حجج المجددين والمحافظين : طلب
الحقيقة ، مواكبة الحياة ، الانفتاح على العالم ، الشعر رؤية جديدة للكون . الشكل
القديم قادر على طلب الحقيقة ومواكبة الحياة ، الانفتاح على نجارب العالم تقليد ،
الجمهور والشعر ، العموض ، الحل المقترح في كسب الجمهور ، الطريق المسدود .
- الفصل الرابع (مظاهر الصراع)
152 - 123
- تعريف المظاهر ، النسب بالقديم ، الانقلاب عليه . نقبه الشوائب ،
التحالف ولم الصف ، العمل المشترك ومقدمات الدواوين ، التسطينة في كسب
الخصوم ، اضطراب المعايير النقدية ، العزوف عن الشعر ، الجديد يؤثر في القديم .
- الفصل الخامس (أخلاق فريقي الصراع)
177 - 153
- تعريف أخلاق الفريقين ، على من يقع انحراف الصراع عن مداره الادبي ؟
تعصب الفريقين ، تبادل الاتهام بالسرقة ، التعمد في اساءة الهمم ، التشبث بما
هو خارج عن دائرة الشعر ، الكذب والافتئات ، شبث كلا الفريقين بالضعيف
من نتاج نظرة والتشهير به . العداوة الشخصية .

206 - 179

الفصل السادس (قضايا الصراع الفنية)

تعريف قضايا الصراع ، ماهي قضية الصراع الاساسية ، اللغة والعلاقات اللغوية المجازية ، التوليد واللغة ، أصحاب البديع واللغة ، غموض المحدثين ، غموض أبي تمام والمنتبي ، اللغة وشعراء عصر النهضة ، اللغة في فهم المهجر ، لغة جماعة الديوان ، لغة جماعة أبولو ، لغة الشعر الحر ، التيارات اللغوية في الشعر الحر ، اللغة واثارة الدهشة ، المعجم اللغوى في حركة الشعر الحر ودلالته .

217 - 207

الخاتمة

245 - 219

الفهارس

فهرست الاعلام ، فهرست المصادر والمراجع ، فهرست الموضوعات .

"Conflict History" that there are some artistic matters involved in every Literary Conflict such as: the language of poetry, grammatical mistake, bad use of metaphor and ambiguity. Therefore the "artistic matters of the Conflict" as one matter, i.e., the linguistic question and the metaphorical associations of the poetic language itself.

This study tries to draw the attention of the readers to the fact that, the critical matters which have been dealt with by the Arab critics such as the literary plagiarism, the poetic forgery and the question of word and meaning, were considered to be a consequence of the Literary Conflict in Arabic poetry. It has also considered the "Conflict matters" as a human phenomenon which has deep roots in the dynamic movement of the Arabic Society in its development and progress from one age to another.

M. H. AL-A'RAJI,
Department of Arabic,
College of Arts,
University of Bag'

THE LITERARY CONFLICT BETWEEN THE ANCIENT AND THE MODERN ON ARABIC POETRY

The literary Conflict between the ancient and modern poetry is a common phenomenon in the Arabic literature periods. And because it was so common, needs a thorough investigation and demands more than one question and concept. It is amazing, that the Conflict essentially used to be the same throughout ten centuries, that urged me to examine this phenomenon through this research. It is not my concern, while I was studying this subject, to write a general history for it, otherwise, I should have defined a certain time and a certain place for such study.

This research starts with an introduction which was devoted to study the progress of Arabic poetry, i.e., the relationship between the new literary trends and the development of the Society itself. Thus Chapter one was prepared to deal with the history of the "Literary Conflict" in the Abbaside period and our present time starting with modern Abbaside poets particularly Abu Tamman and al-Mutanabbi to "al-Diwan's group, Apollo and the movement of Free, Verse".

Chapter two is dealing with the "motives of the Conflict and the causes of its vitality". In this chapter, I have reached to the conclusion that the Conflict usually depends upon the traditional themes when they were touched by the "innovation" that created by a great poet of his age. There are some interests together with the ideological and political attitudes that have influenced both parties of the Conflict and thus kindled their arguments and discussions.

Chapter three is devoted to analyse "the evidences of the Conflict's parties" concerning the importance of the innovation-movement and its conception of the spirit of age.

Chapter four deals with the "features and characteristics of the Conflict". It seems, however, that both parties depend upon the classical material and the ancient sources to support their attitudes.

Chapter five tries to throw a deep light on the "Moral deeds of the parties". Their zealness, emotions, lies and tricks which have diverted the meaning of the literary Conflict into secondary matters that have no relationship what soever with its emergence.

This research has noticed throughout its investigation of the

طبيع بمطابع



5600479 الممودة البلد - اسكندرية

To: www.al-mostafa.com